



محمد عبد العزيز قبادو

شُبَّيك... لُبَّيك

رواية

الطبعة الأولى

مايو 2010

تقديم الرواية

"شُبَيْك ... ألبيك" رواية تَمْزُج بَيْنَ الحَقِيقَةِ و الخَيَال و تروي قِصَّةَ الشَّابِّ أَحْمَدَ، طالب كلية الصحافة و علوم الإخبار الذي يعيش تجربة فريدة من نوعها و هي اتصاله بمخلوق غريب الأطوار تكتشفونه عند قراءتكم لهذه الرواية.

ملاحظة: صفحة الغلاف من تصميم المؤلف محمد عبد العزيز قبادو - جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف محمد عبد العزيز قبادو

الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م

لطفاً التقيد بالحقوق المحفوظة أصولاً؛ دولياً وعالمياً.. ونذكر أيضاً بالتالي:

يمنع طبع هذا الكتاب ؛ أو أيّ جزءٍ منه لأهداف تجارية (بكافة الطرق) مثل الطبع والتصوير والنقل الإلكتروني الضوئي أو التسجيل المرئي؛ أو غيرها من الوسائل القديمة والمستحدثة والحديثة والمتطورة.. إلا بموجب إذن خطّي من الكاتب حسب الأصول المرعية قطرياً ودولياً لجميع الحقوق المحفوظة

Mohamedkabadou@yahoo.fr

إهداء

أهدي هذه الرواية لكل من احتفظ بقدرته على الخيل.

و أهدىها خاصة لزوجتي أول من يقرأ لي.

محمد عبد العزيز قبادو

Mohamedkabadou@yahoo.fr

التعارف

الاثنين 5 مارس - السابعة صباحا - بيت أحمد

تدخل صَفِيَّة، إلى غرفة ابنها أحمد لثوقظه كما جرت العادة كلَّ صباح. لا يستجيب أحمد لندائها. تجلس على طرف السرير و تهزُّ كتفه بلطفٍ معيَّدة نداءها.

صَفِيَّة، امرأة في الخامسة والأربعين من العمر. إنها امرأة مكتملة النضج، تُشيعُ أنوثته و دفئا. مازالت تحافظ على جمالها رغم زيادة الوزن الذي حرَّمها من رشاقتها و لكَّته منحها في نفس الوقت مَسَحةً مختلفة من الجمال، إنَّه جمال المرأة البدينة بعض الشيء. ذلك الجمال الذي يسكن مخيلة و وجدان معظم الرجال و يثير غرائزهم. تحرص صَفِيَّة على صيغ شعرها باللون الأصفر مع ترك بعض الخصلات بُنيَّة على لونها الطبيعي و هي عادةً تنتشر بين النساء المتزوجات، اكتسبتها صَفِيَّة منذُ أوَّل ليلة زواج و لم تتخلى عنها أبدا منذ تلك الليلة. لا تلبسُ صَفِيَّة سوى الفساتين التي تُثمنُ أشكال جسمها الكروية الأنثوية و يميل ذوقها في الألوان إلى اللون الوردي. لم تغنم صَفِيَّة من العلم الكثير حيث تزوجت و هي في الثانوية العامة و لم تنجح فيها بسبب انشغالها بالزواج من جهة و خاصة بسبب عدم رغبتها في الدراسة من جهة أخرى. لقد انقطعت صَفِيَّة عن الدراسة مباشرة بعد الزواج و اهتمت ببيتها و زوجها و هذا كلَّ ما كانت تطمحُ إليه فهي ليست من النوع المكافح من النساء اللواتي يُردنَ فرضَ وجودهن في المجتمع و أن ينافسن الرجال. إنها من المدرسة القديمة، تؤمن بأن المكان الطبيعي للمرأة هو بيت زوجها و أنَّ مهمتها الرئيسية في الحياة هي بناء أسرة سعيدة و التفرُّغ لإنجاب و تربية الأبناء. لم تطمح قط في العمل أو الاستقلال المالي عن الزوج. إنها تكره ضغوط العمل و نسق الحياة السريع فتُحب أن تشرب قهوتها كلَّ صباح، بعد أن يغادر زوجها و ابنها البيت، أمام التلفزيون و أن تأخذ وقتها في ذلك. تهوى سماع الموسيقى و هي تُنظم البيت أو تطبخ. إنها تُحب أيضا أن تنزل يوميا إلى السوق القريب من البيت فتشتري الخضار و الفواكه و السمك أو اللحم الطازج و تختار مشترياتها بكل عناية و دقة. تُحب أن تتقابل مع نساء الحي في السوق فتتجاذبُ معهن أطراف الحديث و تتبادل المجاملات. تُحب أن تطبخ و تتفنن في إعداد الأطباق المختلفة التي تنال استحسان زوجها سي الفاضل و تبلغ قمة سعادتها و تكون أسعد النساء عندما يُلني زوجها على طبخها و يمسح الأطباق مسحاً.

● صَفِيَّة: هيا استيقظ يا أحمد و كفاك كسلا. ستأخر عن الكلية. هل نمت متأخرا ليلة البارحة كعادتك؟

يفتح أحمد عينيه بصعوبة و كأنه يصعد من بئر شديد العمق. يلتفت إلى أمه و ترمشُ عيناه مرارا و كأنه لا يتعرف عليها. أخيرا تتضح له الرؤيا و يعقل أمه. يبتسم لها في هدوء و يمدُّ يده للطاولة الجانبية ليأخذ نظاراته و يلبسها. يعتدل أحمد في الجلوس على سريره و يرفع عينيه للسقف.

- أحمد: لم أستطع النوم إلا بعد الفجر. لم يغمض لي جفن أبدا. لا أعرف ماذا يحصل لي.
- صَفِيَّة: بماذا تشعر يا بُني؟ هل تشعر بألم في جسمك؟
- أحمد: أشعر ببعض الألم في رأسي و أشعر بضيق كبير و عجز عن التركيز. لقد حاولت أن أذاكر مادة الإعلام و لكنني لم أفلح قط في التركيز. ذهني مُشتت و ذاكرتي أصبحت ضعيفة جداً.
- صَفِيَّة: إنك تُرهق نفسك أكثر من اللازم في الدراسة و يجب أن تُرَقِّه عن نفسك بعض الشيء و ترتاح قليلا.

- **أحمد:** امتحاناتُ نهاية السَّنة قُرِبَتْ و يجب أنْ أنجحَ بتقديرٍ جيّدٍ على الأقل حتّى أفوزَ بوظيفةٍ في إحدى الصحف المُهمّة
- **صفية:** لكنّك بهذه الطريقة تُقسو على نفسك
- **أحمد:** نعم هذا صحيح. للأسف، لقد فقدت الرّغبة في الدّراسة و القدرة على التركيز
- **صفية:** أكيد أنّها عينٌ أصابتك. كلّ الحي يتكلم عنك و عن أخلاقك و اجتهدك في الدراسة. إنّك زهرة هذا الحيّ و الكل يغارون منك. يجب أنْ أرتقيك من العَيْن.

يبتسم أحمدُ لأُمّه و يُرَبّت على يدها.

يدخل أحمدُ للمطبخ أين يجد سي الفاضل، والدّه، يشرب قهوته التركيّة السوداء و يُدخّن سيجارة الصّباح مُستمتعاً جيّداً كعادته لآخر الأخبار من الرّاديو. سي الفاضل، رجل في الخمسين من عُمره و هو مُوظّف في وزارة العدل. إنّهُ مسؤول عن مخزن ملفات و أدلة القضايا في محكمة الاستئناف. إنّهُ رجلٌ أصيل من الزّمن الماضي، يُؤمن بالقيم و العادات و لا يُفرط فيها أبداً. لا يُعجبه التّغيّر السّريع في المجتمع و يشعر بكلّ افتخار أنّ أمثاله قليلون و أنّ هذا الزمن، للأسف، ليس زمنه.

يميل سي الفاضل إلى الطّول مع نحافة و رشاقة في الحركة. يهتم سي الفاضل دائماً بمظهره الشّخصي فتراه يحرص أشدّ الحرص على تصفيف شعره و تلميعه بعناية فائقة و صبغ الشّعرات البيضاء التي غزّت معظمه كما غزت شاربه الرقيق كما يحرص أيضاً على حلق ذقنه بعناية. لا يخرج سي الفاضل أبداً من البيت دون ارتدائه لبدلته كاملة و يُمضي في تعديل ربطة العنق وقتاً لا بأس به كما يُولي عناية كبرى لتلميع حدائه. أمّا إذا جلس في البيت فإنّه يلبس "الرّوب" و يحافظ على أناقته من دون تُصع أو تُكلف أيضاً.

تعود سي الفاضل على أن يسمع أخبار الصباح في الراديو و أنّ يُعلق على بعضها بسخرية و تهكّم على هذا الزمن الأثير و كثرة الفضائح و الغرائب التي تحدّث فيه حتّى أنّ أحمد اكتسب غرامه بالصحافة من عادة أبيه هذه.

يتميّز المطبخ بأُتساعه و تنوّع الخزف الذي يُزيّن جدرانَه و إنّ كانت من أنواع و ألوان مختلفة ناتجة عن ترميماتٍ عديدة و مُتعاينة أُجريت عليه. و بما أنّ أنواع الخزف القديمة تختفي من السّوق بعد كلّ فترةٍ، يُضطرّ من يقوم بالتّرميمات إلى شراء الخزف المتوفّر في السّوق في ذلك الوقت و بالتالي أصبحت جدران المطبخ عبارة عن فسيفساء تقدر أنّ تقرأ فيها تاريخاً طويلاً من خلال أنواع الخزف المختلفة و التي ميّزت حقبات تاريخية مختلفة.

تجهيزات المطبخ عادية و قديمة بعض الشيء تذلّ على أنّه مضى زمن لا بأس به قبل آخر تجديد لها. تتوسّط المطبخ طاولة مستطيلة كبيرة بعض الشيء في حين يحتلّ جهاز الرّاديو مكاناً مُميّزاً على مصطبة المطبخ.

يلقي أحمد على والده بتحية الصّباح و يقترب منه مُقبلاً رأسه في حين تواصل الأم إعداد فطور ابنها و هي مهمومة و منشغلة البال. تمرّ لحظات صمتٍ قصيرة قبل أن تتكلّم صفية.

- **صفية:** يجب أنْ نجدَ حلاً يا سي الفاضل فأحمد يعاني من العَيْن. إنّهُ لا يقدر على أنْ يُركّز في الدراسة و لا أنْ يشبع من النّوم.
- **سي الفاضل:** منذ متى و أنت بهذه الحالة؟
- **صفية:** إنّهُ على هذه الحالة منذ أسابيع يا سي الفاضل و أنا بصراحة بدأت أقلق على ابني. إنّهُ فلذّة كبدنا الوحيد و لا أريد أنْ يحصل له أيّ مكروه.
- **أحمد:** إنّ أمّي تبالغ كثيراً ، كعادتها، في القلق و الخوف. لا تقلق يا أبي فإنّه مُجرّد إرهاق دراسيّ بسيط سيزول مع الوقت

- **سي الفاضل:** لا تَسْتَهِن بالإرهاق يا أحمَد و يجب أن تراجع طبيبا يُعِينُكَ على الشِّفاء و استرجاع نشاطك و عافيتك.
- **أحمَد:** لا أَظُنُّ أَنَّ الأمر يحتاج إلى طبيب فَإِنَّهُ مُجَرَّد إرهاق عادي و سيزول
- **صَفِيَّة:** اسمع كلام أبيك يا بُنَيَّ و اذهب إلى الطبيب فالحرص واجب. لكن أَيُّ طبيب سيذهب إليه يا سي الفاضل؟
- **سي الفاضل:** أعرف طبيباً أعصاب ممتاز و هو صديق دراسة قديم.
- **صَفِيَّة:** ماذا؟ طبيب أعصاب؟ و هل ابني مَجْنُون حَتَّى يَذْهَبَ لطبيب أعصاب؟
- **سي الفاضل:** طبيب الأعصاب لا يعالج فقط المجانين يا صَفِيَّة. إِنَّ الإرهاق الذهني هُوَ مَرَضٌ يُصيب الجهاز العصبي و لذلك طبيب الأعصاب هو الشخص المناسب لعلاج هذه الحالة و هو مَرَضٌ بسيط لكن يجب أن يُعالج بجدية حَتَّى لا يتطوَّر و يُؤدِّي إلى نتائج سلبية. سنذهبُ إليه اليَوْمَ بعد العصر يا أحمَد و أنا سأُتَصِلُ به بالهاتف و سأعلمه بزيارتك
- **أحمَد:** هل مِنْ الضَّرُوري أن أذهب له اليوم؟
- **سي الفاضل:** اسمع الكلام يا ولدي و لا تناقشني في الأمر
- **صَفِيَّة:** اذهب يا أحمَد لَعَلَّه يساعدك و يصرف عنك هذا التعب
- **أحمَد:** حاضر يا أُمِّي. هل البيض المسلوق جاهز؟
- **صَفِيَّة:** نعم إِنَّه يَيرَد. سأحضره لك في الحال.

تُقدِّم الأمُّ البِيضَ المسلوق لابنها بكلِّ حُبٍّ و انشغالٍ في نفس الوقت. كيف لا و هو ابنها الوحيد. أُتِجِبَّتْ حينَ كانَ عمرُها إحدى و عشرين سنة و ظَنَّتْ أَنَّهُ سَيَكُونُ أوَّلُ أبنائها و أَنَّها سَتُنْجِبُ له أختَه و أخاه لكنَّ وِرمًا حميدًا أصاب رحمها و تسبَّب استئصاله في ضرر كبير في الرحم نَتَجَ عنه عَقْمٌ تامٌّ. حَزِنَتْ صَفِيَّةٌ و كذلك زوجها سي الفاضل على ذلك لكنَّهما حمدا الله على سلامتها و على أَنَّ الورم لم يكن خبيثًا و حمدا الله أكثر أَنَّهُ رَزَقَهُما بأحمَد قبل أن تصاب صَفِيَّةٌ بالعَقْمِ.

صَبَّ الزَّوْجانَ كُلَّ اهتمامها و حُبِّها على أحمَد في غير إفراط في الدلال، فنشأ مستقيماً معتدلاً و تَلَقَّى تربيةً فاضلةً موروثَةً عَنْ عَائِلَةٍ عريقةٍ معروفةٍ بدمائِهِ أخلاقها و احترامها للقيم و العادات. كان والداها يُسارعان بعَرَضِ ابنهما على الطَّبيب مع أوَّل أعراض أيِّ مرض يُصيبُه و لم يبخلا عليه بأيِّ شيء في دراسته أو ترفيهه حَتَّى أَنَّهُ أصبح حديث الحي و المدرسة و مثالا يُحتذى به بين الشباب.

كانت حياة أحمَد طبيعية و هادئة لم تشبها أيَّة شائبةٍ. لم يشعر أحمَد في أيِّ يَوْمٍ مِنْ الأَيَّام برغبة في رَبْطِ عَلاقَةٍ مع فتاةٍ. كانت أمُّه تغمره بالحنان إلى حدِّ الشَّبع و كذلك كان أبوه. كانَ الجَميع في الحيِّ و المدرسة و الشَّارع يُعامله بلطف و احترام نظرا لصورته الاجتماعية الجيدة مِنْ جهة و نظرا لسمعة أبيه الطيبة أيضًا مِنْ جهة أخرى.

📌 نفس اليَوْم - الرابعة عصرا - عيادة طبيب الأعصاب

يجلس أحمَد في قاعة انتظار عيادة الدكتور "عبد اللطيف" طبيب الأعصاب المعروف و الصديق القديم لوالده. العيادة عتيقة و كُلُّ ما فيها يُذكِّرُ الزائر بأوائل القرن الماضي و خاصة جُدرانها المُعَفَّاة بالخَرْف العتيق ذي الأشكال الهندسية البسيطة و رسوم أوراق الشجر و بألوانه الزاهية. يجلس أحمَد وحده في القاعة و يُسَلِّي نفسه بالنظر لبعض اللوحات الَّتِي تُزَيِّنُ القاعة. إِنَّها لوحات قديمة جدا تحتوي على مشاهد للحياة اليومية للأجداد فاللُوحة الَّتِي تُزَيِّنُ الجدار المواجه لأحمَد تُصوِّرُ مشهد سوق الفواكه و الخضراوات تكثر الحركة و التفاصيل أمَّا اللُوحة الَّتِي تُزَيِّنُ الجدار مِنْ خلفه فتُصوِّرُ عملية غزل الصوف لأحد النساء. مِنَ الأكيد أَنَّ الطبيب ورث هذه اللوحات عَنْ أبيه و ربَّما جدُّه و حافظ عليها كما هي فلم يُحِبْ حَتَّى أن يُجَدِّد إطاراتها أو لا زجاجها الَّذِي فقد البعض من شفافيته.

لَمْ تَطُلْ دَقَائِقَ الْإِنْتِظَارِ حِينَ دَخَلْتَ الْكَاتِبَةَ، وَ هِيَ امْرَأَةٌ تَجَاوَزَتْ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعَمْرِ. إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَدِينَةٌ وَ قَصِيرَةٌ تَكَادُ تَكُونُ مَرَبَعَةً لَمْ يُمَيِّزْ فِيهَا أَحْمَدُ أَثَارًا مِنْ جَمَالِ الشَّبَابِ. أَعْلَمْتَهُ أَنَّ الطَّبِيبَ فِي الْإِنْتِظَارِ.

بَادَرَ الطَّبِيبَ بِتَحِيَّةِ أَحْمَدَ، تَعْلُوهُ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ. صَافِحُهُ بَحْرَارَةٌ وَ رَحَبٌ بِهِ بِصَدَق.

الطَّبِيبُ عَبْدُ اللَّطِيفِ فِي الْعَقْدِ السَّادِسِ مِنْ عَمْرِهِ. رَجُلٌ قَصِيرٌ وَ مَمْتَلِئٌ بِبَعْضِ الشَّيْءِ. شَعْرُ رَأْسِهِ أَبْيَضٌ مَعَ صَلَعٍ بَسِيطٍ فِي مَقْدَمَةِ الرَّأْسِ. نَظَّارَاتُ الطَّبِيبِ الدَّائِرِيَّةُ الشَّكْلُ وَ سَمِيكَةُ الْعَدَسَاتِ تُوْحِي بِأَنَّهُ قَضَى مُعْظَمَ حَيَاتِهِ يَقْرَأُ وَ يَطَالَعُ فِي الْكُتُبِ.

- **الطَّبِيبُ:** أَهْلًا بِالْغَالِي إِبْنِ الْغَالِي. كَيْفَ حَالُكَ يَا بُنِي؟ وَ سَلَامَتُكَ. مِمَّا تَشْتَكِي؟
- **أَحْمَدُ:** فِي الْحَقِيقَةِ وَالَّذِي هُوَ الَّذِي أَصْرَّ عَلَى أَنْ أَقَابِلَكَ وَ كَبَّرَ الْمَوْضُوعَ بَعْضَ الشَّيْءِ. أَظُنُّ أَنَّهُ مَجْرَدُ إِرْهَاقٍ بَسِيطٍ نَتِيجَةُ التَّعَبِ فِي الدِّرَاسَةِ وَ لَكِنْ كَمَا تَعْرِفُ فَإِنَّ أَبِي لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ رَأْيَ الطَّبِيبِ
- **الطَّبِيبُ:** أَلْفَ لَا يَأْسَ عَلَيْكَ. يَجِبُ أَنْ تُثَمِّنَ حُبَّ أَبِيكَ لَكَ وَ اِهْتِمَامَهُ بِصِحَّتِكَ. نَحْنُ لَا نَفْتَقِدُ حَنَانَ الْوَالِدِينَ وَ اِهْتِمَامَهُمَا إِلَّا عِنْدَمَا نَفْقَدُهُمَا. أَنْتَ طَالِبٌ فِي آيَةِ كَلْبِيَّةٍ يَا أَحْمَدُ؟
- **أَحْمَدُ:** أَنَا طَالِبٌ فِي كَلْبِيَّةِ الْإِلَامِ وَ عُلُومِ الْإِخْبَارِ
- **الطَّبِيبُ:** وَ فِي آيَةِ سَنَةِ أَنْتَ الْآنَ؟
- **أَحْمَدُ:** أَنَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَ بَضْعَةُ شُهُورٍ فَقَطْ تَفْصِلُنِي عَنِ التَّخَرُّجِ
- **الطَّبِيبُ:** مِمْتَاز! هَذَا رَائِعٌ. وَ أَنْتَ تُرْهَقُ نَفْسَكَ فِي الدِّرَاسَةِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
- **أَحْمَدُ:** نَعَمْ. بَعْضُ الشَّيْءِ. إِنَّنِي بِصَدَدِ إِعْدَادِ رِسَالَةِ خَتْمِ الدَّرُوسِ وَ هِيَ مَسْأَلَةٌ صَعْبَةٌ وَ تُتَطَلَّبُ مِنِّي بِالْإِضَافَةِ لِمَذَاكِرَةِ الدَّرُوسِ الْعَادِيَةِ الْقِيَامَ بِمُجْهَدٍ إِضَافِي فِي الْبَحْثِ.
- **الطَّبِيبُ:** هَلْ تَعَانِي مِنْ أَرْقٍ وَ تَشْتُتُ فِي التَّرْكِيزِ؟
- **أَحْمَدُ:** نَعَمْ. هَذَا بِالضَّبْطِ مَا أَعَانِي مِنْهُ.
- **الطَّبِيبُ:** الْأَمْرُ بَسِيطٌ وَ عِلَاجُهُ سَهْلٌ. سَتَكْتَفِي بِأَخْذِ إِجَازَةٍ مِنَ الدِّرَاسَةِ لِفَتْرَةِ أُسْبُوعَيْنِ عَلَى الْأَقْلَ وَ تَتَنَاوَلُ هَذَا الدَّوَاءَ وَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَقْرَاصٍ مُهَذَّنَةٍ تَسَاعِدُكَ فِي النَّوْمِ الْعَمِيقِ الَّذِي سَيَسْمَحُ لَجِهَازِكَ الْعَصْبِيِّ بِالرَّاحَةِ وَ التَّخَلُّصِ مِنَ الْإِرْهَاقِ. أَيْضًا أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَنْتَزِرَ وَ تَلْعَبَ شَيْئًا مِنَ الرِّيَاضَةِ كَمَا يَجِبُ أَنْ تَهْتَمَّ بِغِذَائِكَ وَ أَنْ تَرْكَزَ عَلَى الْأَسْمَاكِ وَ الْخَضِرَوَاتِ وَ الْفَاكِهَةِ.

يُسَلِّمُ الطَّبِيبُ غُلْبَةَ الْأَقْرَاصِ لِأَحْمَدَ.

- **الطَّبِيبُ:** هَذَا الدَّوَاءُ جَدِيدٌ وَ مِمْتَاز. لَقَدْ سَلَّمَنِي إِيَّاهُ مَدْنُوبٌ شَرَكَةُ الْأَدْوِيَةِ هَذَا الصَّبَاحَ وَ قَدْ أَعْطَى نَتَائِجَ طِبِيَّةٍ جَدًّا وَ لَيْسَتْ لَهُ آيَةُ أَثَارٍ جَانِبِيَّةٍ تُذَكِّرُ. هَذِهِ هَدِيَّةٌ مِّنِّي لَكَ وَ مَوْعِدُنَا بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ مِنَ الْيَوْمِ.
- **أَحْمَدُ:** شَكَرَا يَا دَكْتُورُ هَذَا لَطْفُ مَنَّاكَ.
- **الطَّبِيبُ:** سَلِّمُ لِي عَلَى سَيِّ الْفَاضِلِ وَ انْقُلْ لَهُ تَحِيَّاتِي

📌 نَفْسُ الْيَوْمِ - فِي السَّهْرَةِ - حَوْلَ التِّلْفَازِيِّينَ فِي صَالُونِ بَيْتِ سَيِّ الْفَاضِلِ

تُحْضِرُ صَفِيَّةُ بَرَّادَ الشَّايِ وَ تَجْلِسُ فِي الصَّالُونِ تَصُبُّ الشَّايَ فِي الْفَنَاجِينِ وَ تَضَعُ الْفُولَ السُّودَانِيَّ الْمَقْلِيَّ فِيهَا. الْجَوُّ فِي الْخَارِجِ شَدِيدُ الْبُرُودَةِ وَ الشَّايُ السَّاخِنُ يَدْخُلُ الدَّفْءَ فِي الْجَسْمِ وَ يَنْعِشُ الرُّوحَ.

يَتَنَاوَلُ سَيِّ الْفَاضِلِ فَنْجَانَ الشَّايِ وَ يَشْكُرُ صَفِيَّةَ.

- **صَفِيَّة:** لمْ تخبرني ماذا قال لك الطبيب يا سي الفاضل؟
- **سي الفاضل:** المسألة بسيطة لقد طمئنني الدكتور عبد اللطيف و أعلمني أَنَّ أَحْمَدَ بحاجة للراحة لمدة أسبوعين فقط و أن يتناول بعض الحبوب المهدنة لتساعده على النوم.
- **صَفِيَّة:** الحمد لله
- **سي الفاضل:** أين أَحْمَدُ الآن؟
- **صَفِيَّة:** لقد أخذ قرصا و خلد للنوم
- **سي الفاضل:** لقد فُكِّرْتُ في أنْ أخذ إجازة لأسبوع من العمل و نذهب جميعا لمدينة "دوز" في الصحراء أين نقيم في أحد الفنادق هُنَاكَ و نحضر بالمرّة مهرجان الفروسية الذي يُقام هُنَاكَ هذه الأيام. سمعت أَنَّ الأجواء هُنَاكَ ممتازة في هذه الفترة من السَّنَةِ فالسِّيَّاح يأتون من كُلِّ أنحاء أوروبا. و الرِّحْلَةُ مُناسبة أيضا لِتُغَيِّرَ أَحْمَدُ الجَوَّ و يَنْتَزِرَهُ و نُبْعِدَهُ قليلا عن جَوِّ الدَّرَاسَةِ.
- **صَفِيَّة:** هذه فكرة رائعة يا سي الفاضل. هل تتذكر أوَّل مرَّة ذهبنا فيها للصحراء؟
- **سي الفاضل:** طبعاً في شهر العسل و هل تُنسى تلك الأيام؟
- **صَفِيَّة:** هذه فُرْصَةٌ لِتُعِيدَ تلك الأيام الجميلة
- **سي الفاضل:** سأقوم بالحجز غدا و سأقدِّم طلب إجازة من العمل
- **صَفِيَّة:** احرص على أن تكون الإقامة في نفس الفندق الذي نزلنا فيه في شهر العسل
- **سي الفاضل:** أرجو أن يزال ون موجودا حتَّى الآن. لقد مضى ربع قرن عن شهر عسلنا

الخميس 8 مارس - السابعة صباحاً - في الحافلة في اتجاه "دوز"

استقرَّ سي الفاضل بجَانِبِ زوجته في الجانب الأيمن من الحافلة في كُرْسِيِّين مُتجاوِرَيْن بينما جَلَسَ أَحْمَدُ في الجانب الأيسر و كان الكرسي الذي بجانبه فارغاً و لكنَّ قِبَلَ انطلاق الحافلة بلحظات صعد أحد المسافرين المتأخِّرين و هو رجل في العقد السادس من العمر يبدو مَوْطَفاً من الطبقة المتوسطة. إنَّه رجل متوسط القامة، كبير الرأس مع قصر في الرقبة مما يوحي لمن يشاهده بأن رأسه راكية مباشرة على كتفيه، شواربه كثيفة، حليق الذقن، شعر رأسه كثيف مع بداية صلح تجتاح جبينه. ملابسه لا تدل على ذوق رفيع و لا على أناقة فألوان السترة و البنطلون مختلفتين و غير متناسقين. استأذن الراكب الجديد أَحْمَدَ في الجلوس بجانبه فرحَّبَ به.

انطلقت الحافلة وكانت شبيهة ممتلئة بالركاب و خرجت من المدينة. بدأت تشق البراري فبدأ أَحْمَدُ يشعر بشيء من الراحة و استعادة النشاط بعد أن ابتعد عن جو الدراسة و أخذ نصيباً جيِّداً من النوم ليلة البارحة بفضل الحبة المهدنة. تَحَمَّسَ أَحْمَدُ أيضاً لفكرة السفر للصحراء و سعد بها أيَّما سعادة ممَّا زاد من نشاطه و حيويته.

منظر البساتين والأشجار التي تُحَفُّ جَانِبِي الطريق و الخُصرة المنتشرة على امتداد البصر و حتَّى الأفق، تُكوِّنُها أساساً أشجار الزيتون و العنب و اللوز، ولدت عند أَحْمَدَ تفاؤلاً و شاعرية افتقدتهما في الأشهر القليلة الماضية نتيجة تركيزه المبالغ فيه على الدراسة.

لمْ تُكُنْ هُنَاكَ، أثناء الرحلة، مِنْ تَسْلِيَةٍ في الحافلة سوى الفُرجة على المناظر الطبيعية. فتح أَحْمَدُ جريدة يومية كان قد اشتراها من محطة الحافلات، و بدأ يتصفحها و بحكم تخصصه في مجال الصحافة لا يقرأ أَحْمَدُ الجريدة كما يقرأها عامة الناس فإنه يبحث عن الأخطاء و التقصير الذي يمكن أن يرتكبه الصحفيون أو رئيس التحرير كما يبحث عن الأقلام الجيدة و الجديدة و إبداع البعض من أساتذته الذين يُكِنُّ لهم احتراماً خاصاً. لا يَهْمُهُ الخَبَرُ بقدر ما تهمة كيفية صياغته و تقديمه و الجرأة في اختيار المواضيع. استرقَّ جَارُ أَحْمَدَ النَّظَرَ للجريدة على يمينه و طالع عناوين المقالات و بعض الصور.

الجريدة التي يطالعها أحمد ذات مستوى متوسط لا غير فهي تهدف للإثارة أكثر من الإنارة و عُرف مُحَرَّرُوها و مديرها بالتركيز على الفضائح و السطحية في تناول المواضيع لجلب الإعلانات كم هو حال أغلب الصحف في هذه الأيام إلا من رحم الله. إنها لعبة دارجة جدًا في عالم الصحافة تُبرَع فيها بعض الصحف و يتميز فيها بعض الصحفيين الذين ينسون بسرعة ما تعلموه في كلية الصحافة من أجل لقمة العيش و يا حَبِذاً لو كانت مغموسة في عسل، تُدرُّه الإعلانات. تُكْمُنُ اللعبة في تناول المواضيع المثيرة و العناوين الرئانة و التركيز خاصة على الفضائح و الغرائب. هذه المواضيع تثير فضول البسطاء من القراء مما يزيد في توزيع الجريدة و انتشارها و التوزيع هي الكلمة السحرية التي تُقنع الشركات لكي تُعلن في الجريدة و تدفع الأموال بسخاء.

لاحظ أحمد أن جاره يسترقُّ النظر للجريدة فابتسم له قائلاً:

- أحمد: هل تريد قراءة الجريدة؟ تفضّل خُذها لقد إنتهيت من قراءتها
- الجار: شكراً. لكنني لا أريد أن أقطع عليك قراءتك
- أحمد: لا بأس فقد انتهيت من قراءتها و على كلِّ حال فليس هناك ما يُقرأ فيها فصفها إعلانات و النصف الثاني أخبار الكرة و الفنانين و بعض التفاهات.

يأخذ جَار أحمد الجريدة و يبدأ في تصفحها.

- الجار: صدّقت فلا فائدة تُرجى من قراءة هذا النوع من الجرائد سوى إضاعة الوقت و تقصير مسافة الرحلة. أسف لقد نسيت أن أقدم لك نفسي. اسمي "عبد الله" و أنا متقاعد من سلك التعليم و قاصد الصحراء للترفيه و حضور مهرجان "دوز" للفروسية فلقد تعودت على ذلك منذ سنوات طويلة.
- أحمد: و أنا أحمد. طالب في السنة الرابعة من كلية الصحافة و علوم الإخبار و قاصد صحبة عائلتي أيضا مهرجان الفروسية نفسه.
- عبد الله: (مبتسما و متعجبا) يا لها من صدفة سعيدة.

يتصفح عبد الله الجريدة و تواصل الحافلة شقَّ طريقها نحو الجنوب بينما يتشكَّت زُهْنُ أحمد في الأفق البعيد الذي ترسمه خطوط أشجار الزيتون المستقيمة.

بعد مُضيِّ نصف ساعة تقريبا من انطلاق الحافلة و بعد أن هدا المسافرين و استقر كلٌّ في مكانه بدأ المراقب يتجول بين المقاعد يراقب التذاكر. لاحظ أحمد حركة المراقب الرتيبة و شبه الآلية، بيتسم حيناً و يقطب جبينه حيناً آخر و كأنه صاحب الحافلة بمن فيها. لطالما استغرب أحمد من طبيعة المراقبين الغربية و كأن كلَّ من يمتن هذه المهنة تتغير شخصيته فيكتسب طباعاً خاصة يُملئها عليه اتصاله اليومي و المباشر بفئات متنوعة من البشر فتجده يبالغ في التودد تارة و في حدة الطباع تارة أخرى و هو في الخصام مبين.

يقترّب المراقب و يلاحظ أحمد أن عبد الله جاره تظاهر فجأة بالنوم و بدأ يشخر. لم يُصدّق أحمد أن جاره يمارس هذه الحيلة القديمة و غير المُجدية للنهْرُب من المراقب. و لماذا لم يقطع تذكرة؟ ليس مُدرّساً محترماً يمتلك من المال ما يكفيهِ لشراء تذكرة سفر؟

يصل المراقب إلى كرسي أحمد و يطلب منه التذكرة فيُقدّمها له. يرسم المراقب خطين عليها ثم يعيدها له. يلقي بنظرة على عبد الله النائم و يمر إلى المقعد الموالي. ابتسم أحمد و اندهش من أن جاره نجح في مراوغة المراقب و الخروج من هذا الموقف المحرج بسلام و بأعجوبة. ألقى نظرة على جاره فوجده ينظر له بعين واحدة و غمز له مبتسماً دون أن ينبس بكلمة.

أسلم أحمَد للنوم طيلة بقية الرحلة و لم يستيقظ إلّا و أمه تهز كتفه برفق مخبرة إياه بالوصول إلى محطة "دور" و هي المدينة الصحراوية التي يقام فيها مهرجان الفروسية. لعلّ الأقراص التي يتناولها تزيد من النعاس عنده أو ربما راحة البال بعد التعب و الإرهاق هي التي جعلته ينام كالطفل الوديع طيلة ساعات الرحلة الطويلة والتي فاقت الست ساعات.

لم يجد أحمَد جاره إلى جانبه عندمَا استيقظ. لعلّه سارع بالنزول من الحافلة حتّى لا يقع في أيدي المراقب. تذكر أحمَد الموقف فابتسم من جديد.

لم يستغرق مشوار سيارَة الأجرة بين محطة الحافلات و الفندق الذي سيقم فيه أحمَد و عائلته "فندق الغزالة" إلّا بضعة دقائق. إنّه فندق قديم يزيد عمره عن الخمسين سنة. لقد بنته الدولة بعد الاستقلال بسنوات قليلة ضمن سياستها لتنمية السياحة في هذه المنطقة و تأكيدا لنفوذها و ترسيخا لهوية حكمها الجديد للبلاد. الفندق يتكوّن من دور أرضي و طابق واحد. دُهِنت جدران الفندق باللون الأبيض بينما دُهِنت الأبواب و النوافذ بالأزرق السماوي.

📌 نفس اليوم الواحدة ظهرا – قاعة استقبال "فندق الغزالة"

دخلت العائلة قاعة الاستقبال ففوجئ سي الفاضل و زوجته صفية بالديكور نفسه لم يتغير منه شيء منذ خمسة و عشرين عاما. المصطبة الخشبية داكنة اللون نفسها و هي من الخشب الطبيعي المصبوغ و الرفوف الحاملة لمفاتيح الغرف نفسها و كأنّ الزمن توقف في هذا الفندق. قاعة الاستقبال هي نفسها بمعظم تفاصيلها ما عدا التلفزيون الذي أصبح حديثا بالألوان و بيئتُ برامج القنوات الفضائية بينما كان التلفزيون في السابق أسودا و أبيضاً و لا بيئتُ إلّا برامج القناة الوطنية الوحيدة و التي كانت تبدأ الإرسال بعد الرابعة عصرا.

انشغل الجميع في تعمير الاستثمارات بينما طلب سي الفاضل من موظف الاستقبال أن يمنحه الغرفة رقم "120" و هي نفس الغرفة التي نزل فيها أثناء شهر عسله. اقتربت صفية من زوجها و همست له:

- صفية: هل أخذت الغرفة نفسها؟
- سي الفاضل: نعم من حسن حظنا أنها شاغرة. إننا سنعيد شهر عسل جديد و كأنّ الوقت رجع بنا إلى الوراء ربّع قرن كامل.

نظر الزوجان لبعضهما البعض في لحظة غزل و هيام و لم يُفهِمَا إلّا تحنّة أحمَد الذي كان بجوارهما و سمع كامل الحوار. استرجع سي الفاضل صرامته المعهودة:

- سي الفاضل: حسنا إذن. سنلتقي بعد ساعة من الآن لتناول الغداء معاً في مطعم الفندق. لنأخذ نصيبا من الراحة نتخلص فيه من نصب السفر و نلتقي عند الثانية.

دخل أحمَد الغرفة رقم "121" المجاورة لغرفة والدیه. إنّها غرفة بسيطة جدّا يتكون أثاثها من سريرين منفردين و تسريحة وضع فوقها تلفزيون صغير و دولاب خشبي عتيق أما الحمام فكان بسيطا جدّا تُدَلّ حنفيّاته عن فترة خدمة فاقت المرجو منها بكثير.

أفاق أحمَد على صوت أبيه يناديه من وراء الباب.

- سي الفاضل: هيا يا أحمَد إستيقظ فوقت الغداء قد حان.
- أحمَد: نعم. أنا قادم يا أبي

نظر أحمد لساعته فوجدها الثانية و عشرة دقائق. لقد نام، دون أن يشعر، بمجرد أن استلقى على السرير دون حتى أن يفرغ حقيبته أو يُرتب ملابسه في الدولاب.

غسل أحمد وجهه و خرج مسرعا لأبيه و توجه الجميع لقاعة المَطْعَم.

القاعة كبيرة تنتشر فيها طاولات خشبية مستطيلة و كراسي خشبية قديمة. بلاط الأرضية يعود لتاريخ بناء الفندق. اختفى هذا النوع من البلاط من الأسواق منذ زمن طويل. تُزيّن بعض اللوحات الكبيرة جدران القاعة. إنّ كلّ اللوحات عبارة عن صور فوتوغرافية قديمة باللون الأسود و الأبيض لمشاهد الحياة الصحراوية. تُصوّر اللوحة الأولى بيوت البربر القديمة و الشهيرة المنحوتة في الجبال في منطقة "القصور" و "مطماطة" بينما تُصوّر اللوحة الثانية فارسا يرتدي اللباس التقليدي و هو على صهوة جواده يُطلق النار باتجاه الأرض في حين يركض الجواد بأقصى سرعته أمّا اللوحة الثالثة فتُصوّر حفلة عرس صحراوي بكل تفاصيله من جفّة و جمل و نساء بالملابس و الحلي التقليدية و رجال يقرعون الطبول و آخرون يطلقون النار في السماء ابتهاجا.

شعر أحمد بأنّ هذا العالم الصحراوي غريب عنه و بعيد كلّ البعد عن حياة العاصمة التي تعود عليه. حياة يصطدم فيها البصر إمّا بجدران المباني العالية الصماء أو بإسفلت الطرقات و إمّا بحركة المارة السريعة المُتشنجة و يسْم فيها السمع هدير محركات السيارات التي لا تنام و لا تهدأ. لقد أدرك أحمد فضاءً جديدا للحياة بقواعد و أطر مختلفة. ماذا لو كان باستطاعة الإنسان أن يختار إطار حياته و يُعدّله كما يشاء و متى يشاء كمصمم برامج الكمبيوتر عندما يكتفي بزيادة بعض السطور في البرنامج حتى يتغير كلّ شيء فيكون بذلك سيّدا مطلقا على عالمه عوضا عن أن يعيش و يموت ضمن الإطار الذي لم يختره هو بل يحاول جاهدا فقط أن يتأقلم معه و ينجح فيه.

جلس الجميع إلى طاولة الغداء المجاورة لنافذة كبيرة تطل على حديقة الفندق و موقف السيارات. يدخل نور قويّ من هذه النافذة فيضيء الطاولة و ما عليها بشكل بهيج و يكشف وجود ذرات تتطاير في جو المَطْعَم. جاور أحمد أمّه في حين جلس سي الفاضل قبالتها. بدأ الجميع يأكل بشهية مفتوحة خاصة بعد أخذ قسطٍ من الراحة بعد السفر و تعبهم. رفع أحمد بصره فلاحظ في ركن القاعة عبد الله جالسا وحده إلى طاولته يتناول الغداء. رفع عبد الله يده بالتحية باتجاه أحمد مبتسما فردّ عليه التحية بمثلها محدّثا نفسه: هل سيراوغ هذا المُدرس الغريب مراقبي الفندق أيضا و يُقيم و يأكل فيه من دون أن يدفع؟

لاحظ الأب أنّ أحمد يشير بيده فسأله.

- سي الفاضل: لمن تُشير يا أحمد؟ هل ربطت صداقة بهذه السرعة؟
- أحمد: إنّهُ عبد الله، جاري في الحافلة
- سي الفاضل: جارك في الحافلة! ... لم أنتبه لمن كان جالسا بجوارك في الحافلة.
- أحمد: إنّهُ مُدرّس متقاعد في الستين من عمره و هو غريب الأطوار.

التفت سي الفاضل ليتعرّف على عبد الله فلم يجد أحدا وراءه.

- سي الفاضل: أين هو عبد الله هذا؟ إنّني لا أرى أحدا.

أعاد أحمد النظر إلى الطاولة التي كان عبد الله جالسا عليها فوجدها فارغة.

- أحمد: ربّما فرغ من غداءه و غادر الآن. لقد كان هناك منذ لحظات
- سي الفاضل: ربّما! على كلّ حال من المؤكد أنّنا سنراه ثانية إذا كان من المقيمين في الفندق.

مرّت فترة صمت لا تُسمَع فيها سوى أصوات الملاعق و الشوكات و كلّ واحد من العائلة الهادئة يعيش حالته الخاصة.

رجعت الذكريات بصفّة لأيام الشباب و تفاصيل العرس و الاستعداد له بل و لأوّل مرّة قابلت فيها سي الفاضل في حفلة عرس ابنة خالتها عندها تبادلًا نظرات محتشمة و خفية عن الجميع، لكنّها كانت كافية بأن تغرس في أعماقها حبًا لا مثيل له لفارس أحلامها و رجل حياتها و أن تربط مصائرهما و تصهر وجودهما في كيان واحد. أمّا سي الفاضل فقد راودته أحلام الشباب عندها كان مليئا بالمثاليات و المشاريع الكبيرة التي من شأنها أن تدفعه لصفوف المجتمع الأولى. كان يحلم بأن يكون زعيما سياسيا يغيّر من مسيرة البلاد أو أن يكون فنانا معروفا يؤثر في الجماهير بفنه أو رجل اقتصاد صاحب مشاريع كبرى و نفوذ. لكنّه ها هو الآن بعد ربع قرن لم يُنجز منها شيئا سوى زواجه بصفّة و إنجابه لأحمد ابنه الوحيد. لقد اختزل سي الفاضل نتيجة مشوار حياته في أحمد، إنجازهُ الوحيد الملموس، الذي يعطيه بعض العزاء و يُخفّف عنه من مرارة الفشل الذي يظن أنّه طبع مسيرته. هو فخور عل كلّ حال، بإنجازهِ. لقد أنشأ شابا صالحا نافعا يفخر به بين زملائه و جيرانه و أمّا ما عدا ذلك من أحلام كبيرة و مثاليات برّاقة فقد أخفق فيها سي الفاضل أيما إخفاق.

أمّا أحمد فقد انغمس في خواطره الوجودية و أسئلة "لماذا؟" المتعددة التي تطرق ذهنه دون هوادة. فهو يتساءل "لماذا أنا طالب في كلية الصحافة؟ و لماذا نحن في هذا المطعم؟ و لماذا أنا ابن سي الفاضل و صفّة؟"

بعد الانتهاء من الغداء نظّف النادل الطاولة و أحضر البيرتقال و الشاي بالنعناع. لقد تغيّرت تعبيرات الوجه بعد الأكل فقد بدا سي الفاضل أكثر مرحًا و رغبة في الحديث و خاصّة بعد أن أشعل سيجارته و راقب أوّل السنة دخانها تتصاعد باتجاه سقف المطعم.

- **سي الفاضل:** ستبدأ فعاليات المهرجان اليوم بعد العصر أي حوالي الساعة الرابعة و من المستحسن ألا يفوتنا الافتتاح فالبرنامج زاخر.
- **أحمد:** ما هو محتوى برنامج اليوم؟
- **سي الفاضل:** سيكون الافتتاح باستعراض يشارك فيه الفرسان و فرق الفنون الشعبية كما ستشارك فيه جفّة عروس و أيضا كلّ المنتسبين للمهرجان. ثم تبدأ سباقات الخيول بالإضافة لبعض الأنشطة الأخرى التي سنكتشفها على عين المكان. لقد أطلعني موطّف مكتب السياحة على البرنامج الكامل للمهرجان و نصحني ألا يفوتنا شيء منه. إنَّ السُّيَّاح يأتون من خارج البلاد خصيصا لمتابعته.
- **صفّة:** يجب أن أعدّ نفسي و ألبس ما يناسب لذلك. لم يعد هناك مُتسع من الوقت

انصرف الجميع إلى غرفهم على أن يحضروا سويا افتتاح المهرجان.

📌 نفس اليوم - الرابعة عصرا - ساحة المهرجان الرئيسية

تدافع الناس في مركز الساحة حول المسؤول الكبير الذي جاء خصيصا من العاصمة ليشترك المسؤولين المحليين افتتاح فعاليات المهرجان. تحركت كاميرات التلفزيون و عدسات الصحف ترصد ما يجري و علّت الأصوات و امتزجت ما بين قرع الطبول و أنغام المزامير و أصوات مكبرات الصوت التي تنقل الفعاليات و تُرحّب بالضيوف و أصوات الأطفال و محركات السيارات و أصوات أخرى اختلطت ببعضها فيجهد المرء ماهيتها.

تحوَّل الجميع فجأة بعد إعلان مكبر الصوت نحو المضمار أين سينطلق الفرسان في عرض افتتاحي فَجَمَهَر الناس على حافة المضمار يَرُدُّهم عنه رجال الأمن حتَّى لا يتجاوزوا خط السلامة و يعرضوا أنفسهم للخطر.

اقترب أحمد من والده و أعلمه بأنَّه يُفضِّل أنْ يكتشف المهرجان بمفرده بسبب الزحمة و أنَّه سيلاقيه في الفندق عند المغرب. أوماً سي الفاضل لابنه بالإيجاب.

اصطَفَّ الفرسان على خط الانطلاق حيثُ فاق عددهم العشرين مُرتدينَ أزياء الفرسان التقليدية الجميلة المليئة بالألوان و التي توحى بالقوة و الأصالة و الشهامة. يحمل بعض الفرسان سيوفاً لامعة في حين يحمل البقية بنادق قديمة تطلق البارود بدون قذائف. استقر بصر أحمد على الخيول العربية الأصيلة و بُهر بجمالها و قوتها و أناقتها: سموخ و خيلاء و حركة رشيقة حتَّى خيل إليه أنها أنفَس من راكبيها.

دوَّى صوت انفجار هز المتفرجين فإذا بالفرسان ينطلقون بكل قوة. إنَّها إشارة الانطلاق. ثار الغبار و ساد المشهد صوتُ وقع حوافر الخيل و هي تمزق رمل الصحراء. كان للموقف هيئته و إثارتته. إنَّه يهز قلوب الحاضرين حتَّى أنَّ أحمدَ تممَّى أنْ يكون أحد هؤلاء الفرسان و أن يمسك بلجام أحد هذه الخيول الرائعة. و مع بدء السباق تتالت ومضات كاميرات الجمهور تصور كلَّ جوانب السباق فلا ترى إلا الأيدي المرتفعة بالكاميرات أو بالهواتف الجواله ترصد كلَّ الحركات.

لم يكن يُخَيِّل لأحمد أنَّه في عصر السيارات و الطائرات و التقنية المتقدمة التي عوضت طاقة الحيوان يُمكن للخيول أن تحتفظ بهيئتها و تأثيرها على البشر. لم تخرج الخيول أبداً من دائرة الاهتمام و ها هي حية في ذهن و وجدان الإنسان و خاصة العربي الذي امتزج تاريخه و مجده بها.

أفاق أحمد فجأة من خوابره عِندمَا استقرت يدٌ خفيفة على كتفه الأيمن فالتفت بسرعة خلفه فإذا هو عبد الله مبتسماً كعادته.

- عبد الله: ما بك لا تجيبني لقد ناديت عليك مرارا؟
- أحمد: أسف لم أسمعك إنَّ الضجة عالية هنا.
- عبد الله: كيف وجدت الخيول؟
- أحمد: إنها أكثر من رائعة
- عبد الله: سوف تأسرك هذه الخيول بسحرها و تعود كلَّ سنة إلى المهرجان حتَّى تصبح مدمنا عليه مثلي تماماً فأنا لا أفوت هذه المناسبة أبداً.
- أحمد: كم من مهرجان حضرت؟
- عبد الله: أوه! كثير جداً. لا أستطيع أن أعدّها.

انشغل الرجلان بالعروض و حالت الضجة دون تطور حوارهما و سرعانَ ما ابتعد الرجلان عن بعضهما بسبب التدافع.

أمضى أحمد العصرية يتفرج على السباقات و يتابع الخيل حتَّى أسدل الليل بظلامه على الساحة و قرر العودة للفندق حيث تقابل صدفة مع عبد الله أمام الباب الرئيسي.

- أحمد: هل تقيم في فندق الغزالة؟
- عبد الله: نعم. ألم ترني اليوم في المَطْعَم؟
- أحمد: بلى. و لكنك اختفيت بسرعة.
- عبد الله: لقد كنت قد أكملت غدائي عِندمَا دخلت أنت و عائلتك للمَطْعَم و انصرفتم مباشرة بعد ذلك.

دخل أَحْمَدُ و عبد الله قاعة استقبال الفندق و لمح أَحْمَدُ من بعيد والديه ينتظرانه في الصالون، يحتسيان كوبين من الشاي أمام التلفزيون، فأشار إليهما بيده و ردًا عليه التحية أيضًا. استأذن عبد الله من أَحْمَدُ و صعد مباشرة لغرفته في حين واصل أَحْمَدُ طريقه حتَّى جلس مع والديه في الصالون. بقيَ الجميع يتحدث عن الأشياء الممتعة التي شَدَّتْ اهتمامهم و خاصة أَحْمَدُ الذي عبَّر عن انبهاره بالخيول و الفرسان و شكر والده الذي سمح لهم بهذه الفرصة.

بعد العشاء و تناول المرطبات قرَّر الجميع الخلود للنوم المُبَكَّر بحثًا عن الراحة و استعادة النشاط.

دخل أَحْمَدُ غرفته و أخذ حَمَامًا ساخنًا قبل أن يستقرَّ في سريره يُقَلِّب في قنوات التلفزيون. بدأت جفونه تنقل بفعل الحبة المهدئة و تعب اليَوْم و كثرة النشاط عِنْدَمَا أحسَّ بحركة في السرير الثاني في الغرفة. انْتَفَتَ بسرعة فإذا به يرى عبد الله جالسًا على السرير يتفرَّج على التلفزيون في غير مبالاة. وثب أَحْمَدُ من سريره مذهولًا و هو لا يصدق ما يرى.

- أَحْمَدُ: ماذا تفعل هنا و كيف دخلت غرفتي؟
- عبد الله: لم يأتني النعاس فقلت أن نتسامر قليلًا.
- أَحْمَدُ: كيف سمحت لنفسك أن تدخل غرفتي من دون استئذاني؟ هذا تصرف غير مسؤول و لا يليق بشخص في سنِّكَ و في مستواكَ. تَفَضَّل و غادر الغرفة فورًا.
- عبد الله: لماذا كلَّ هذا الغضب؟
- أَحْمَدُ: هيا أخرج فورًا.
- عبد الله: حاضر. سأخرج. لا تغضب. أنا آسف.

رافق أَحْمَدُ عبد الله حتَّى الباب ثم تأكَّد من إغلاق الباب جيدًا بالقفل و بالمفتاح و رجع إلى سريره و الظنون تُشوِّشُ فكره. ماذا يريد هذا الكهل الغريب منه و كيف دخل للغرفة؟ هل كان الباب مفتوحًا؟

لم يواصل أَحْمَدُ تخميناته طويلاً عِنْدَمَا دُعِر مُجَدَّدًا. لقد وجد عبد الله جالسًا على السرير من جديد و في نفس المكان قبل أن يقوم بطرده. صاح أَحْمَدُ قائلًا:

- أَحْمَدُ: هذا أنت من جديد؟ كيف دخلت و متى؟ ألم أخرجك الآن من الغرفة؟
- عبد الله: هُنَاكَ بعض الأمور التي أريد إخبارك بها و لا أريد تأجيلها للغد.
- أَحْمَدُ: هل أنت مجنون أم ماذا دهاك؟ من أين تعرفني حتَّى تقتحم عليَّ عُرفتي؟ و من قال لك أنني أريد سماع خرافاتك؟ و ما هي علاقتك بي حتَّى تخبرني بأشياء لا يمكن تأجيلها للغد؟

ارتفع صياح أَحْمَدُ حتَّى وصل مسامع والديه اللذان هبَّا مسرعين إلى غرفته. حاولا الدخول فإذا بالباب مغلق من الداخل. طرقا الباب بشدة و تجمَّع بعض نزلاء الفندق يستفسرون عن سبب الضجة.

فتح أَحْمَدُ الباب فصُدِّم سي الفاضل بحالة إبْنه العصبية و اصفرار وجهه و ارتعاد فرائصه.

- سي الفاضل: ماذا هُنَاكَ يا بُنْي؟ ما الذي حصل؟ هل أنت بخير؟
- أَحْمَدُ: نعم أنا بخير لكن هُنَاكَ رجل اقتحم غرفتي و لم أنجح في إخراجه.
- سي الفاضل: مَنْ هذا الرجل؟ هل مازال في الغرفة؟
- أَحْمَدُ: نعم إبْنه بالداخل، جالس فوق السرير.

دفع سي الفاضل إبْنه و دخل الغرفة مسرعًا تتبعه صَفِيَّة. تسمَّر الوالدان و أجالا البصر في أنحاء الغرفة ثم نظرا لأَحْمَدُ مستفسرين.

• **صَفِيَّة:** أَيْنَ هذا الرجل يا أَحْمَد؟ لا وجود لأحد في الغرفة

اقترب أَحْمَد من والديه و أجال بصره في الغرفة فلم يجد أحدا. لقد تبخَّر عبد الله.

دارت الغرفة بأَحْمَد و شعر بنفسه يهوي أرضا.

الجمعة 9 مارس - العاشرة صباحا - في الفندق

أفاق أَحْمَد عند الصباح ليجد أباه و أمه جالسين على السرير الثاني ينظران إليه بعطف و رأفة. ابتسما له في حين اقتربت منه أمه و جلست على حافة سريره ممسكة بيده.

- **صَفِيَّة:** كيف حالك يا بُنَيَّ؟ بماذا تشعر الآن؟
- **أَحْمَد:** الحمد لله. أشعر بألم بسيط في مؤخرة رأسي.
- **صَفِيَّة:** لقد ارتطم رأسك بحافة التسيريحة عِنْدَمَا سقطت البارحة و لكنَّ الطبيب طمأننا عليك.
- **سي الفاضل:** هل تشعر بالتعب؟
- **أَحْمَد:** لا يا أبي فقد نمت طويلا و أشعر بالراحة الآن.
- **سي الفاضل:** لقد إتصلت البارحة بالدكتور عبد اللطيف و رويت له ما جرى فطلب أن تتوقَّف عن تناول الدواء. إنَّه يؤكد أنَّ هذا الدواء مُجرد مُهدئ و لا يُحدث أيَّة هلوسات و لكنَّه شكَّ في إمكانية حدوث تأثيرات جانبية.
- **أَحْمَد:** لكنني يا أبي لا أعاني منْ هلوسات. لقد كان هُنَاكَ رجل بالفعل في غرفتي. لقد رأيته و تكلمت معه كما أراك الآن و أكلمك.
- **سي الفاضل:** لكننا دخلنا إلى الغرفة و لم نجد أحداً فيها فهل يمكن أن يكون قد تبخَّر. لقد تأكدت منْ أنَّ نافذة الغرفة محمية بالحديد أي لا يمكن لأحد أن يغادر الغرفة إلا من الباب. إهدأ يا بُنَيَّ أرجوك و انسِ الحادثة. سنعود اليوم للعاصمة حتَّى تُقابل غداً صباحا الدكتور عبد اللطيف. لقد أخبرني الدكتور أنَّه من الممكن أن يكون الإرهاق الذهني الذي تعاني منه بالإضافة للتعب و السفر و كثرة النشاط بالإضافة للتأثير المحتمل للدواء هو الذي يجعل دماغك يصور لك أشياء لا وجود لها و أنَّ هذه الحالة مؤقتة و ستنتهي بسرعة بإذن الله.
- **أَحْمَد:** أوكد لك أنَّها لم تكن هلوسات.
- **سي الفاضل:** سننسى هذا الموضوع الآن. هيا انهض منْ الفراش و استعد لتناول الفطور سوية فلمْ نَدُقْ شيئا منذ عشاء البارحة. كما أنَّنا سنذهب معاً لأداء صلاة الجمعة في المسجد الكبير فاليوم هو الجمعة و لندعو الله كثيرا أنْ يصرف عنك سوء.
- **صَفِيَّة:** أنا متأكدة منْ أنَّها عيْنُ أصابت ابني و منْ الضَّروري أنْ تُرقيه يا سي الفاضل.
- **سي الفاضل:** سنفعل ذلك بعد عودتنا من الصلاة إنشاء الله. حافلتنا ستنتقل عند الثالثة عصرا و لقدْ أعلمتُ الفندق بأننا مغادرون اليوم.

تسلَّل الشكُّ إلى نفس أَحْمَد فحدَّثها: "هل يمكن أن يكون الرَّجُل الذي رأيته في غرفتي البارحة مُجرَّدُ تَهَيَّآتٍ؟ أيعقل أنْ لا أفرِّق بين الحقيقة و الوهم. هل يُمكن أنْ أكون في طريقي نحو الجنون؟ أم هل أنا جُنُنْتُ بالفعل؟"

لقد آلمته نظرات الشكِّ و الحيرة في عيون أمه و أبيه. إنَّهما لا يصدِّقانه و هم في حيرةٍ شديدةٍ و خوفٍ عليه. لكنَّه في نفس الوقت متأكَّد تماماً ممَّا رأى و يشعر بكامل صحته الجسدية و العقلية.

عَصَفَت الأفكار و التريجات بأَحْمَد فأفقَدته توازنه النَّفسي فهو في حيرةٍ من أمره. هل يُصدِّق عينيهِ أم والديه. لا يمكن أنْ يكذب عليه والداه فهل يُمكن أنْ تكذب عليه عيناه و أذناه؟

في قاعة المَطْعَم كان القلق و الحزن يُخيمان على طاولة الفطور. لم يكن أحدٌ يأكل بشهية البارحة. اكتفى سي الفاضل بقهوة سوداء و سيجارة بينما إنغمست صَفِيَّة في وَضْع المربي على الخبز لابنها و تقشير البيض له دون أن تضع لقمة واحدة في فمها. أَلَحَّت صَفِيَّة على ابنها لكي يأكل جيدا لكنَّ هواجسه كانتْ تعصر مَعِدَّتَه عصراً و تُسَدُّ شَهِيَّتَه.

سي الفاضل، المعروف برصانته و جَلَدِه، بدأ يتوتّر و هو يدرس جميع التطورات الممكنة لحالة ابنه و أسوأها على الإطلاق أن يكون أحمَد ينزلق نحو الجنون. هذه الفكرة أصبحت الهاجس و الكابوس الأكبر الذي يسيطر على تفكيره خلال الساعات الماضية خاصة و أنَّ كلام الدكتور عبد اللطيف لم يكن مطمئناً حين اكتفى بطلب رؤية أحمَد في أقرب وقت لتشخيص حالته و رَفَضَ أن يُقدِّم تشخيصاً أوليّاً عن بعد. ألا يذلُّ ذلك على أن الدكتور يتوقَّع الأسوأ؟

هذا هو ابنه الذي يعتبره ثَمَرَة حياته و إنجازُه الوحيد الذي يتفاخر به يَضِيع من بين يديه شيئاً فشيئاً. نزلت قطرة عرق باردة على مؤخرة رقبة سي الفاضل فارتعدت فرائصه و ارتجفت يده حتَّى أنَّ السيجارة كادت تقع من يده.

لم يكن حالُ صَفِيَّة بأفضل من حال زوجها فالمُتأمل في وجهها و خاصَّة عَيْنَيْهَا يُدرك بسرعة أنَّها بكت طوال ليلة البارحة. و رغم أن زوجها حدّرَها من البكاء أمام ابنها حفاظاً على معنوياته إلا أنها لم تقدر أن تمنع نفسها من البكاء الداخلي. استرجعت خلال الساعات القليلة الماضية كافّة مراحل حياة ابنها و ثَمُوهُ مُنذ أن حَمَلَتْ به و إلى غاية هذا اليوم مرورا بحفل ختانه و أول يوم له بالمدرسة و نجاحه في الثانوية العامة. مرَّ شريط الأحداث أمام عينيها و لم تُصدّق أنَّه من الممكن أن تخسر ابنها بهذه السهولة.

لم تخفى حالة سي الفاضل و صَفِيَّة على ذكاء أحمَد الذي أراد أن يضع حدّاً لشكوكه و أن يبحث عن عبد الله و يواجهه بالحقيقة.

- **أحمَد:** لا أريد أن أزعجكما و لكنني أريد أن أقابل عبد الله و أواجهه بما جرى. إنّه يسكن في نفس هذا الفندق و من السهل الحصول على رقم غرفته من الاستقبال.
- **سي الفاضل:** كُفَّ عن هذا يا بُنَيَّ أرجوك.
- **أحمَد:** أنا مُصِرٌّ. فأنا لم أعُدْ أحتمل نظرات الشك في عيونكما. فإمّا أن أواجهه و نفهم حقيقة الموضوع أو أتأكد بصفة قطعية أن المسألة كانت تَهَيُّأت. إنني أكاد أفقد صوابي.
- **صَفِيَّة:** سنذهب معك الآن إلى الاستقبال و نتحقّق من الموضوع.
- **سي الفاضل:** و لكن هل في ذلك فائدة يا صَفِيَّة؟ لماذا تريدان البحث عن شخص غير موجود أصلاً. إنكما تبحثان عن سراب.
- **أحمَد:** عبد الله ليس سرايباً. لقد كان جالساً بجواري في الحافلة و كان هنا بالأمس في المَطْعَم و حتّى البارحة لمّا عدت من المهرجان و قابلتكما في الاستقبال كان عبد الله يرافقني عنَدَمَا أشرتُ إليكما بيدي من بعيد.
- **سي الفاضل:** لم نَرَ لا أنا و لا أمك عبد الله هذا لا في الحافلة و لا في المَطْعَم كما أنك أتيت وحدك البارحة و لم يكن بجانبك أي شخص عنَدَمَا أشرت إلينا بيدك.
- **أحمَد:** هل يُعَقِّل هذا يا رَبِّي؟
- **صَفِيَّة:** على الأقل سيريح البحث عن عبد الله ابننا فماذا سنخسر لو تأكدنا؟

نظر سي الفاضل لصَفِيَّة ثم لأحمَد و لم يجد بُدّاً من موافقتهم على رأيهما على مضض، فهذا أقلُّ ما يمكنه فعله حتّى يريح ابنه مع علمه بعدم جدوى البحث.

- **سي الفاضل:** طيّب. فلنذهب الآن و لنبحث عن سي عبد الله هذا

تحرك الجميع بنشاط يسبقهم أحمد باتجاه الاستقبال. طلب أحمد من موظف الاستقبال أن يبحث في قائمة نزلاء الفندق عن عبد الله وأن يُعلمه برقم غرفته. راجع الموظف قائمة النزلاء على شاشة الكمبيوتر و بعد فترة قصيرة قال له:

● **موظف الاستقبال:** عبد الله نازل في الغرفة رقم 125

نظر الجميع لبعضهم البعض. تسارع نبض أحمد الذي وجد أخيراً فرصة ليبرهن للجميع على سلامة عقله و صحة أقواله في حين دخل الشك في نفس سي الفاضل و الذي لم يُسلم بأن هذا برهان قاطع على سلامة ابنه. هم الجميع بالتحرك للغرفة 125 عندما استوقفهم موظف الاستقبال:

● **موظف الاستقبال :** إلى أين أتم ذاهبون؟ هذا هو عبد الله إنه الرجل الجالس في الصالون يشاهد التلفزيون.

التفت الجميع بسرعة للصالون فلم يجدوا سوى شاب في الثلاثين من عمره يتابع أخبار الكرة باهتمام. تسمّر الجميع و أصيبوا بخيبة أمل كبيرة و خاصة أحمد. التفت عبد الله إليهم مستغرباً و مستفهماً عن سبب التحديق فيه بهذه الطريقة. إتجه أحمد لموظف الاستقبال من جديد و طلب منه أن يبحث في القائمة عن عبد الله آخر. أجاب الموظف بعد لحظات:

● **موظف الاستقبال :** لا يوجد لدينا نزلاء باسم عبد الله باستثناء الشاب الذي أمامكم.

طوّق سي الفاضل إبنه بذراعه قائلاً.

● **سي الفاضل:** دعنا من هذا الآن و إستعدّ لنذهب لأداء صلاة الجمعة

بدأت الشكوك تُصبح يقينا في ذهن أحمد. كلّ الدلائل تُشير إلى أنّ عبد الله هذا لا وجود له و أنّ والديه على حقّ. إنه يهلوس!! أو هو ينغمس تدريجياً في الجنون.

✚ نفس اليوم في المسجد الكبير- خلال صلاة الجمعة

جلس أحمد على يمين أبيه كما تعود على ذلك منذ نعومة أظافره. لم يرغب أحمد عن صلاة الجمعة إلا للضرورة القصوى. كان سي الفاضل يحرص على أن يُلبس إبنه جيّداً و أن يُسرح له شعره بنفسه و يضع له الطيب منذ كان عمره ثلاثة سنوات. كان يفخر بأن يرافقه إبنه للمسجد. و كان أحمد في تلك السن فخوراً بذلك أيضاً. كان يشعر بأنّه صار رجلاً مثل أبيه و كان يُقلّده في جلسته و حركاته و يتصنّع الرصانة في الوقت الذي كان يرغب في أن يركض في أرجاء المسجد و يلهو بما فيه.

الأمر هذه المرّة مختلف عمّا سبق فذهن أحمد مُشتّت لا يستمع لخطبة الإمام و لا يفقه منها شيئاً. كان طيلة الخطبة يُراجع شريط الأحداث فلا يزيده إلا يقينا بأنّ ما رآه كان مُجرّد تهيّآت.

كان بصراً أحمد يجُول في المصلين الجالسين أمامه و هو مُشتّت الفكر. بينما هو كذلك التفت إليه أحد المصلين و ابتسم له ابتسامة يعرفها جيّداً. إنه عبد الله!!! بلحمه و شحمه. نعم إنه هو! تسمّر أحمد في مكانه و ارتفع نبضه بسرعة. لقد كاد أن يصيح لولا حرمة المكان و الزمان. تماسك أحمد و قرّر أن ينقضّ على عبد الله فور انتهاء الصلاة. هذه المرة لن يُضيّع الفرصة. طالت الخطبة على أحمد و كذلك الصلاة و بمجرد أن سلّم الإمام و المصلون حتّى وقف أحمد و اتجه مسرعاً نحو المكان الذي كان عبد الله جالسا فيه فوجد رجلاً ثانياً مكانه. هل يُعقل أن يكون قد غادر المسجد بهذه السرعة الكبيرة أو أنّها كانت تهيّآت أيضاً؟

لاحظ سي الفاضل و بعض المصلين تصرفات أحمد فلحق به أبوه و زاده ذلك ألما على ألم. جلس سي الفاضل و أجلس ابنه بجانبه و حاول أن يهدئته و أكثر من الدعاء له بالشفاء و صرف السوء عنه.

✚ نفس اليوم - الثالثة عصرا - في الحافلة في طريق العودة إلى العاصمة

صعد الجميع إلى الحافلة مهمومين و في حالة أسوء من تلك التي كانوا عليها عند قدومهم. جلست صفية هذه المرة بجانب ابنها فيما جلس سي الفاضل في الكرسي المجاور لهما. انطلقت الحافلة في سكون رهيب و أحمد مسند رأسه على زجاج النافذة ينظر إلى الخارج و كأنه يرى العالم لأول مرة. لقد تغيرت نظرته للحياة و للناس. كل شيء تغير فجأة بعد أن فقد يقته بنفسه و يقينه بإدراكه. أمسكت صفية بيد ابنها و مسحت عليها و هي تسرق إليه النظر بين الفينة و الأخرى.

خرجت الحافلة من المدينة متجهة نحو العاصمة و اختفت المنازل و المباني و لم يعد يظهر سوى الحقول و الأشجار و السيارات التي تأتي في الاتجاه المعاكس أو التي تتجاوز الحافلة. كاد أحمد أن يخلد للنوم عندما تجاوزت سيارة جديدة و قوية الحافلة و وصلت بالقرب منه فشاهد الراكب بجانب السائق. نظر إليه هذا الراكب و أشار إليه بيده مبتسما. صعد أحمد عندما تعرف على هذا الشخص. إنه عبد الله مجدا. سحب يده من بين يدي أمه بسرعة و اعتدل في جلسته. سأله أمه:

• صفية: ما بك يا بُني؟ ماذا حصل؟

لم يشأ أحمد أن يُثقل من آلام والديه بأن يخبرهما بما رأى فأجابها.

• أحمد: لا شيء لقد كان كابوسا أفقت منه و الحمد لله.

رجع السؤال المحير لبال أحمد: " هل الذي رأيته هو فعلا عبد الله أم أنه وهم جديد؟".

✚ السبت 10 مارس - التاسعة صباحا - عيادة الدكتور عبد اللطيف

كان الدكتور عبد اللطيف باستقبال سي الفاضل و ابنه عندما وصلا إلى العيادة. رحب الدكتور مُبتسما و مرحبا بضيوفه و خاصة بأحمد.

- الطبيب: كيف حالك اليوم يا أحمد؟
- أحمد: الحمد لله يا دكتور.
- الطبيب: لقد تحدثت طويلا مع سي الفاضل و أظن أن المسألة بسيطة. لا تقلق سيكون العلاج بسيطا و سنحسن بسرعة و تعود إلى كليتيك لتكمل السنة بنجاح و تفوق أيضا إن شاء الله.
- سي الفاضل: إن شاء الله يا دكتور.
- الطبيب: سنقوم ببعض الاختبارات و الفحوصات في البداية و سأكتب لك بعض الأدوية و المقويات.

طلب الطبيب من سي الفاضل أن يتركهما على انفراد فاستأذن و بقي في قاعة الانتظار. جلس الطبيب على الكرسي المقابل لأحمد و فتح كتابا مليئا بالصُّور و الأشكال الغريبة و في كل مرة يسأله عما يرى في هذه الصُّور. عندما انتهى من هذا الكتاب، بدأ الطبيب يسأل أحمد سلسلة من الأسئلة و كان أحمد يجيب في كل مرة بثبات و من دون تردد و كان الطبيب يسجل الإجابات على ورقة.

وقف الطبيبُ وابتعدَ عَنِ المكتبِ و اقتربَ مِنَ النَّافِذَةِ وَ بَدَأَ وَ كَأَنَّ الاختبارَ انتهى وَ بدأ يتحدَّثُ مَعَ أَحْمَدَ بطريقةٍ وِدِّيَّةٍ وَ يسألهُ عَنِ حَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ وَ عَلاقَتِهِ بِالْآخَرِينَ.

كَتَبَ الطَّبِيبُ وَصْفَةً أُولَى تَحْتَوِي عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ التَّحَالِيلِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى أَحْمَدَ أَنْ يَقُومَ بِهَا وَ كَتَبَ فِي وَصْفَةٍ ثَانِيَةٍ مَجْمُوعَةَ أَدْوِيَةٍ مُضَادَّةٍ لِلْكَتْنَابِ وَ الْهَلُوسَةِ.

شَكَرَ الطَّبِيبُ أَحْمَدَ وَ أَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ بِحَالَةٍ جَيِّدَةٍ وَ لَا دَاعِيَ لِلْقَلْقِ وَ بِأَنَّهُ سَيَلْتَقِي بِهِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ عِنْدَمَا تَظْهَرُ نَتَائِجُ التَّحَالِيلِ.

طَلَبَ الطَّبِيبُ مِنْ أَحْمَدَ أَنْ يَنْتَظِرَ فِي الْقَاعَةِ وَ أَنْ يَسْتَدْعِيَ سَيِ الْفَاضِلِ.

جَلَسَ سَيِ الْفَاضِلِ أَمَامَ الدُّكْتُورِ وَ كَأَنَّهُ تَلْمِيذٌ صَغِيرٌ يَنْتَظِرُ نَتِيجَةَ الْاِخْتِبَارِ.

• **الطبيب:** أَوَّلَا أَرِيدُ أَنْ أَطْمَئِنِّكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ خَطَرُ الْجُنُونِ وَ جَمِيعُ الْاِخْتِبَارَاتِ الَّتِي أَجَرْتُهَا لِأَحْمَدَ تُثَبِّتُ بِأَنَّ مَدَارِكُهُ الْعَقْلِيَّةَ جَيِّدَةٌ جَدًّا وَ لَا يَشْكُو مِنْ أَيِّ اضْطِرَابٍ فِي الْإِدْرَاكِ وَ بِأَنَّهُ يُمَيِّزُ جَيِّدًا بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَ الْخَيَالِ وَ بَيْنَ الْخَطَا وَ الصَّوَابِ.

• **سي الفاضل:** مَا هِيَ الْمُسْكَلَةُ إِذْنًا يَا دُكْتُور؟

• **الطبيب:** هَذَا مَا يُحِيرُنِي فَعَلًا. فَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرْتَنِي بِمَا جَرَى تَوَجَّهَ ظَنِّي نَحْوِ الْهَلُوسِ لَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ الْآنَ مِنْ أَنَّ ابْنَكَ سَلِيمٌ وَ لَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ يُفَسِّرُ ادَّعَاءَهُ رُؤْيَا هَذَا الشَّخْصِ الْمَزْعُومِ. هُنَاكَ أَمْرٌ يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ قَبْلَ التَّشْخِصِ النَّهَائِيِّ لِلْحَالَةِ وَ هُوَ التَّحَالِيلُ الَّتِي سَتُظْهَرُ إِنْ كَانَ أَحْمَدُ يُعَانِي مِنْ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ فِي بَعْضِ الْمَوَادِّ فِي جِسْمِهِ قَدْ تُؤَدِّي لِهَذِهِ الْهَلُوسَاتِ.

• **سي الفاضل:** سَتَقُومُ بِهِذِهِ التَّحَالِيلِ الْيَوْمَ وَ فَوْرًا.

• **الطبيب:** لَقَدْ كَتَبْتُ لَهُ أَيْضًا بَعْضَ الْأَدْوِيَةِ الْمُنَشِّطَةِ وَ الْمُضَادَّةِ لِلْكَتْنَابِ وَ ذَلِكَ نَظَرًا لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا.

• **سي الفاضل:** هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا أَنَا وَ أُمُّهُ تُسَاعِدُ فِي شِفَاءِهِ؟

• **الطبيب:** أَجَل. الْجَوُّ الْهَادِئُ وَ إِبْعَادُهُ عَنِ التَّوَثُّرِ وَ خَاصَّةً أَلَّا تَظْهَرُوا أَمَامَهُ قَلْقُومًا وَ تَوَثُّرُكُمَا. وَ سَأُرَاكُمَا بَعْدَ الْغَدِ.

شَكَرَ سَيِ الْفَاضِلِ الطَّبِيبَ بِحَرَارَةٍ وَ غَادَرَ الْعِيَادَةَ صُحْبَةَ ابْنِهِ بِاتِّجَاهِ مَخْبَرِ التَّحَالِيلِ أَيْنَ قَامَ أَحْمَدُ بِجَمِيعِ التَّحَالِيلِ الْمَطْلُوبَةِ وَ أَعْلَمَهُ مُدِيرُ الْمَخْبَرِ بِأَنَّ نَتَائِجَ التَّحَالِيلِ تَظْهَرُ فِي الْغَدِ.

📅 السبت 10 مارس - الثالثة عصرا - بيت سي الفاضل

تَنَاولَ الْجَمِيعُ الْغَدَاءَ وَ لَمْ تَكُنِ الشَّهِيَّةُ حَاضِرَةً كَالْعَادَةِ إِلَّا أَنَّ صَفِيَّةَ بَدَتْ ضَاحِكَةً تُرِيدُ إِدْخَالَ جَوْ مِنْ الْبَهْجَةِ عَلَى الْجَمِيعِ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَعَانِيهِ هِيَ بِدَوْرَهَا مِنْ قَلْقٍ.

إِسْتَأْذَنَ أَحْمَدُ وَ دَخَلَ عُرفَتَهُ أَيْنَ شَعَلَ جِهَازُ الْكُمْبِيُوتَرِ وَ فَتَحَ بَرِيدَهُ الْإِلِكْتُرُونِي. إِنَّهُ لَمْ يُرَاجِعْ بَرِيدَهُ مُنْذُ أَيَّامٍ عَدِيدَةٍ. وَ بَيْنَمَا كَانَ يَقْرَأُ بَرِيدَهُ إِذْ لَمَحَ عَلَى شَاشَةِ الْكُمْبِيُوتَرِ إِنْعِكَاسَ صُورَةِ عَبْدِ اللَّهِ. تَسَمَّرَ أَحْمَدُ فِي مَكَانِهِ وَ لَمْ يَدْرِ مَاذَا سَيَفْعَلُ. هَلْ سَيَلْتَقِي لِئَاكِدَ مِنْ وَجُودِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْ أَنَّهُ سَيَتَجَاهَلُ الْأَمْرَ وَ يَتَغَلَّبُ عَلَى هَلُوسِيَةِ فَتَحْتَنَفِي الصُّورَةِ مِنَ الشَّاشَةِ. أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ لِلْحِظَاتِ ثُمَّ فَتَحَهَا مِنْ جَدِيدٍ أَمْلَأَ أَنْ تَحْتَنَفِي صُورَةَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شَاشَةِ الْجِهَازِ وَ لِكُنْهِ وَجَدَهَا تَابِتَةً كَمَا هِيَ. إِلْتَفَتَ بِسُرْعَةٍ وَرَاءَهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا، وَاضِعًا رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ عَلَى الْأَرِيكَةِ وَ هُوَ يَبْسُطُ كَعَادَتِهِ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُثِيرُ أَغْصَابَهُ.

ثُمَّالِكَ أَحْمَدُ نَفْسَهُ وَ قَرَّرَ أَنْ يَتَعَاطَلَ مَعَ الْمَوْقِفِ بِهَدْوٍ وَ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ.

- عبد الله: أما زِلْتَ تَخَافُ مِنِّي؟
- أحمد: مَنْ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي؟
- عبد الله: أَنَا صَدِيقٌ وَ أُرِيدُ مُسَاعَدَتَكَ.
- أحمد: شُكْرًا لَكَ! لَكِنِّي لَا أَعْرِفُكَ وَ لَا أَعْرِفُ أَصْلًا إِنْ كُنْتَ حَقِيقَةً أَمْ خِيَالًا وَ مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرِ فَأُرِيدُكَ أَنْ تَخْتَفِيَ مِنْ حَيَاتِي وَ إِلَى الْأَبَدِ.
- عبد الله: أُرِيدُ أَنْ أَخْبِرَكَ أَنَّنِي حَقِيقَةٌ وَلَسْتُ خِيَالًا كَمَا أُرِيدُ أَنْ أُبَشِّرَكَ بِأَنَّكَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ وَ لَسْتُ مَرِيضًا وَ لَسْتُ بِحَاجَةٍ لِأَيِّ عِلَاجٍ. إِهْدَأْ فَقَطْ وَ سَتَعْلَمُ مَنْ أَنَا.
- أحمد: إِذَا كُنْتَ حَقِيقَةً فَهَلْ يُمَكِّنُ لَكَ أَنْ تُفَسِّرَ لِي كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا؟
- عبد الله: أَنَا أَدْخُلُ أَيْنَ أَشَاءُ وَ مَتَى أَشَاءُ. وَ لِإِطْمَئِنَّكَ لَقَدْ دَخَلْتُ مِنَ الْبَابِ
- أحمد: يَا سَلَام! وَ كَيْفَ تَخْتَفِي بِسُرْعَةٍ؟
- عبد الله: أَنَا سَرِيعٌ جِدًّا.
- أحمد: أَنْتَ لَسْتَ مُدْرَسًا مُتَقَاعِدًا.
- عبد الله: أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ.
- أحمد: إِذَنْ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ.
- عبد الله: أَنَا مَخْلُوقٌ مُعْجَبٌ بِكَ وَ أُرِيدُ أَنْ أَسَاعِدَكَ.
- أحمد: لِمَاذَا تُرِيدُ مُسَاعَدَتِي؟
- عبد الله: لِأَنَّنِي مُعْجَبٌ بِكَ قُلْتُ لَكَ.
- أحمد: كَيْفَ أَعْرِفُ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ حَقِيقِي وَ لَسْتُ وَهْمًا؟
- عبد الله: سَأُعْطِيكَ دَلِيلًا بَسِيطًا. إِنَّ أَمُكَ قَادِمَةٌ الْآنَ إِلَى الْغُرْفَةِ وَ بِيَدِهَا طَبَقٌ وَ عَلَيْهِ فُجْجَانُ قَهْوَةٍ وَ بَعْضُ الْمُرَطَّبَاتِ وَ أَقْرَاصِ الدَّوَاءِ وَ هِيَ سَتَطْرُقُ الْبَابَ بَعْدَ ثَانِيَتَيْنِ فَقَطْ.

لَمْ تَمُضْ ثَانِيَتَانِ حَتَّى طَرَقَتْ صَوِيَّةُ الْبَابِ، فَعَلَا، وَ دَخَلَتْ وَ بِيَدِهَا الطَّبَقُ وَ هُوَ يَحْتَوِي عَلَى كُلِّ مَا وَصَفَهُ عبد الله.

بَقِيَ أَحْمَدُ مَذْهُولًا. أَخَذَ الطَّبَقَ مِنْ أُمِّهِ وَ شَكَرَهَا فِي قُورٍ. غَادَرَتْ صَوِيَّةُ الْغُرْفَةِ وَ أَغْلَقَتْ الْبَابَ وَ هِيَ تَتَحَسَّرُ عَلَى حَالَةِ ابْنِهَا الَّتِي تَتَدَهَوَّرُ بِسُرْعَةٍ.

- أحمد: كَيْفَ عَرَفْتَ مَاذَا تَحْمِلُ أُمِّي فِي يَدِهَا؟
- عبد الله: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنَّنِي سَرِيعٌ جِدًّا. لَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْغُرْفَةِ وَ رَأَيْتُهَا قَادِمَةً بِالطَّبَقِ ثُمَّ عُدْتُ وَ جَلَسْتُ مَكَانِي وَ لَمْ تَنْقُطْ أَنْتَ لِذَلِكَ
- أحمد: يَا سَلَام. هَلْ تُرِيدُنِي أَنْ أَصَدِّقَ كَلَامَكَ هَذَا؟ هَلْ أَنْتَ أَسْرَعُ مِنْ طَرْفِ الْعَيْنِ؟
- عبد الله: إِنَّنِي أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.
- أحمد: هَذِهِ لَيْسَتْ سُرْعَةُ الْبَشَرِ.
- عبد الله: وَ مَنْ قَالَ لَكَ أَنَّنِي مِنَ الْبَشَرِ؟
- أحمد: هَلْ تَقْصِدُ أَنَّكَ مِنَ الْجِنِّ؟
- عبد الله: أَحْسَنْتَ فَأَنَا مِنَ الْجِنِّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ مِنَ الصَّالِحِينَ. أَلَمْ يَقُلِ الْجِنُّ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عِندَمَا طَلَبَ مِنَ الْجَمِيعِ أَنْ يَأْتُوا لَهُ بِعَرْشِ سَبَأَ "أَنَا سَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لَكَ طَرَفُكَ" وَ فِعْلًا لَقَدْ حَمَلَ عَرْشَ سَبَأَ مِنَ الْيَمَنِ وَ إِلَى غَايَةِ الْقُدْسِ فِي أَقَلِّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ.
- أحمد: وَ كَيْفَ لِي أَنْ أَصَدِّقَكَ؟
- عبد الله: أَلَمْ أُعْطِكَ الْبُرْهَانَ مُنْذُ قَلِيلٍ؟
- أحمد: وَ لِمَاذَا أَنْتَ هُنَا إِذَنْ؟
- عبد الله: أَوْه! أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنَّنِي أُرِيدُ مُسَاعَدَتَكَ؟ حَسْبُكَ أَذْكَى مِنْ ذَلِكَ.
- أحمد: وَ كَيْفَ سَتُسَاعِدُنِي؟

- **عبد الله:** أوْلا لا تَشْرَبْ الأدويةَ لِأَنَّكَ لَسْتَ بِحَاجَةٍ لَهَا. ثانيا، لا تَقُلْ أَنَّكَ تَرَانِي أَبَدًا لِوَالِدَيْكَ أَوْ لِلطَّبِيبِ حَتَّى لَا تَجْعَلَهُمْ يَقْلُفُونَ عَلَيْكَ أَكْثَرَ فَهُمْ لَنْ يُصَدِّقُوا أَبَدًا وَ سَيَعْتَبِرُونَكَ مَجْنُونًا. وَ ثَلَاثًا، إِهْدَأْ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ طَبِيعِيٌّ وَ لَيْسَ هُنَاكَ دَاعِي لِلْقُلُقِ. أَنْتَ شَخْصٌ طَبِيعِيٌّ لَا يَشْكُو مِنْ أَيِّ مَكْرُوهٍ. الْفَرْقُ الْوَحِيدُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الْآخَرِينَ هُوَ أَنَّ لَكَ صَدِيقًا مِنَ الْجَانِ.
- **أَحْمَد:** لِنَفْتَرِضْ أَنَّ مَا نَقُولُهُ حَقِيقِيٌّ فَلِمَاذَا لَمْ يَرَكَ أَحَدٌ مِنْ عَائِلَتِي.
- **عبد الله:** لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَرَانِي حَتَّى أَنْتَ.
- **أَحْمَد:** وَ لَكُنِّي أَرَاكَ الْآنَ فَكَيْفَ لَا يُمَكِّنُنِي ذَلِكَ.
- **عبد الله:** أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَانَّ يَرُونَ الْبَشَرَ وَ الْعَكْسَ غَيْرَ صَحِيحٍ كَمَا وَرَدَ بِصَرِيحِ النَّصِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "بِرَاكَ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ" وَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ يَقْصِدُ الشَّيْطَانُ وَ هُوَ مَارِدٌ مِنَ الْجِنِّ. إِنَّنِي لَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ يَقْدِرُ أَنْ يَرَانَا إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ هَذِهِ مِيزَةٌ خَصَّ بِهَا بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ كَسُلَيْمَانَ وَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.
- **أَحْمَد:** كَيْفَ لِي إِذْنُ أَنْ أَرَاكَ وَ لَسْتُ بِنَبِيٍّ؟
- **عبد الله:** أَنْتَ لَا تَرَانِي فَعَلًا وَ لَكُنِّي أَخْلَقْتُ صُورَةً فِي ذَهْنِكَ وَ ذَلِكَ يَنْتَشِيطُ أَجْزَاءُ مِنْ دِمَاغِكَ مَسْؤُولَةٌ عَنِ الْبَصَرِ وَ السَّمْعِ فَيَهَيِّئُ إِلَيْكَ أَنَّكَ تَرَانِي وَ تَسْمَعُنِي فِي حِينِ أَنَّي مَوْجُودٌ بِدَاخِلِكَ أَخْلَقُ إِشَارَاتٍ عَصَبِيَّةً فِي دِمَاغِكَ تَتَحَوَّلُ لَصُورَةٍ وَ صَوْتٍ.
- **أَحْمَد:** إِذْنُ أَنْتَ الْآنَ لَسْتَ جَالِسًا عَلَى الْأَرِيكَةِ بَلْ أَنْتَ مَوْجُودٌ بِدَاخِلِي.
- **عبد الله:** بِالضَّبِطِ. أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْمَرْءِ مَجْرَى الدَّمِّ وَ الشَّيْطَانُ هُوَ مِنَ الْجِنِّ إِذْنُ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ أَجْرِي فِي دَمِكَ فَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ جِلْدَتِكَ.
- **أَحْمَد:** إِذَا كُنْتُ أَنْتَ بِدَاخِلِي فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَكْلُكَ مُطَابِقًا لِمَا أَرَاهُ الْآنَ.
- **عبد الله:** شَكَلْنَا نَحْنُ الْجِنُّ وَ طَبِيعَتُنَا مُخْتَلِفَتَانِ عَنْكُمَا بَنِي الْبَشَرِ كُلُّ الْإِخْتِلَافِ فَتَحْنُ مَخْلُوقَاتُ نَارِيَّةٍ وَ أَنْتُمْ مَخْلُوقَاتُ مِنْ طِينٍ. تَحْكُمُنَا قَوَانِينُ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ تِلْكَ الَّتِي تُحْكُمُكُمْ.
- **أَحْمَد:** وَ لِمَاذَا لَا تُظْهَرُ لِي بِشَكْلِكَ الْحَقِيقِيِّ؟
- **عبد الله:** رُبَّمَا سَتَفْزَعُ عِنْدَمَا تَرَى شَكْلِي الْحَقِيقِيَّ وَ لَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَتَعَاطَلَ مَعِي وَ لِذَلِكَ خَيْرْتُ أَنْ أَظْهَرَ لَكَ بِصُورَةٍ بَشَرٍ حَتَّى تَأْلَفَنِي وَ تَقْبَلَ التَّعَامُلَ مَعِي.
- **أَحْمَد:** إِذْنُ أَنْتَ الَّذِي إِخْتَرْتَ هَذَا الشَّكْلَ وَ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تُخْتَارَ شَكْلًا آخَرَ تُظْهَرُ بِهِ.
- **عبد الله:** بِالتَّأَكِيدِ نَعَمْ... لِمَاذَا؟ أَلَمْ يُعْجِبَكَ شَكْلِي الْحَالِي؟ أَمْ تُرِيدُ أَنْ اخْتَارَ شَكْلًا آخَرَ؟
- **أَحْمَد:** دَعْنِي أَرَى ذَلِكَ.

يَنْقَلِبُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ شَكْلِ الْكَهْلِ الْمُتَقَاعِدِ إِلَى شَابٍّ فِي الْعَشْرِينَ مُرْتَدِّيًا الْجِينِزَ.

- **عبد الله:** (وَ قَدْ تَغَيَّرَ صَوْتُهُ فَأَصْبَحَ شَبَابِيًّا) مَا رَأَيْتُكَ فِي شَابٍّ فِي الْعَشْرِينَ؟
- **أَحْمَد:** لَا تَبْدُو كَجَانٍ.

يَنْقَلِبُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى امْرَأَةٍ شَقْرَاءَ فَاتِنَةٍ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ عَمَرِهَا تَرْتَدِي فَسْتَانَ سَهْرَةَ أَحْمَرَ.

- **عبد الله:** (وَ قَدْ تَغَيَّرَ صَوْتُهُ فَأَصْبَحَ نَسَائِيًّا رَقِيقًا) مَا رَأَيْتُكَ فِي امْرَأَةٍ فَاتِنَةٍ؟
- **أَحْمَد:** لَا أَقْدِرُ أَنْ أَتَعَاطَلَ مَعَكَ بِهَذَا الشَّكْلِ. لَا تَنْتَسِي أَنَّي شَابٌّ وَ غَيْرُ مَتَزَوِّجٍ وَ شَكْلُكَ هَذَا يَثِيرُ غِرَازِي.

يَنْقَلِبُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَجُلٍ أَسْوَدَ ضَخْمِ الْجُثَّةِ، أَقْرَعَ مَفْتُولِ الْعَضَلَاتِ يَرْتَدِي مَلَابِسَ عَمَالِ الْمِينَاءِ.

- **عبد الله:** (وَ قَدْ تَغَيَّرَ صَوْتُهُ فَأَصْبَحَ غَلِيظًا فِيهِ بَحَّةٌ مَزْعَجَةٌ) مَا رَأَيْتُكَ فِي عَامِلِ مِينَاءٍ؟
- **أَحْمَد:** إِنَّ شَكْلَكَ هَذَا غَيْرُ مَرِيحٍ وَ يَبْعَثُ فِي نَفْسِي الْقُلُقَ.

ينقلب عبد الله إلى قطعة صغيرة.

- عبد الله: ما رأيك في قطعة صغيرة، وديعة و أليفة؟
- أحمد: هل تريدني أن أتحدث مع قطعة طوال الوقت؟
- عبد الله: لقد حيرتني معك يا أحمد فلم يُعجبك شيء. أخبرني بالشكل الذي تريده و سأكون عليه.
- أحمد: أظنُّ أنه مِن الأفضل أن تعود لصورتك الأولى. المدرِّس المتقاعد. إنه الأكثر مناسبة لك و لقد تعودتُ عليه.

يرجع عبد الله لصورته الأولى.

- أحمد: إذن أنا الوحيد الذي يراك أو يُخَيِّل إليه أنه يراك؟
- عبد الله: نعم. ألم تدخل أمك منذ قليل بطبق القهوة و لم ترني؟
- أحمد: بلى.
- عبد الله: أتذكر عندما كنا في الحافلة؟ حينَ أتى المراقب؟
- أحمد: نعم أذكر. لقد تظاهرت بالنوم حتَّى ثقلت مِن المراقب.
- عبد الله: و لماذا أفليت منه إذا لم يكن يراني أصلاً؟ لقد قمتُ بهذه اللعبة حتَّى لا أُحيرك منذُ البداية.
- أحمد: إذن بالنسبة للمراقب كان المقعد الذي بجانبني في الحافلة فارغاً.
- عبد الله: و لهذا السبب لم ينتبه والداك أيضاً لوجودي بجانبك.
- أحمد: أشعر و كأنني في كابوس لا أفرق فيه بين حالة اليقظة و المنام. لكن على كلِّ حال فروايتك على ما فيها مِن غرابة تُحمل بعض الإجابات عن تساؤلاتي الكثيرة. ربُّما تكون حقيقياً و أكون على صواب و أعيشُ الواقع و أنا بكامل صحَّتِي أو ربُّما أكون قد انغمست فعلاً في الجنون و لم أعد أُميِّزُ بين الحقيقة و الخيال.
- عبد الله: أما زلتَ تشكُّ في أمري. ألم أت لك بالبرهان منذ قليل؟ على كلِّ حال سأتركك ترتاح قليلاً و تخذل للنوم فَمِن الأكيد أن أعصابك لا تتحمل هذه المفاجأة و سأعود إليك في المساء لنتحدث أكثر.
- أحمد: هل ستعود إلى هنا في المساء؟
- عبد الله: سأتي لك في أيِّ مكان تريده و تختاره. إلى اللقاء الآن. سأتركك ترتاح.

يلوِّح عبد الله بيده لأحمد مبتسماً ثم يختفي في لمح البصر لتعود الأريكة فارغة.

نظر أحمد مِن حوله فلم يرى أثراً لعبد الله. أثاره كان يحلم، أم يتخيل، أم أن عبد الله كان فعلاً موجوداً هنا؟ هل ما علِّمه مِن عبد الله كان حقيقياً أم أن دماغه المرهق هو الذي اختلقه؟ هل جنَّ فعلاً أم أنه أفاق مِن الشُّكوك التي كانت تُعذِّبه؟

شعر أحمد بوجع في رأسه فاستلقى على سريره و استسلم للنوم لعله يجد ما يؤيِّد شكوكه أو ما ينفيها عندما يُفيق.

كنز الجد

✚ نفس اليوم – التاسعة ليلا - الكورنيش

كانت الليلة باردة و لكن ذلك لم يمنع أحمد من الخروج من البيت و الاتجاه نحو الكورنيش. حاولت صَفِيَّة أن تُثنيه عن عزمه لكن بدون جدوى في حين بقي سي الفاضل يراقب الموقف و أبي أن يتدخل. إنه عاجز حتى عن الكلام. إنه يشعر بأنه يخسر ابنه بالتدريج. أشارت صَفِيَّة لزوجها بأن يتبع ابنه من بعيد لعلّه يحتاج لشيء أو يصيبه مكروه لكن سي الفاضل بقي متحجرا لا يملك من أمره شيئا وكأنه استسلم للقدّر. هذه أول مرّة في حياته يشعر بهذا العجز المُطبّق و هو الذي كان يعتقد أنّه يملك مصيره و مصير عائلته بيده. ها هو الآن يكتفي بالنظر لما يجري بدون أن يُحرك حتى لسانه.

هواء الشارع بارد و منعش. شعر أحمد و كأنه ولد من جديد أو كأنه نزل لثوّه من السماء. إنه يُعيد اكتشاف كل شيء فهذا الهواء جميل و منعش كأنه لم يألفه في السابق. أغلب المحلات مقفلة و الشوارع تبدو خالية إلا من بعض المارة. إنه يلاحظ واجهات المباني التي مرّ أمامها مرارا في السابق دون أن يوليها اهتماما فيستكشفها من جديد.

وصل أحمد إلى الكورنيش و اتكأ على الحاجز الحديدي قبالة البحر. شعر ببرودة الهواء التي لم تزدّه ذرات مياه البحر التي تجتاح المكان إلا برودة. تزداد كثافة ذرات الماء كلما ارتطمت موجة فنيّة عنيّة بقوالب الاسمنت المكونة لحاجز الكورنيش في صوت مُدوّ و ركيب لا يعرف الملل. شعر أحمد بذرات الماء تقع على وجهه فأغمض عينيه و استحسناها. بقي يستمتع بهذه الحالة و كأنه يكتشف حواسه بينما لم يكن يقبل في السابق حتى أن ينزل إلى الكورنيش في الليل البارد و يعتبر ذلك ضربا من العبثية.

قطع صوت مألوف نشوة أحمد. إنه صوت عبد الله. فتح أحمد عينيه و التفت يميناً فوجد عبد الله كعادته مبتسماً.

- عبد الله: أرى أنّك ارتحت جيّداً واستعدت نشاطك.
- أحمد: إذن أنت حقيقيّ و لست من صنع خيالي؟
- عبد الله: نعم. يجب أن تقبل هذه الحقيقة. و لو فكرت جيدا فستجد أنّك محظوظ.
- أحمد: كيف يُمكن لي أن أكون محظوظا و صديقي من الجان لا يراه أحد غيري أو قل يُخيل إليّ أنّي أراه؟ في حين يعتبرني الجميع مجنونا أو شبه مجنون
- عبد الله: ستجدني مفيدا جدّا لك و لعائلتك و صدّقني إنّ قلت لك بأنني سأكون مفيدا لك أكثر من أيّ شخص ثاني على وجه الأرض.
- أحمد: أتشوق لرؤية فاندتك و كيفية مساعدتك لي.
- عبد الله: لا تستعجل على رزقك. و على العموم فإنني أحضرت لك مفاجئة ستتعشك أنت و عائلتك و ستغير حياتكم نحو الأفضل.
- أحمد: خيرا إنشاء الله؟ ماذا يمكن أن تكون هذه المفاجئة؟
- عبد الله: ما رأيك لو أحضر لك كنزاً؟
- أحمد: ها أنت الآن تشبه فعلا الجني الذي يملأ حكايات ألف ليلة و ليلة. "سُبَيْكُ...إِلَيْكَ... كل ما تتمنى بين يديك".
- عبد الله: لا تسخر منّا نحن الجن. فحكايات ألف ليلة و ليلة تصورنا بشكل مسيء جدا لنا فنحن لسنا بالخدم المغفلين الذين يحضرون الكنوز لأول من يلتقط المصباح السحري و يفركه.

- **أحمد:** كيف إذن ستأتي بالكُزَّز إن لم تكن كجني المصباح السحري؟
- **عبد الله:** أنا لا أملك الكنوز ولا أتهمني ولا أحضرها للناس. أنا سأكتفي بأن أخبرك بمكانها و أنت الذي ستُخْضِرُها.
- **أحمد:** هكذا إذن! وأين يوجد هذا الكُزَّز المزعوم؟
- **عبد الله:** ما رأيك لو قلت لك أن الكُزَّز يوجد في بيتكم العتيق. هل ستصدقني؟
- **أحمد:** أصدقك؟ أنا لا أعلم حتى إن كنت حقيقة أم خيالا و تريد مني أن أصدقك؟ هل تسخر مِنِّي يا عبد الله؟ أنت تريدني أن أقلب البيت رأسا على عقب حتى أجد الكُزَّز المزعوم و سيناكد الجميع عندئذ أنني مجنون فعلا و يدخلونني مصحة الأمراض العقلية.
- **عبد الله:** أنت سوف لن تبحث عنه
- **أحمد:** وكيف سأجده إذن؟
- **عبد الله:** بكل بساطة سوف أدلك على مكانه بالتحديد و ستستخرجه مباشرة.
- **أحمد:** و أين مكان هذا الكُزَّز؟
- **عبد الله:** إنه موجود وسط الجدار السميكة الذي يفصل بين غرفة الجلوس و المطبخ تحت الساعة الحائطية بالضبط. يكفي أن تحفر في الجدار عشرة سنتيمترات حتى يظهر صندوق خشبي مليء بالذهب.
- **أحمد:** و ما الذي أتى بهذا الصندوق في جدار بيتنا؟
- **عبد الله:** إن هذا الكُزَّز يعود لجديك عبد الرحمن الذي كان ثريا و من أعيان البلاد و كان فلاحا و صاحب تجارة رابحة. هو الذي خبأه في الجدار الذي وصفته لك قبل أن يذهب للحج سنة 1860 ميلادي دون أن يخبر أي أحد من أفراد عائلته لكنه للأسف توفي في الحج و لم يعد أبدا و بالتالي بقي السر مدفونا في الجدار لا أحد على الإطلاق يعلم بوجوده.
- **أحمد:** وكيف عرفت أنت بوجود هذا السر؟
- **عبد الله:** (ملوحا برأسه) ألم أقل لك بأنني جني و أنني أعلم الكثير من الأمور. لماذا لا تريد أن تصدقني؟ على كُلِّ حال يمكن أن تسأل أباك عن جده عبد الرحمن و هو على علم بهذه القصة.
- **أحمد:** سوف أسأله و لن أحفر قيد أنملة واحدة إلا بعد أن أتأكد من صحة هذه الرواية.

عاد أحمد بسرعة للبيت بحث الخيطي حثا. هل يُعَقَّل أن يكون كلام عبد الله صحيحا. هل هُناكَ كنز بالفعل؟ هل يمكن له أن يستخرجه؟ و ماذا سيقول لأبيه إذا ما سأله عن مصدر معلوماته؟ تدافعت التساؤلات و الافتراضات في ذهن أحمد حتى دخل البيت حيث وجد والديه ينتظرانه بقلق و توتر كبيرين و الوجوم باديا على وجوههما. نظرا إليه في ريبة و في محاولة للاستطلاع أحواله فبادرهما بابتسامة كبيرة و بتحية بصوت عالي مليء بالثقة و التفاؤل أذاب جليد الموقف و أدخل بعض الأمل في قلوبهما فارتفعت معنوياتهما بعض الشيء.

صَفِيَّة: أين كنت يا أحمد؟ لقد قلنا كثيرا عليك فليس من عادتك الخروج في الليل البارد.

أحمد: لقد شعرت بشيء من الضيق فقررت أن أتمشى قليلا لأستعيد نشاطي و هذا كُلِّ ما في الأمر.

صَفِيَّة: و كيف تشعر الآن؟

أحمد: بكل الخير. أشعر أنني في صحة جيدة و بنشاط ممتاز كما أنني أشعر بالجوع الشديد و لدي شهية بأن أكل خروفا كاملا

نزلت هذه الكلمات بردا و سلاما على صَفِيَّة و سي الفاضل فشهية الأكل عادةً ما ترافق الصحة الجيدة أمّا المريض فإنه يكره الأكل و ينفر منه. أليس هذا دليلا على بداية شفاء ابنهما؟

صَفِيَّة: ساعد لك العشاء حالا لقد شويت دجاجة و أعددت السلطات أما الحلو فقد أعددت لك سلطة الفواكه التي تحبها و المُشكلة من الفراولة و الموز و التفاح. أريدك أن تلحس الأطباق كلها.

أسرعت صَفِيَّة إلى المطبخ تُعدّ العشاء بنشاطٍ و همة غير عادية و كأنّ الحياة دبّت في عروقها من جديد. لم يكن حال سي الفاضل أقلّ شأنًا من زوجته فقد رجعت له ابتسامته و استعاد هيئته و ثقته بنفسه. لقد بدأت الهموم تتبدد. إنها سحابة صيف عابرة و ليست نهاية المطاف بالنسبة لابنه الوحيد.

رافق سي الفاضل ابنه إلى المطبخ حيث جلس الجميع إلى الطاولة في حين بقيت صَفِيَّة تحوم حولهما كالنحلة تصفّ الأطباق و المأكولات على الطاولة بحيث تجعل أفضلها أمام ابنها.

بدأ الجميع يأكل بشهية و كأنهم لم يذوقوا الزاد منذ قرون. و من ذا الذي كانت له رغبة في الأكل طيلة الأيام السابقة؟

أحمد: تسلم يدك يا أمي فالأكل لذيذ جدا. أنتِ بحق أفضل من يعدّ الأكل في العالم.

أراد سي الفاضل أن يُدخل جوًّا من الدعابة على الموقف فبادر بالتعليق على طبخ زوجته.

سي الفاضل: لقد تعلمت الطبخ و جربته على معدني فطالما عانيتُ في بداية زواجنا من الأطباق السيئة.

صَفِيَّة: لم أدخل المطبخ قط قبل أن أتزوج فكيف لي أن أطبخ جيدا منذ البداية. لكنني تعلمت بسرعة ليس كذلك؟

سي الفاضل: نعم بالتأكيد فخمس سنوات تعتبر فترة قصيرة لك لكن بالنسبة لي كانت سنوات طويلة جدا ذقت فيها الأمرين بل الأمرار الكثيرة.

صَفِيَّة: لكنك الآن تستمتع بالأدب الأطباق و أجودها. حتّى أن أقاربنا يحسدونك عليها.

سي الفاضل: هذا صحيح. الله لا يحرمننا أبدا من أطباقك الشهية.

عاد الجميع إلى الأكل و كان سي الفضل و صَفِيَّة يلقيان بين الفينة و الأخرى بنظرات خفية لابنهما يراقبان تصرفاته ليطمئنا من خلوها من الغرابة و يتأكدا من شفاءه.

كان أحمد طيلة هذه الفترة يفكر في الطريقة التي يفتتح فيها الحديث مع أبيه حول موضوع الكنز من دون أن يثير شكوكهما و ينغص عليهما فرحتهما باستعادة عافيته. فكان يُقلب الأفكار و ينتقي الأسئلة و الكلمات حتّى استقر رأيه على أمر.

أحمد: لم تخبرنا يا أبي عن تاريخ البيت الذي نساكن فيه. إنّه بيت عتيق يعود إنشاؤه إلى الماضي البعيد فهلا تفضلت بأن تعطينا فكرة عن من شيده و كيف وصل إلينا؟

سعد سي الفاضل بهذا السؤال لسببين أولهما أنّ أحمّد بدأ يهتم بأمور واقعية كتاريخ العائلة و يبتعد عن الهلوسات و ثانيهما أنّه يهوى التحدث عن تاريخ العائلة العريق و عن أجداده المرموقين و هو يفتخر بتاريخه بعد أن لم يغمّ من حاضره ما كان يرجوه.

سي الفاضل: هذا البيت هو أقدم بيت في المنطقة و يعتبر أعرق البيوت في المدينة كلها. لقد قام بتشييده جدي الأول عبد الرحمن و كان من التجار الكبار و فلاحا له مزارع عديدة خارج المدينة

لقد وقع اسم عبد الرحمن على مسامع أحمّد موقعا عظيما. لقد صدق الجني على الأقل في اسم الجد و هذا مؤشر جيد على إمكانية وجود الكنز.

أحمّد: متى قام جدك عبد الرحمن ببناء هذا المنزل؟

سي الفاضل: لقد بدأ ببناء هذا المنزل سنة 1851 فبعد أن ازدهرت تجارة عبد الرحمن و وسع رزقه و كثر أولاده قرر أن يبني منزلا جديدا كبيرا و عصريا في ذلك الوقت طبعاً، تتوفر فيه سبل الراحة و يعكس مقامه الرفيع و مكانته الاجتماعية الجديدة. فاشترى قطعة الأرض هذه و طلب من أمهر البنائين و النجارين و الحدادين البدء في الأشغال التي تواصلت سنتين كاملتين حتّى أصبح جاهزا سنة 1853 كما هو منقوش على سقف مدخل المنزل أي "السقيفة". انتقلت العائلة كلها للعيش هنا و كان هذا المنزل في ذلك الوقت أكبر و أفخم منزل في الحي و ربما في المدينة بعد قصر الباي طبعاً حتّى أنّ البنائين و الحرفيين الذين أنشئوه هم أنفسهم الذين شيدوا قصر الباي.

أحمّد: و كيف وصل هذا البيت إلينا؟

سي الفاضل: لقد توارثته الأجيال حتّى ورثته أنا عن والدي فأنا كما تعلم إبنه الوحيد.

أحمّد: إنك تقول أنّ جدنا الأول عبد الرحمن كان واسع الثراء و لكنني ألاحظ أننا لم نرث من الأموال سوى هذا البيت. فأين ذهبت كلّ تلك الثروة؟

سي الفاضل: لقد مرت البلاد التونسية في السنوات الستين من القرن التاسع عشر بمصائب متتالية فكان من بينها الطاعون الذي ضرب البلاد و أهلك خلقا كثيرا من بينهم أكثر أبناء و أحفاد عبد الرحمن رحمة الله عليهم جميعا و لم يسلم إلا القليل منهم و من بينهم جدي و هذا ما يفسر تقلص حجم عائلتنا و قلة فروعها. كما عمت المجاعة البلاد بعد سنوات جفاف طويلة الشيء الذي جعل القبائل في ذلك الوقت تنثور و كثرت الثورات و الهرج و المرح و السرقة و النهب. لقد خاف عبد الرحمن على أرزاقه من النهب فباع كلّ شيء ما عدا هذا البيت و قرر أن يقوم بفريضة الحج بعد أن خاف من موت مفاجئ يحرمه من القيام بهذه الفريضة خاصة و أنّه فقد الكثير من أبناءه و من أقاربه و لم يعد أحد في البلاد يأمل أن يُعمّر طويلا. لقد صقّى جميع أملاكه و ترك لزوجته بعض المال ينفقها لنفقات فترة غيابه و سافر. لكنه لم يعد أبدا و وصلت الأخبار بعد شهور بأنّه توفي و دفن في مكة.

أحمّد: لقد باع عبد الرحمن كلّ ممتلكاته التي كانت كثيرة و ثمينة فأين أودع المال؟

سي الفاضل: (بتحسر كبير، يطلق تنهيدة عميقة) هذا هو اللغز الكبير و سبب شقاء العائلة من بعده. لم يخبر عبد الرحمن زوجته و لا أولاده عن الأموال التي حصلها من بيع ممتلكاته و أغلب الظن أنّه لم يخطر بباله أن يموت في الحج فأراد الاحتفاظ بالسر على أمل أن يعود و يخرج هذه الأموال من جديد بعد أن تستقر الأمور و يعود الأمن إلى البلاد لكن المنيّة فاجأته ليترك أرملته من دون موارد تتخبط في الحياة بمفردها لتربية ما تبقى من أبناءه و ليعيشوا ظروفًا صعبة.

صَفِيَّة: بالله عليك هل هذا تصرف طبيعي. لقد أخطأ خطأ كبيرا. ماذا لو أودع الأموال عند زوجته ألم يكن هذا بالتصرف الأفضل؟ لقد تسبب في شقاء كامل العائلة لأجيال متعاقبة. لو أنه أودع الأموال لزوجته لكنا اليوم نعيش في مستوى أفضل بكثير مما نحن عليه الآن.

أحمد: وكيف تصرفت أرملته و خرجت من هذا المأزق؟

سي الفاضل: كان عبد الرحمن رجلاً طيباً سخياً و كانت له فضائل على عدد كبير من التجار فلطالما ساعدتهم في تجارتهم و وقف إلى جانبهم في محنتهم و قد احتفظ بعضهم بالجميل و ردوه لأرملته و أبناءه حيث كانوا يقدّمون المساعدات المالية المتواصلة في حين تحمّل أحد التجار مسؤولية تعليم التجارة للابن الأكبر الذي اشتغل عنده لسنوات قليلة قبل أن يمنحه رأس مال بسيط بدأ به تجارته الخاصة و بالتالي خرجت العائلة من الأزمة المالية في وقت قصير و قدرت على تلبية احتياجاتها دون أن تبلغ مستوى العيش الذي كانت تتمتع به في عهد عبد الرحمن. و هكذا تحولت إلى عائلة متوسطة الحال بعد أن كانت ميسورة جداً.

أحمد: لكن ماذا حصل لهذه الأموال التي أخفاها عبد الرحمن؟ ألم يبحث عنها أحد؟

سي الفاضل: لقد بحث جدي طويلاً عنها حتّى أنّه كان يهمل عمله و يُكرّس وقته و جهده للبحث و السؤال عنها لكن بدون جدوى و لطالما بحثت أنا و والدي أيضاً عنها و قلنا المنزل رأساً على عقب و لكن بدون فائدة حتّى استسلمنا كما استسلم جدي و رضينا بما قسمه الله لنا من رزق.

أحمد: أنا أعتقد أنّ المال موجود هنا في البيت بما أنّ عبد الرحمن باع بقية ممتلكاته فمن الأضمن أن يخفي أمواله هنا في مكان يستحيل على أحد أن يجده.

سي الفاضل: لقد قلنا البيت رأس على عقب لعدة مرات و لا أثر لوجود الأموال. لا تزعج نفسك في البحث عنه هنا فربما وضعه في مكان ثاني فمن الممكن أن يكون قد سلمه لشخص على سبيل الأمانة و لكنه لم يرجع الأمانة إلى أصحابها بسبب طمعه فيها أو أي مانع ثاني. لقد سألت جدي كلّ معارف عبد الرحمن و حقق في الموضوع لسنوات طويلة و حتّى مماته و لكن من دون جدوى.

أحمد: هذا دليل آخر على أنّ المال هنا و لم يسلمه عبد الرحمن لأحد.

سي الفاضل: دعك يا بُنيّ من هذا الكنز فقد يأسنا من وجوده و نظمنا حياتنا منذ أكثر من جيلين على الوضع الحالي. الكنز الحقيقي هو في العلم والدراسة، و الأخلاق هي التي تبقى أما الذهب و الفضة فتضيع بسرعة. اهتم بدراستك و احصل على شهادتك الجامعية و هذا أكبر كنز بالنسبة إليك و إلينا جميعاً.

أحمد: هلا سمحت لي بالمحاولة يا أبي فإنّ الموضوع يشغلني بشكل كبير و أشعر أن باستطاعتي العثور على هذا الكنز.

سي الفاضل: لكن بشرط ألا يؤثر ذلك على دراستك و ألا يأخذ من وقتك الكثير

أحمد: أعدك أبي بذلك.

سارع أحمد في إتمام تناول العشاء و انصرف إلى غرفته يحضر بعض الأدوات.

جلس الجميع في قاعة الجلوس لتناول الشاي و لمشاهدة المسلسل التلفزيوني اليومي في حين أخرج أحمد مطرقة خشبية تستعمل عادة في تقشير اللوز و المكسرات و بدأ ينقر برفق على جدران قاعة الجلوس تحت

أنظار والديه اللذان لم يجدا بدا من تركه يفعل ما يشاء. تعمَّد أحمد أن يبدأ النقر من الطرف المقابل للساعة الحائطية أين أخبره الجني بوجود الكُز تحتها حتَّى لا يثير شكوك والديه.

أحمد: أعتقد أنَّ أفضل مكان يمكن لعبد الرحمن أن يخفي الكُز فيه هو إما الجدران السمكية التي تبلغ سماكتها أكثر من ستين سنتيمترا أو الأرضية. و لكن هذا يتطلب أشغالا و من الأكيد أن زوجته لاحظتها و شكت في الأمر.

سي الفاضل: روي لي جدي أنَّ زوجة عبد الرحمن كانت تزور أهلها مرة كل بضعة شهور و تقضي معهم بضعة أيام. ربما استغل غيابها للقيام بهذه الأشغال.

أحمد: ربما.

واصل أحمد نقره على الجدار محاولا تمييز اختلاف في صوت النقر فمن المعلوم أنَّ الفراغ في الشيء ينتج صوتا أقوى من نقر شيء ممتلئ. اقترب أحمد تدريجيا إلى المكان المنشود و كانت دقات قلبه تتسارع مع اقترابه منه أكثر فأكثر. وصل أحمد تحت الساعة الحائطية بالضبط و نقر فإذا بالصوت يختلف. إنَّه يدل على وجود تجويف في الجدار. انتبه سي الفاضل و صَفَّيَّة إلى ذلك أيضا و نظروا لبعضهم البعض بحيرة و تساؤل و لسان حالهم يقول "هل من الممكن أن نعر على الكُز الذي طالما كان منيعا خفيا؟".

هب سي الفاضل و اقترب من أحمد الذي أعاد النقر مرارا عديدة على مناطق مختلفة قريبة من المكان المنشود فكانت أصوات النقر تختلف و هذا ما جعله يحدد بدقة مكان التجويف.

أحمد: أظن أن هُناك تجويفا في هذه المنطقة بالتحديد فهل يمكن أن يخفي هذا التجويف الكُز؟

سي الفاضل: ليس لدي أدنى فكرة عن ذلك فلم يسبق لي أن سمعت أو لاحظت أي شيء عن هذا التجويف.

أحمد: ماذا سنفعل الآن؟

صَفَّيَّة: و هل هذا سؤال صعب؟ سنحفر الجدار بالطبع و نتأكد؟ و ماذا سنخسر حتَّى و لو لم نجد شيئا: قليل من الإسمنت و الرمل و نصف يوم عمل لأحد البنائين و سيعود الجدار كما كان عليه؟

أحمد: سأحضر العدة فلدينا مطرقة حديدية كبيرة تفي بالغرض

غاب أحمد للحظات ثم عاد و معه المطرقة الكبيرة. ساعد سي الفاضل أحمد في إبعاد الأريكة و سحبت صَفَّيَّة السجاد من ذلك المكان حتَّى لا يتسخ بالرمل و الغبار. وضعت صَفَّيَّة أغطية على الأرائك لحمايتها من الغبار أيضا.

أخذ أحمد المطرقة و بدأ يهوى بها على الجدار بعد أن رسم عليه مستطيلا يحدد تقريبا مكان التجويف. كانت دقات المطرقة تهز قلب سي الفاضل الذي طالما حلم بهذا الكُز. بدأ الركام يسقط على الأرضية و بدأت الشقوق تظهر في الجدار و سرعانَ ما ظهر ثقب فيه و ظهر التجويف. توقف أحمد عن الهدم و اقترب الجميع يطلون إلى داخل التجويف لكن الظلمة فيه كانت شديدة فأحضر سي الفاضل ولاعته و أدخل يده في التجويف و أشعل النار لتضيء على منظر رائع. إنَّه صندوق خشبي قديم جدا. نظر الجميع لبعضهم البعض و الفرحة بادية على وجوههم.

سي الفاضل: أنه صندوق قديم يعود لفترة جدي عبد الرحمن أظن أننا وجدنا الكنز.

يعود أحمد للهدم من جديد بنشاط و حماس شديدين ليوسع الحفرة و يتمكن من استخراج الصندوق حتّى بدا عليه الإعياء فأخذ والده عليه المطرقة و بقيا يتناوبان حتّى أحدثا فتحة كبيرة بما يكفي لإخراج الصندوق. حمله أحمد و وضعه على طاولة الصالون و جلس الجميع أمامه صامتين غير مصدقين و قد ابيضت وجوههم و شعورهم من شدة الغبار الذي ملأ المكان. لم يهتم أحد بمنظره بل تركزت أعينهم على هذا الصندوق الخشبي و مساميره الحديدية الكبيرة التي أكل الصدا معظم أجزائها.

سي الفاضل: أنا لا أكاد أصدق عيناى. هذا هو الصندوق الذي طالما بحثنا عنه منذ أجيال و لم نجد له أثرا.

صفية: البركة في أحمد الذي اكتشفه. إن ابني على بركة عظيمة.

أحمد: هل لنا أن نفتحه و نكتشف ما فيه يا أبي؟

بقي الأب مذهولا لم يرّد على سؤال ابنه فأعاد عليه السؤال.

سي الفاضل: نعم لنفتحه.

أخذ أحمد مفكا و بدأ يحاول فتح القفل لكنه لم يفلح فقرر أن يقطع المسامير التي تثبت القفل فانقطعت رؤوس تلك المسامير بسبب تآكلها و انفك القفل. فتح غطاء الصندوق ببطء و الكل يحملق إلى داخله. أطلقت صفية صيحة فرح لم تقدر أن تمنعها. الصندوق مليء بالذهب و المجوهرات. أدخل أحمد يده في الصندوق و بدأ يخرج الذهب و يضعه على الطاولة وسط فرحة و ذهول والديه. جثت صفية على ركبتيها أمام الطاولة و بدأت تلمس القلائد و الأساور و تلبس بعضها بينما اغرورقت عيناى سي الفاضل من هول المفاجأة. إنه يشاهد كلّ تاريخ أجداده ماثلا أمامه. هذا الكنز الذي طالما ملل لغزا محيرا للعائلة.

أكمل أحمد إفراغ الصندوق من محتواه إلا أنّه لاحظ في قاع الصندوق أشياء أخرى. إنها كتب قديمة. أخرجها و وضعها على الطاولة باحثا عن محتويات أخرى فلم يجد أي شيء ثاني.

أخذ سي الفاضل أحد هذه الكتب و تصفحه فإذا به يذهل.

سي الفاضل: إن هذا المخطوط نادر جدا أنّه لابن رشد الأندلسي.

تفحص الكتاب الثاني فإذا به لا يقل أهمية عن الأول

سي الفاضل: هذا المخطوط نادر جدا أيضا أنّه تاريخ الزحف الهلالي. إن هذه المخطوطات وحدها تعتبر ثروة. لقد سمعت من جدي أنّ عبد الرحمن كان مغرما بالمخطوطات النادرة فكان ينفق الأموال بسخاء للحصول عليها و يبدو أن هذين الكتابين هما اللذان نجيا من النهب و السرقة التي تعرضت لهما مكتبته الخاصة.

صَفِيَّة: كم قيمة كل هذا الذهب يا ترى؟

أَحْمَد: يكفي أن نزنه لنعلم قيمته.

أسرع أحمَد للمطبخ و أحضر ميزانا تستعمله صَفِيَّة في الطبخ و صنع الحلويات و بدأ يزن الذهب.

أَحْمَد: إن وزن هذا الذهب يبلغ خمسة عشر كيلو إذا ما اعتبرنا أن وزن الجرام الواحد هو أربعون ديناراً فإن قيمة الذهب تبلغ على أقل تقدير ستمائة ألف دينار.

لاحظ سي الفاضل أن أحمَد لم يزن كيساً صغيراً أحمر اللون رُبط بعناية. أخذه و فتحه ليرى محتواه فإذا به يتأوه بصوت مرتفع. التفت له الجميع متسائلين.

سي الفاضل: إنها أحجار كريمة. خمس فصوص خضراء أعتقد أن قيمة كل واحدة منها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار.

صَفِيَّة: هل تعني أن قيمة هذه المجوهرات تفوق المليون دينار؟

سي الفاضل: هذا ما يبدو فعلاً. و هذا أقل تقدير. إنها ثروة كبيرة تكفيها و ذريتنا للحياة الرغدة لمئات السنين. الحمد لله.

نهض سي الفاضل ليتوضأ و يصلي ركعتين شكرًا لله. بينما بقيت صَفِيَّة تتفحص المجوهرات و تلبسها الواحدة تلو الأخرى بينما غرق أحمَد في أفكاره. لقد صدق الجني و أخرج لنا الكنز. لقد أصبحنا أثرياء جداً في ليلة و ضحاها. كيف ستصبح حياتنا الآن و ما الذي سيتغير فيها؟

بدأت صَفِيَّة تحلم بالسفر و التسوق من أرقى المحلات في العالم. تسارعت شهوات الإنفاق في رأسها و تزامنت فيه أحلام اليقظة و لم تستفق منها إلا على طرق الباب بقوة. فزع الجميع و نظروا لبعضهم البعض.

صَفِيَّة: من تراه القادم إلينا في هذا الليل؟ و ماذا يريد؟

سارع أحمَد لإرجاع المجوهرات في الصندوق و حملة لغرفته بينما نظفت صَفِيَّة شعرها و ملابسه بسرعة من الغبار و توجهت لفتح الباب و هي مضطربة.

التحق سي الفاضل بصَفِيَّة و فتح هو الباب فإذا به يجد سي عَالة و زوجته مُنية و هما جيرانهما الملاصقين. رحب سي الفاضل و صَفِيَّة بهما فدخلتا مبتهمين.

سي عَالة: لقد أردنا الاطمئنان على ابننا أحمَد فلقد سمعنا أنه بعافية

مُنية: إننا نعتبر أحمَد كابن لنا تماماً مثل سناء ابنتنا و نريد أن نطمئن عليه.

سي الفاضل: الحمد لله على كل حال أنه مجرد إرهاب في الدراسة فأحمَد كما تعلمون في السنة الأخيرة من الجامعة و يُرهق نفسه أكثر من اللازم في الدراسة.

يصل الجميع إلى الصالون فيلاحظ الجيران أن المكان غير مُرتب و أن الجدار محفور.

صَفِيَّة: نأسف لعدم استقبالكُم في الصالون فكما ترون إننا نقوم بأشغال ترميم و يمكننا الجلوس في المطبخ.

ينظر سي عَالة إلى زوجته في استغراب و علامات الاستفهام بادية على وجهيهما.

سي عَالة: كُلّ الأماكن متشابهة و المهمّ أن نطمئن على الأحباب.

يتوجه الجميع للمطبخ أين يجلسون حول الطاولة في حين تعد صَفِيَّة الشاي و تقدم لهم بعض المرطبات الّتي أصبحت بارعة في إعدادها.

سي عَالة: أين أحمَد؟ نريد أن نسلم عليه.

سي الفاضل: أنّه في غرفته يأخذ نصيبا من الراحة. سأناديه في الحال.

يتوجه سي الفاضل إلى غرفة أحمَد و يطلب منه الحضور إلى المطبخ ليسلم على سي عَالة وزوجته و يوصيه بألا يخبرهم شيئا عن الكنز لأنهما إنّ علما بشيء فلن يمرّ يوم واحد فقط حتّى يعلم كُلّ من في الحي به.

امتعض أحمَد عند سماعه لاسم سي عَالة و زوجته مُنيّة اللذان يطاردانه في كُلّ مكان و يحاولان جاهدين أن يزوجه ابنتهما الوحيدة سناء. و سناء هذه دلوعة أبيها و أمها. بنت سريعة الغضب و بليدة الذهن تعتقد أن كُلّ شيء في العالم ملكها و تحت تصرفها. إذا تكلمت اقشعر جسم أحمَد اشمئزا من أسلوبها المتعالي و البليد. كان أحمَد دائم التهرب منها و من والديها و لكن شاعت الأقدار أن يولدا في نفس الشهر و أن تتواعد أمه مع مُنيّة أمّ سناء على أن يزوجهما عَندما يكبران. كانت دعاية عابرة صدقتها مُنيّة و زوجها و تشبثا بها.

مضت الدقائق طويلة و عائلة سي الفاضل تسامر ضيوفها الثقّل. حان وقت الانصراف و رافق سي الفاضل و صَفِيّة الجيران نحو الباب مودعين إياهم و شاكرين لطفهم و زيارتهم و بينما يعبر الجميع الصالون فحص سي عَالة و زوجته المشهد بدقة و اهتمام كبيرين فلاحظا قطعتين من الذهب واقعتين على سجاد الصالون بجانب الطاولة لم ينتبه لهما أحمَد و هو يجمع الكنز بسرعة. نظرا إلى بعضهما نظرة ارتياح لكنهما خيّرا عدم السؤال و واصلتا ابتسامتهما المصطنعة و هما يودعان أصحاب البيت. انصرف الضيوف أخيرا و تنفس الجميع الصُعداء.

صَفِيّة: هل تعتقد أنّ سي عَالة و زوجته شكّا في شيء؟

سي الفاضل: لا أدري و لكنهما لم يريا شيئا حتّى يشكان فيه.

صَفِيّة: هل تعتقد أنهما صدقا مسألة ترميم جدار الصالون الّتي نقوم بها؟ ربنا يستر منهما و من عينيّهما.

سي الفاضل: على كُلّ حال يجب توخي الحذر و المحافظة على السرية التامة.

صَفِيّة: دعنا من الجيران و قل لي كيف سنتصرف الآن؟ لقد نَعَصّا علينا فرحة العثور على الكنز.

سي الفاضل: أولا يجب إخفاء الكنز و عدم التصرف فيه بسرعة.

صَفِيّة: ماذا تعني؟ سوف لن نبيع الذهب؟

سي الفاضل: ليس الآن و لو بعنا فستكون بكميات قليلة و تدريجية.

صَفِيَّة: و ما الذي يمنعنا من ذلك فالذهب ملكنا و لا أحد له عَلاَقَة بالموضوع.

سي الفاضل: من واقع خبرتي في الأمور القانونية فإنَّ هُنَاكَ العديد من المشاكل الممكنة. أولها أنَّ النعمة إذا ما ظهرت علينا فجأة فسنُثِير استغراب الآخرين فيبدؤوا يبحثون عن الأسباب و ربما اتهمونا بالسرقة و لا تنسوا وظيفتي في المَحْكَمَة فربما يتهمني البعض بالرشوة و الفساد. ثانياً، إذا ما أنزلنا كمية كبيرة للسوق و أردنا بيعها فسيشك التجار في أننا سرقناه و ندخل في سين و جيم نحن بغنى عنه و في كُلِّ الحالات ستكثر الإشاعات و تلتصق بنا تهمة السرقة حتَّى و إن أثبتنا الحقيقة و اقتنع بها الحاكم فإن الإشاعة لن تتوقف و ستواصل نموها. ثالثاً إذا ما علمت السلطات أننا وجدنا كنزاً فمن المرجح أن تطلب معاينته للتأكد من أنَّه ليس من الآثار و إذا ما قررت أنه يدخل في تصنيف الآثار فليس لنا الحق في التصرف فيه.

صَفِيَّة: يا إلهي هل كُلَّ هذه عوائق قانونية تمنعنا من التصرف في مالنا؟

سي الفاضل: هُنَاكَ أين الضرائب. إذا ما اكتشفوا ظهور الثروة بصفة مفاجئة فإنهم سيطالبوننا بمبالغ كبيرة و سيقطعون جزءاً كبيراً من الكنز لصالح خزانة الدولة.

أحمد: إذن ماذا سنفعل يا أبي؟

سي الفاضل: لا أعلم لكن الأكيد أننا يجب أن نفكر بطريقة تجعل ظهور الثروة أمراً طبيعياً و عادياً. كما أن الثروة يجب أن تظهر بصورة تدريجية.

أحمد: كيف سنفعل في البداية؟

سي الفاضل: يمكن أن نروج لخبر أنني ورثت أحد أعمالمي المهاجرين منذ عقود طويلة في أمريكا و الذي ليس له أبناء. و أنغيب لبعضه أسباباً لأعود للظهور بعدها من جديد و معي مبلغ محترم من المال و هو نصيبي من الإرث المزعوم. ثم نقوم بأي نشاط تجاري كأن نفتح محلات أو نشترى مزرعة فتصبح هذه المشاريع التجارية هي السبب الوحيد الذي يبرر تزايد الثروة.

أحمد: يا عيني عليك يا أبي. إنك عقلية جبارة و تخطيطك السليم حري بأكبر زعماء المافيا.

سي الفاضل: أنت لا تعرف أبالك يا أحمد فلولا الظروف غير الملائمة لكنت زعيماً كبيراً... لكن ليس في المافيا.

بقيت صَفِيَّة صامتة تستمع للحوار و الاستياء ظاهر على وجهها. هي التي كانت تحلم بأن تتفاخر بين جاراتها بالثروة الجديدة و تمنع في ذلك فتظهر زينتها و حُلِيِّها و تروي قصص سفراتها و إطلاعها على غرائب البلدان و لكن لن يكون لها ذلك. ستكون فرحتها في القلب، سرية مكتومة مُنْعَصَة.

أحمد: ماذا يجب أن نفعل أولاً الآن؟

سي الفاضل: أولاً يجب أن نأتي ببناء ليصلح الجدار و نعيد طلائه حتَّى نخفي أثر استخراج الكنز. و يجب أن نفعل ذلك غداً قبل أن يأتي ضيف آخر و يتساءل عن سبب الفتحة في الجدار فيثور ارتياحه. ثم يجب أن نروج لخبر وفاة العم المزعوم في أمريكا و ليست هُنَاكَ طريقة أفضل من أن نسرب الخبر في مقهى الحي أو في السوق. سأذهب إذن للمقهى لأجتمع بأصدقائي و هُنَاكَ سأعلمهم بالخبر و أكيد أنه بعد ساعة زمن فقط سيكون نصف الحي على الأقل على علم بالموضوع و لن يمضي يومان حتَّى يعلم الجميع و من المؤكد أن

الزيارات ستكثر لبيتنا لذا يجب علينا إصلاح الجدار غدا. أيضا ستنتشر صَفِيَّةُ الْخَبَرِ في السُّوقِ بين جاراتها و صديقاتها و بين بعض الباعة و بالتالي نتأكد بأنَّ الْخَبَرَ سينتشر من مصدرين مختلفين و يصبح يقينا.

أَحْمَدُ: ثم ماذا؟

سي الفاضل: سوف أطلب إجازة من العمل لنفس الأسباب و ستكون إجازة طويلة لا تقل عن ثلاثة أسابيع نختفي خلالها جميعا في مكان بعيد عن المدينة لنعود بعدها محملين بالأموال الوفرة. أقترح أن نذهب لمدينة عَيْنَ دَرَاهِمَ فمُنْظَرُ الثَّلُوجِ في جبالها رائع في هذه الفترة من السنة. و هي مدينة بعيدة على الأنظار. نستأجر فيها شقة مفروشة للأسابيع الثلاثة التي سنقضها بعيدا عن الحي.

صَفِيَّةُ: فكرة جيدة فطالما رغبت في المشاهدة منظر الثلوج و الغابات و الجبال. سوف نتنفس هواء نقياً و نغير الجو. ولكن الطقس هُناكَ بارد جدا و قد يعيق حركتنا

أَحْمَدُ: على كُلِّ حَالٍ سنأخذ ما يلزم من الملابس الثقيلة الدافئة. كما أن حركتنا يجب أن تكون قليلة و محدودة فالمفروض أننا في أمريكا و يجب أن نقلل من إمكانية مقابلتنا لأحد نعرفه أو على الأقل يعرفنا.

سي الفاضل: رأي صائب يا أَحْمَدُ فيجب أن تكون حركتنا محدودة ومقتصرة فقط على الأمور الضرورية.

صَفِيَّةُ: متى سننطلق إذن؟

سي الفاضل: يجب إصلاح الجدار و ترويح خَبَرِ الْإِرْثِ غدا. سننتظر يومين آخرين حتَّى يطمئنَ الْجَمِيعُ لِلْخَبَرِ و يصدقونه أقدم خلالها طلب الإجازة من العمل. سنكون جاهزين بعد أربعة أيام أي سننطلق يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ إن شاء الله. يجب أيضا أن أطلب سُلْفَةَ من العمل حتَّى نواجه بها مصاريف التنقل و الإقامة في عَيْنَ دَرَاهِمَ.

أَحْمَدُ: و لماذا لا نبيع قطعة صغيرة من الذهب فنحصل على المال المطلوب دون الحاجة للسُلْفَةِ و انتظار الموافقة عليها؟

سي الفاضل: لا أشاركك الرأي فمن المفروض أننا لم نستلم بعد الْإِرْثِ أي أننا لا نحتكم على المال الضروري لمواجهة حتَّى مصاريف التأشيرة و السفر و بالتالي سيكون من الطبيعي أن أطلب السُلْفَةَ بل أن عدم طلبي لها ربما يثير الشكوك لدى زملائي في العمل.

أَحْمَدُ: صحيح أنك عقلية جبارة يا أبي. هل أنت متأكد بأنك لم تكن "آل كابون"¹ في حياة ماضية؟

سي الفاضل: (مبتسما و قد أعجبه الإطراء) تأدب يا ولد!

دقت الساعة الحائطية و أشارت عقاربها لمنتصف الليل. ينظر سي الفاضل في ساعته فيطلب من الجميع الخلود للنوم و أخذ نصيب من الراحة استعداد للجهود الكبيرة التي سيقومون بها في الأيام القليلة القادمة. استحسن الجميع رأيه خاصة و أنَّ أعصابهم تلقت صدمة كبيرة بعثورهم على الكنز الذي سيغير كلياً مجرى حياتهم. سيأوي كُلُّ إلى فراشه لكن هل يقدر أحد أن يغمض عينيه أو هل سيقدر النوم أن يتسلل إلى دماغه الذي سيبقى يعمل بأقصى سرعته: يتخيل الحياة القادمة و يخطط لمشاريع و أحلام وردية.

¹ "آل كابون" هو أحد أكبر زعماء المافيا

يدخل أَحْمَدُ غرفته و هو غير مصدق تماما لما يجري. هل حقيقة وجدوا الكنز؟ هل أصبحوا حقيقة أثرياء؟ كيف ستكون حياتنا القادمة؟ بقيت الأفكار و التساؤلات تتدافع في ذهنه دون هوادة و هو يغير ملابسه ويرتدي ملابس النوم. أطفأ أَحْمَدُ الأنوار و استلقى أَحْمَدُ على فراشه فإذا به يلمح شبحا مائلا على الأريكة الواقعة على يمين السرير. أشعل نور المصباح الجانبي بسرعة فإذا به يجد عبد الله جالسا و واضعا رجلا على رجل ينظر إليه مبتسما كعادته.

- أَحْمَدُ: هذه أول مرة أكون سعيدا بمقابلتك
- عبد الله: ألم أقل لك أنك ستجدي بإذن الله مفيدا جدا لك. ها أنني أعطيتك دليلا أولا عن مدى نفعي لك
- أَحْمَدُ: صدقت و الله يا عبد الله. أعترف بأنني كنت أشك في كلامك فمن ذا الذي يصدق جنيا؟
- عبد الله: تأدب يا أَحْمَدُ. فالجن من خلق الله و منهم الصادقون و منهم الفاسقون. و لماذا لا تصدق جنيا؟
- أَحْمَدُ: أعترف لو أنني قللت من احترامي لك.
- عبد الله: دعنا من هذا الآن. و أخبرني بمشاريعك المستقبلية فالثروة التي حصلت عليها الليلة كبيرة جدا.
- أَحْمَدُ: مازالت الأفكار تتضارب في دماغي و لكن يجب علينا في البداية تبرير ظهور الثروة و هذا ما سيمنعنا في التصرف المباشر فيها و ما سيحد من حريتنا حتى أن فرحة أمي نُغصت بذلك. هل لك أن تحل هذه المشكلة من أجلنا؟
- عبد الله: أنا مجرد جني و لست بمسؤول إداري في البلد ثم ماذا تريد مني أن أفعل أكثر ما فعلت. لقد دليتكم على مكان كنز كبير و هذا ما أستطيع فعله أما التعامل مع الإدارة و الحكومة فإنني أعترف بعجزني التام فلا الإنس و لا الجن بقادرين عليها. لا أملك لكم إلا الدعاء و الصبر.
- أَحْمَدُ: (ضاحكا) حتى أنتم معشر الجن عاجزون أمام إدارات الدولة و بيروقراطيتها و قوانينها المكبلة؟
- عبد الله: ايه و الله لا احد بقادر عليها. إن كل شيء يهون أمام هذا المخلوق الغريب الذي صنعتموه معشر البشر و الذي اسمه الإدارة و التي من المفروض أن تسهل و تنظم حياتكم فإذا بها تسبب لكم الكثير من المشاكل ربما أكثر مما تحل.
- أَحْمَدُ: أليست لكم إدارة أنتم معشر الجن؟
- عبد الله: و ماذا سنفعل بها. إننا مجموعة قبائل نأتمر بزعيمنا و نتصرف بحرية أكثر منكم. لنا عاداتنا و قيمنا نعمل على احترامها و انتهى الموضوع.
- أَحْمَدُ: و ماذا إذا خالف أحدكم هذه القوانين و القيم؟
- عبد الله: إذا ما تجاوز أحدنا حدوده يجتمع مجلس القبيلة و يقررون نبذه منها. فيصبح منبوذا شبيها بالشيطان و أولاده الذين ننذهم و لا نتعامل معهم إطلاقا نحن المؤمنون من الجن.
- أَحْمَدُ: لقد قررنا أن نذهب لعين دراهم لفترة ثلاثة أسابيع. هل تعلم ذلك؟
- عبد الله: (ضاحكا) طبعا أعلم. إنني على دراية بكل ما يحصل.
- أَحْمَدُ: هل تعني أنك كنت معنا في الصالون عندما اكتشفنا الكنز؟
- عبد الله: بالطبع نعم. و أعجبني تظاهرك بعدم معرفة مكان الكنز و طرقك على مختلف أنحاء جدران الصالون قبل الوصول للمكان المعلوم. إنها حركة ذكية منك.
- أَحْمَدُ: لكنني لم أراك؟
- عبد الله: إنك تراني عندما أريد أنا فقط أن أظهر لك.
- أَحْمَدُ: هل هذا يعني أنك يمكن أن تكون في أي مكان دون أن أعرف بوجودك فتراني و لا أراك؟
- عبد الله: بالضبط.

- **أَحْمَدُ:** (و قد ظهر عليه الاستياء) هل تعني أنك تكون معي في الحمام و عِنْدَمَا أُغِيرَ ملابسِي؟
- **عبد الله:** أولا نحن معشر الجن المؤمنين نستحي أن ندخل على البشر في خلواتهم و نتركهم و شأنهم في أمورهم الخاصة. و ثانيا نحن لا نهتم بأجسامكم و لا يثيرنا و لا يهمننا إطلاقا مشاهدتها عارية فطبيعة تركيبتنا كما قلت لك سابقا مختلفة عن تركيبتكم. لا تستهويننا أجسادكم المخلوقة من طين و لا نجد أية متعة في مشاهدتكم و أنتم تستحمون مثلا.
- **أَحْمَدُ:** ألا يستهويكم منظر زوجين في لحظات حميمية؟
- **عبد الله:** و هل يستهويك أو يثيرك أنت منظر شعاعين من نور يتداخلان و يمتزجان ببعضهما البعض؟
- **أَحْمَدُ:** لا أبدا.
- **عبد الله:** و نحن لا يثيرنا تداخل أجسامكم أو أشكالها. ما يهمننا فقط فيكم معشر البشر هو سلوككم و تصرفاتكم.
- **أَحْمَدُ:** رغم كل شيء أطلب منك أن تعذني بالابتعاد عني عِنْدَمَا أُغِيرَ ملابسِي أو عِنْدَمَا أكون في الحمام.
- **عبد الله:** ثق من ذلك. و على كل حال فيمكنك صرف الشياطين عند دخولك للحمام و ذلك بقراءتك لدعاء دخول الخلاء و هو " اللهم إني أعوذ بك من الخبث و الخبائث ".... سأتركك الآن لترتاح و سنلتقي غدا إن شاء الله.

يختفي عبد الله لتعود الأريكة فارغة من جديد. و على الرغم من تطمينات عبد الله لأَحْمَدُ إلا أنه أصبح يأخذ حذره و يلتفت يمنة و يسرة عند دخوله للحمام و يرتدي ملابسه بسرعة.

🚩 الأحد 11 مارس صباحا في السوق

تَلْتَقِي صَفِيَّةَ بِمُنِيَّةَ جارتها في سوق الخضر فتُفَاتِحُها في موضوع إرث زوجها مِنْ عَمِّه في أمريكا و أَنَّهُمْ على وَشَلِكِ السَّفرَ لأمريكا لإنهاء الإجراءات. تَنْصَحُ لَصَفِيَّةَ و مُنِيَّةَ بِبَعْضِ الجارات الأَخْرِيَّاتِ اللّواتي يَنْسَوْنَ و سُرْعَانَ ما تُبارِكِ النِّسوةَ لَصَفِيَّةَ على هذا الْخَبَرِ السَّعيدِ مُبَشِّرَاتٍ فَرِحَتْهُنَّ و بِمُجَرَّدِ أَنْ تُبَشِّرَ صَفِيَّةَ عَنْهُنَّ يَنْهَامَسْنَ فيما بَيْنَهُنَّ عَنْ سَبَبِ حُسْنِ حَظِّ صَفِيَّةَ و يَنْدِينَ تَعَثَّرَ حَظَّهُنَّ. لماذا هي بالذات التي تُنْزَلُ عليها ثُرُوةٌ مِنَ السَّمَاءِ. تُلْعَنُ النِّسوةُ حَظَّهُنَّ الْعَاثِرَ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي نَبْرَةٍ و إِنَّ خَلَّتْ مِنَ الْحَسَدِ فَلَنْ تَخْلُو أَبَدًا مِنَ الْغَيْرَةِ.

غَادَرَتِ صَفِيَّةَ السُّوقَ و قَدْ أُلْجِزَتِ مُهَمَّتُهَا بِنَجَاحٍ. لَنْ يَطْلُبَ إِنْتِشَارَ الْخَبَرِ فِي الْحَيِّ الْآنَ، أَكْثَرَ مِنْ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ أَوْ يَوْمًا على أَقْصَى تَقْدِيرٍ وَ يَجِبُ الْآنَ الاسْتِعْدَادُ لاسْتِقْبَالِ الْجِيرَانِ فِي زِيَارَاتِ تَهْنِئَةٍ وَ مُبَارَكَةٍ فِي ظَاهِرِهَا وَ تَحْقِيقٍ وَ تَدْقِيقٍ فِي الْخَبَرِ فِي بَاطِنِهَا. يَجِبُ أَنْ تُكُونَ الْأَجُوبَةُ جَاهِزَةً على كُلِّ الاسْتِيفَسَارَاتِ الْمُمَكِّنَةِ. يَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَسْتَعِدَّ صَفِيَّةَ و زَوْجَهَا لِلطَّلَبَاتِ الَّتِي سَتَنْهَالُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْجِيرَانِ وَ الْمُقَرَّبِينَ وَ حَتَّى مِنَ الْبُعِيدِينَ. فَالْكُلُّ سَيَطْمَعُ وَ يَعْتَبِرُ أَنْ لَهُ نَصِيبًا مِنْ ثُرُوتِهِمَا وَ هِيَ حَقٌّ مَعْلُومٌ تَقْرُضُهُ حُقُوقُ الْجِيرَةِ وَ الْعِشْرَةِ. هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ الزَّوْاجَ وَ تَنْقُصُهُ الْإِمْكَانِيَّاتِ وَ هُنَاكَ مَنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ وَ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ مَشْرُوعًا تِجَارِيًّا لِيُحَسِّنَ مِنْ وَضْعِهِ الْمَالِيِّ وَ الْاجْتِمَاعِيِّ وَ هُنَاكَ مَنْ يَحْتَاجُ لِلْعِلَاجِ وَ لَا يَقْدِرُ على مَصَارِفِهِ وَ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ فَرِيضَةَ الْحَجِّ أَوْ الْقِيَامَ بِعُمْرَةٍ وَ هُنَاكَ... وَ هُنَاكَ...

الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لَصَفِيَّةَ وَ زَوْجِهَا إِنَّ رَدًّا أَحَدَهُمْ خَائِبًا. سَتَجْلِدُهُمُ السَّيْنَةُ جَدَادَ لَا تَرْحَمُ. وَ على كُلِّ حَالٍ سَتَجْلِدُهُمُ الْأَلْسِنَةُ سِوَاءِ اسْتَجَابُوا لِطَلَبَاتِ الْآخَرِينَ أَمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا.

الاثنين 21 مارس في المحكمة مقر عمل سي الفاضل

نَشَرَ سي الفاضل الخبر في الإدارة التي يَعْمَلُ بها في المحكمة و سُرْعَانَ ما انْهَالَتْ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَات و تَلَقَّى زِيَارَاتٍ مِنْ زُمَلَاءِهِ حَتَّى الَّذِينَ لَا تَرْتَبِطُهُ بِهِمْ عِلَاقَةٌ جَيِّدَةٌ. الْبَعْضُ يُمَنِّي النَّفْسَ بِسُلْفَةِ مِنْ زَمِيلِهِمْ 'الْكَرِيم' سي الفاضل و الْبَعْضُ يَطْمَحُ فِي إِعَانَةٍ. و لَمْ يَتَرَدَّدْ رَئِيسُ سي الفاضل الْمُبَاشِرِ فِي الْمُوَافَقَةِ عَلَى طَلْبِ الْإِجَازَةِ و طَلْبِ السُّلْفَةِ قَوْرًا و كَأَنَّهُ بِذَلِكَ يُسَبِّقُ قَضَا و خِدْمَةً تَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَسْتَمْتِرَها فِيْمَا بَعْدَ.

لَمْ يَكْتَفِ سي الفاضل بِنَشْرِ الْخَبَرِ فِي مَقَرِّ عَمَلِهِ بَلْ تَعَمَّدَ الْمُرُورَ بِمَقْهَى الْحَيِّ و الْاِخْتِلَاطَ بِرُوَادِهِ و لَعِبَ الْوَرَقَ مَعَهُمْ مِمَّا سَمَحَ لَهُ بِتَرْوِيجِ الْمَعْلُومَةِ و تَأْكِيدِهَا لِمَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِهَا و هُوَ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْمَقْهَى يُمَثِّلُ أَهَمَّ وَكَالَةَ إِعْلَامٍ فِي الْحَيِّ فَكُلُّ الْأَخْبَارِ و حَتَّى الشَّائِعَاتِ تُوَلَدُ و تَنْمُو فِي الْمَقْهَى.

فِي نَفْسِ الْيَوْمِ أَحْضَرَ سي الفاضل بَنَاءً و اشْتَرَى لَهُ مَا يَلْزَمُ لِتَرْمِيمِ الْجِدَارِ و لَمْ يَأْخُذْ ذَلِكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ فَعَادَرَ الْبَنَاءَ و نَظَّفَ سي الفاضل و صَفَّيَ الْمَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَهْلَ رَكْبُ الزُّوَارِ.

أَوَّلَ مَنْ زَارَ الْعَائِلَةَ فِي عَصْرِ نَفْسِ الْيَوْمِ هُوَ سي عِلَّالَةٌ و زَوْجَتُهُ مُنْيَةُ. كَانَتْ الزِّيَارَةُ مُنْتَظَرَةً و كَانَتْ الْاِبْتِسَامَاتُ أَعْرَضَ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ. أَصْبَحَتْ التَّلْمِيحَاتُ لِزَوَاجِ أَحْمَدَ بَسَاءً أَكْثَرَ صَرَاحَةً و إِحَاحًا. كَيْفَ لَا و قَدْ تَأَكَّدَا الْآنَ أَنَّ أَحْمَدَ أَصْبَحَ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ و يَجِبُ ضَمَانُ حَقِّهِمْ و تَدْعِيْمُهُ فِي هَذِهِ الثَّرْوَةِ بِصِلَةِ الْمَصَاهِرَةِ.

عَاشَتْ الْعَائِلَةُ أَيَّامَ الْاِثْنَيْنِ و الثَّلَاثَاءِ فِي كَابُوسِ الزِّيَارَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ "لِلْأَحْبَابِ" و الْجِيرَانِ حَتَّى أَنَّ سي الْفَاضِلَ اضْطُرَّ لِإِعَادَةِ شِرَاءِ الْقَهْوَةِ و الشَّايِ و السَّكَّرِ لِأَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. كَانَتْ الْأَسْئَلَةُ مُتَشَابِهَةً و مُتَكَرِّرَةً و مُتَفَاوِتَةً فِي جُرْأَتِهَا و حَتَّى فِي وَقَاحَتِهَا. تَمَرَّسَ سي الْفَاضِلُ و زَوْجَتُهُ فِي الْإِجَابَةِ عَلَيْهَا و حَفَظَهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. تَرَكَمَتْ أَيْضًا الْهَدَايَا فِي بَيْتِ سي الْفَاضِلِ فَهَذَا وَعَاءٌ مِنْ عَسَلٍ أَقْسَمَ جَارُهُ عَلَى أَنَّهُ عَسَلٌ حُرٌّ مَائَةً بِالْمِائَةِ قِطْعَةً بِيَدِهِ مِنْ خَلِيَّةِ النُّحْلِ و لَمْ يَقْبَلْ لِغَيْرِ سي الْفَاضِلِ بِأَنْ يَهْنِئَ و يُعَوِّيَ جِسْمَهُ بِهِ و هَذِهِ قِطْعَةٌ فُمَاشَ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ الْقَانِي أَصْرَتِ إِحْدَى الْجَارَاتِ، الْمُتَعَوِّدَةُ عَلَى السَّفَرِ لِّلرُّكْيَا و جَلِبِ الْمَلَابِسِ لِلتَّجَارَةِ فِيهَا، عَلَى إِهْدَائِهَا لِحَبِيبَتِهَا و جَارَةٍ عُمُرُهَا صَفِيَّةٌ حَتَّى تُخِيطَ مِنْهَا قُفْطَانًا جَمِيلًا يَلِيْقُ بِمَقَامِهَا الرَّفِيعِ و هَذَا مُعْطَفٌ مِنَ الْجِلْدِ الطَّبِيعِيِّ أَصْرًا صَاحِبَ مَتَجَرِّ الْمَلَابِسِ الْمُسْتَوْدَةِ عَلَى إِهْدَاءِ "لِلْبَنَةِ و فَلَدَةِ كَبِدِهِ" أَحْمَدَ كَيْ يَقِيَهُ مِنَ بَرْدِ الشِّتَاءِ و يَقَاخِرَ بِهِ أَمَامَ أَقْرَانِهِ فِي الْكُلِّيَّةِ و هَذَا "شَنَابُ" الْجَزَّارِ يُهْدِي كِتْفًا كَامِلًا مِنْ لَحْمِ الضَّأْنِ مَرْفُوقًا بِالْكَبْدَةِ لِصَدِيقِ عُمُرِهِ سي الْفَاضِلِ و هَذَا... و هَذَا... تَجَمَّعَ فِي الْبَيْتِ كَمُ كَبِيرٍ مِنَ الْهَدَايَا الْمُتَنَوِّعَةِ و الْمُتَفَاوِتَةِ فِي الْقِيَمَةِ، لَمْ يَقْدِرْ لَا سي الْفَاضِلُ و لَا صَفِيَّةٌ عَلَى رَدِّهَا فَكَانَ كُلُّ زَائِرٍ يَحْفَلُ بِأَعْلَظِ الْأَيْمَانِ و بِكُلِّ مَا هُوَ غَالِي و نَفِيسٌ بِالْأَثَرِ هَدِيَّةً و أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي قِيَمَةِ الْغَضَبِ و الْإِحْبَاطِ لَوْ لَمْ تُنْقَبَلْ. يُدْرِكُ سي الْفَاضِلُ أَنَّ وَرَاءَ كُلِّ هَدِيَّةٍ طَلِبًا و رَجَاءً و إِنَّ لَمْ يَكُنْ عَاجِلًا فَهُوَ لَا مُحَالَةَ أَجَلٍ و أَنَّ كُلَّ هَدِيَّةٍ سَتُكَلِّفُهُ أَضْعَافَ قِيَمَتِهَا فِيْمَا بَعْدَ. إِذْهَشَ الْجَمِيعُ مِنَ فَيْضِ الْمَحَبَّةِ الْعَارِمَةِ الَّتِي أَعْرَقَتْهُمْ فَجَاءَ و بَقِيَ أَفْرَادُ الْعَائِلَةِ يَتَنَدَّرُونَ بِتَصَرُّفَاتِ جِيرَانِهِمْ و يَسْتَعْرِبُونَهَا غَيْرَ مُصَدِّقِينَ تَهَافُتِهِمْ عَلَى التَّوَدُّدِ مِنْهُمْ بِكُلِّ الْأَشْكَالِ الْمُمْكِنَةِ.

لَقَدْ انْتَهَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ بِصُعُوبَةٍ و قَدْ خَرَجَ مِنْهَا سي الْفَاضِلُ بِقَايِمَةٍ طَوِيلَةٍ، و مُرَشَّحَةً لِأَنْ تَطُولَ أَكْثَرَ، مِنَ الطَّلَبَاتِ و كَأَنَّهَا أَصْبَحَتْ دُيُونًا ثَقِيلًا كَاهِلَةً. لَمْ يَقْدِرْ سي الْفَاضِلُ عَلَى الْاِعْتِذَارِ عَنْ طَلِبَاتِ الْجِيرَانِ و كَانَتْ إِجَابَاتُهُ دَائِمًا عَلَى وَزْنِ "إِنْشَاءِ اللَّهِ خَيْرٌ"، "رَبَّنَا يُسَهِّلْ"، "نَحْنُ لَا نَتَأَخَّرُ..." هَلْ وَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْقِفٍ صَعَبٍ؟ هَلْ سَيَقْدِرُ أَنْ يُوفِيَ بِكُلِّ عَهْدِهِ؟ بَلْ و هَلْ سَيَقْدِرُ أَنْ يَتَصَلَّ مِنْهَا؟ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْوَقْتُ لَمْ يَحِنْ لِذَلِكَ بَعْدَ و لِكُلِّ حَدَثٍ حَدِيثٍ. نَعَصَ هُجُومُ الْجِيرَانِ بِطَلِبَاتِهِمْ و هَدَايَاهُمْ عَلَيْهِ فَرَحَتَهُ بِالْكَثَرِ و تَحَمَّلَ أَعْبَاءَ و ضَغُوطًا كَبِيرَةً قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ جَبِيَّةُ الدَّنَانِيرِ الْأُولَى مِنَ الثَّرْوَةِ و بَدَأَ سي الْفَاضِلُ يَتَسَاءَلُ: "هَلْ أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ أَمْ نِقْمَةٌ؟".

في سهرة يَوْمِ الثلاثاء تساءل أفراد العائلة عَنْ كَيْفِيَةِ التَّصَرُّفِ فِي الكَنْزِ أثناء غيابهم عَنْ البيت لفترة ثلاثة أسابيع. استبعدوا فكرة حملهم للكَنْز معهم خوفاً عَلَيْهِ مِنَ السَّرَقَةِ أَوْ الضَّيَاعِ خَاصَّةً وَ أَنَّهُ ثَقِيلُ الْوِزْنِ نِسْبِيًّا وَ اسْتَقَرَّ الرَّأْيُ عَلَى إِخْفَاءِهِ جَيِّدًا فِي الْمَنْزِلِ فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ بِوُجُودِهِ مِنْ جِهَةٍ وَ الْكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ عَائِلَتَهُ سَيُفَاضِلُ الْمُتَوَسِّطَةَ الْحَالِ وَ لَا تُثِيرُ مَطَامِعَ السَّارِقِينَ. كَمَا أَنَّ إِخْفَاءَ الْكَنْزِ بِطَرِيقَةٍ خَلَّاقَةٍ يُعْطِي الْجَمِيعَ نَوْعًا مِنَ الْإِطْمِئْنَانِ. اقْتَرَحَتْ صَفِيَّةُ بَأْنُ تُخْفِي الْكَنْزَ فِي جَرَّةِ الزَّيْتِ وَ بِالنَّالِي يَسْتَحِيلُ عَلَى السَّارِقِ أَنْ يَقْكُرَ فِي الْبَحْثِ دَاخِلَ جَرَّةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِزَيْتِ الزَّيْتُونِ. اسْتَحْسَنَ الْجَمِيعُ الْفِكْرَةَ وَ عَبَّرَ سَيُفَاضِلُ عَنْ إِعْجَابِهِ بِهَا وَ عُلِقَ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ وَصَفَ أُمَّهُ بِحَرَمٍ "لِ كَابُونِ" إِشَارَةً إِلَى وَالِدِهِ.

الأربعاء 14 مارس - الثامنة صباحاً - في الطريق إلى عَيْنِ دَرَاهِمِ

تَنَفَّسَ الْجَمِيعُ الصُّعْدَاءُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الأربعاء وَ هُمْ يَغَادِرُونَ مَنْزِلَهُمْ مُتَفَاجِئِينَ بِعَدَدِ الْمُودَعِينَ الْكَبِيرِ الْمُتَرَبِّصِينَ بِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَأَصْحَابُ الدَّكَاكِينِ يُرَاقِبُونَهُمْ مِنْ مَتَاجِرِهِمْ وَ النِّسْوَةُ تُطْلُ عَلَيْهِمْ وَ تُحْيِيْنَهُمْ مِنْ التَّوَافُذِ.

انطلقت سَيَّارَةُ الْأَجْرَةِ بِهِمْ إِلَى "عَيْنِ دَرَاهِمِ" الَّتِي تَبْعِدُ مَا يَقَارِبُ مَائَتِي كِيلُومِتر عَنْ مَدِينَتِهِمْ. كَانَ سَيُفَاضِلُ قَدْ اتَّفَقَ مَعَ أَحَدِ السَّمَّاسِرَةِ هُنَاكَ بِالْهَاتِفِ عَلَى أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ فِي مَحْطَةِ سَيَّارَاتِ الْأَجْرَةِ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْمَدِينَةَ وَ بِأَنْ يَصْطُحِبَهُ مُبَاشَرَةً إِلَى الشُّقَّةِ الْمَفْرُوشَةِ الَّتِي اتَّفَقَا عَلَى تَاجِيرِهَا وَ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعٍ كَامِلَةٍ. لَقَدْ وَجَدَ رَقْمَ هَاتِفِ السَّمَّاسَرِ فِي إِعْلَانٍ بِجَرِيدَةٍ يَوْمِيَّةٍ يَدْعُو الْقَرَاءَ لَزِيَارَةِ "عَيْنِ دَرَاهِمِ" وَ يَعِدُهُمْ بِإِقَامَةٍ طَيِّبَةٍ هُنَاكَ.

لَقَدْ شَعَرَ الْجَمِيعُ بِأَنَّ الضَّغْطَ الْمُسَلَّطَ عَلَيْهِمْ طِيلَةَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْمَاضِيَةِ قَدْ اخْتَفَى بِمُجَرَّدِ أَنْ ابْتَعَدَتْ سَيَّارَةُ الْأَجْرَةِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَ أَنَّ بَدْأَ الْبُنْيَانِ بِالِاخْتِفَاءِ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ. كَانَ الْمَنْظَرُ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ بِهِجَا قُحْضَرَةِ الرَّبِيعِ عَمَّتِ الْحَقُولَ وَ تَفَتَّحَتْ الْأَزْهَارُ الْبَرِّيَّةُ ذَاتِ الْأَلْوَانِ الْبَيَاضِ وَالصُّفْرَاءِ وَ الْحُمْرَاءِ فَأَعْطَتْ لِلْمَنْظَرِ بَهَاءً إِضَافِيًّا عَزَّزَتْهُ أَشْعَةُ شَمْسِ الصُّبْحِ الدَّافِئَةِ الْمُنْعَكِسَةِ عَلَى قُطْرَاتِ الْوَدَى الَّتِي تُبَلِّلُ الْأَوْرَاقَ وَ الْأَزْهَارَ فَتَجْعَلُهَا تَتَلَأَلُ. أَيَّامُ الرَّبِيعِ مَحْدُودَةٌ وَ قَصِيرَةٌ مَهْمَا طَالَتْ وَ لَكِنَهَا كَافِيَةٌ بِأَنْ تَبْعَثَ الْأَمَلَ فِي النُّفُوسِ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا زَوَاجِعُ الشِّتَاءِ وَ هُجِيرِ الصَّيْفِ وَ سَمَاءُ الْخَرِيفِ الرَّمَادِيَةِ الْمُتَلَبِّدَةِ. كَانَ الْجَمِيعُ يَسْتَمْتَعُ بِمَنْظَرِ الرَّبِيعِ يَبْسُطُ سَيِّطَرَتَهُ عَلَى الْمَكَانِ وَ يَأْخُذُ نَصِيبَهُ مِنَ السَّنَةِ فِيهِ، فِي حِينِ كَانَتْ مَخِيلَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ تَعِيشُ رِبْعِيَّهَا الْخَاصَّ فَالْثَّرَوَةَ الْجَدِيدَةَ خَلَقَتْ رِبْعِيَّاً يَانِعاً فِي حَيَاةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ التَّقْشِفِ وَ الْعِيشِ حَسَبِ الْجَدُولِ الصَّارِمِ الَّذِي يُقَنَّ كُلَّ إِنْفَاقٍ فَيَجْعَلُهُ عَقْلَانِيًّا لَا يَسْمَحُ لِلنَّفْسِ بِاتِّبَاعِ هَوَايَا.

اقتربت السَيَّارَةُ مِنْ عَيْنِ دَرَاهِمِ وَ بَدَأَتْ فِي صُعُودِ الْجِبَالِ وَ طَرَقَاتِهَا الْمَلْتَوِيَّةِ الْمَخِيفَةِ. سِحْرُ جَمَالِ الْجِبَالِ وَ الْوُدْيَانِ رَافَقَتْهُ الرَّهْبَةُ مِنَ الِارْتِفَاعِ وَ الْخَوْفُ مِنَ السَّقُوطِ فِي إِحْدَى هَذِهِ الْوُدْيَانِ الْعَمِيقَةِ. وَزَعُ السَّائِقِ عَلَى الْجَمِيعِ أَكْيَاسًا بِلَاسْتِيكِيَّةٍ تَحْسَبَا لِأَنْ يَنْقَيَّا أَحَدُهُمْ. وَ بِالْفَعْلِ لَمْ تَمُرْ سِوَى بَضْعَةٍ دَقَاقِ قَبْلَ أَنْ تَنْقَيَّا صَفِيَّةُ فَلَمْ تَعُدْ تَحْتَمِلْ رُؤْيَا الْوُدْيَانِ السَّحِيقَةِ وَ لَا دَوْرَانَ السَيَّارَةِ الْمُتَوَاصِلِ وَ هِيَ تَسْلُكُ الطَّرِيقَاتِ الْمَلْتَوِيَّةِ. لَمْ يَكُنْ حَالُ لَا سَيُفَاضِلُ وَ لَا أَحْمَدُ بِالْأَفْضَلِ رَغْمَ تَظَاهُرِهِمَا بِالتَّحْمَلِ وَ رِبَاطَةِ الْجَاشِ فَالْكُلِّ كَانَ يَسْتَرْجِعُ صُورَةَ الْحَافِلَاتِ وَ السَّيَّارَاتِ الَّتِي انْقَلَبَتْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْوُدْيَانِ وَ الَّتِي تَبْلُغُهَا مِنْ حِينٍ لِآخِرِ نَشْرَاتِ الْأَخْبَارِ. كَانَ السَّائِقُ يَضْحَكُ وَ يَنْتَدِرُ طَوَالَ الْوَقْتِ وَ هُوَ يَلَاظُ وَجْهَ الرِّكَّابِ تَتَلَوْنَ بِكُلِّ الْأَلْوَانِ، يَطْمَنُّهُمْ حِينًا وَ يَدَاعِبُهُمْ حِينًا آخَرَ. إِنَّهُ يَعْمَلُ كَسَائِقِ سَيَّارَةِ أَجْرَةٍ عَلَى هَذَا الْخَطِّ مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ وَ عَشْرِينَ عَامًا وَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ أَيُّ حَادِثٍ كَمَا أَنَّهُ يَحْفَظُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِ كُلِّ الْمَنْعَرَجَاتِ وَ تَفَاصِيلِ الطَّرِيقِ. كَانَ مِنْ حِينٍ لِآخِرِ يَلْعَبُ دَوْرَ الْمُرْشِدِ السِّيَاحِي فَيُشِيرُ لِبَعْضِ الْمَنَاطِرِ الْخَلَابِيَّةِ أَوْ آثَارِ الْمَدَنِ الرُّومَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَ كَانَ ذَلِكَ يُخَفِّفُ نَوْعًا مَا مِنْ صُعُوبَةِ السَّفَرِ وَ تَخَوُّفِ عَائِلَتِهِ سَيُفَاضِلُ.

تَوَقَّفَتِ السَيَّارَةُ آخِرًا أَمَامَ الْمَحْطَةِ وَ نَزَلَ الْجَمِيعُ يَمْطُطُونَ عِظَامَهُمْ وَ عِضْلَاتِهِمْ بَعْدَ سَاعَتَيْنِ وَ نِصْفٍ مِنَ السَّيْرِ الْمُتَوَاصِلِ.

دفع سي الفاضل الأجرة للسائق بينما أنزل أحمد الحقائق من صندوق السيَّارة. وقف سي الفاضل يُطالع في وجوه الموجودين من حوله لعلَّه يتعرف على السَّمْسَار مع أنَّه لا يعرف منه سوى اسمه و صوته. اعتمد سي الفاضل على فراسته في تحديد السَّمْسَار و بقي يُقَلِّب في الوجوه دون جدوى حتَّى اقترب منه رجل قصير القامة نحيف الجسم مقوس الظهر. يلبس بدلة غير متناسقة و شاشية² حمراء على رأسه. لم يفتن سي الفاضل من أنَّه السَّمْسَار 'العربي' إلَّا لمَّا تحدث إليه و سمع صوته.

- العربي السَّمْسَار: هل أنت سي الفاضل؟
- سي الفاضل: نعم أنا هو. هل أنت سي العربي السَّمْسَار؟
- العربي السَّمْسَار: الحمد لله على سلامتكم. إنني أنتظركم هنا منذ الصباح الباكر. لقد عرفتك منذ أن رأيتك تنزل من السيَّارة فشكلك يتطابق مع الصوت الذي سمعته في الهاتف. أتمنى أن تقضي معنا إجازة طيبة.
- سي الفاضل: شكرًا. أقدم لك العائلة. هذا ابني أحمد و هذه زوجتي صفية.
- العربي السَّمْسَار: لنا كلَّ الشرف. هيَّا بنا ننطلق للشقة فهي جاهزة و بانتظاركم. سوف أحضر سيارتي إلى هنا. انتظروني دقيقة واحدة.

يغيب العربي مسرعا ليعود بسيَّارة قديمة جدًّا تكاد تكون مناسبة للمتاحف، يُصنِّد محركها دويًا عاليًا و دخانًا كثيفًا في حين يشدُّ سلك معدني عادم الغازات فيها. يصعد الجميع و تنطلق السيَّارة ببطء في الشوارع المُحدرة.

- العربي السَّمْسَار: كيف كانت رحلتكم؟
- سي الفاضل: متعبة بعض الشيء
- العربي السَّمْسَار: الكلُّ يتعب في البداية لكنَّ مع التعود يُصبح الأمر عاديًا

لم تُطل الرحلة كثيرًا قبل أن تتوقف السيَّارة و يُسمع صوت فراملها الذي يُشبه صياح كلب داسته عربية، أمام مبنى مُكوَّن من طابقين يتوسط حديقة صغيرة في طرف المدينة. المبنى قديمٌ يعود تشييده لفترة الاستعمار أيَّ إلى أكثر من سِتِّين سنة. يُعطي سقفه المثلث كسائر المباني في المدينة القرميد الأحمر الذي يمنع الثلوج من التراكم فوقه. موقع المبنى مناسبٌ جدًّا بما أنَّه سيجعل العائلة بعيدةً عن أنظار المُتطفِّلين.

يدخل الجميع من بوابة البيت الخشبية القصيرة و يعبرون الحديقة الصغيرة قبل أن يصعدوا الدَّرَج المستقيم المؤدي مباشرة إلى الطابق الأول، يقودهم في ذلك العربي السَّمْسَار مُكرِّرًا عبارات الترحيب و المباركة على السلامة إلى حدِّ الملل. فتح الباب و دخل الجميع الصَّالون المحتوي على كمِّ قليل من الأثاث القديم جدًّا والذي يقتصر على الضروريات دون أيِّ اهتمام بالجمالية أو الزينة فهو لا يحتوي سوى على أريكة كبيرة تتسع لثلاثة أشخاص و أريكتين تتسع كلُّ واحدة لشخص واحد، طاولة صغيرة بين الأرائك و طاولة بيضاوية الشكل في وسط الصالون يدور حولها أربعة كراسي، طاولة أخرى في ركن الصالون وُضع عليها تلفزيون صغير و جهاز التقاط. وُضع أحمد الحقائق في الصالون و قاد العربي السَّمْسَار الجميع في "زيارة صاحب البيت" فأراهم غرفتي النَّوم و المطبخ و الحَمَّام. غرفة النَّوم الأولى واسعة تحتوي على سرير مزدوج مُرفَّق به طاولات جانبية صغيرة بالإضافة إلى دولا ب و تسريحة قديمة أمَّا غرفة النوم الثانية فتحتوي على سريرين منفردين و دولابين صغيرين بالإضافة إلى طاولة و كرسيَّين تتوسط الغرفة. يحتوي الحَمَّام على مغطس حديدي مُثَبَّت على أرجل معدنية أمَّا بقية التجهيزات الخزفية فقديمية أيضًا. المطبخ صغير و مناسب فقط لإعداد الوجبات و ليس لتناولها فيه.

² قبعة حمراء اللون تصنع من الصوف

عند نهاية الزيارة تَوَجَّهَ الْعَرَبِيُّ السَّمْسَارَ لسي الفاضل بالمفتاح و بَقِيَ مُتَسَمِّرًا فِي مَكَانِهِ مُبْتَسِمًا يُكْرِّرُ مِنْ حِينَ لآخر عبارات التَّرحيب. فَهَمَّ سَيِ الْفَاضِلِ عَلَى الْفَوْرِ رَغْبَةً الْعَرَبِيُّ فَأَدْخَلَ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ سُرَّتِهِ وَ أَخْرَجَ ظَرْفًا فِيهِ مِبْلَغُ الْإِيجَارِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمُولَتِهِ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِمَا أَتْنَاءَ الْإِتِّصَالِ الْهَاتِفِيِّ فَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ الْعَرَبِيِّ وَ اخْتَفَتْ بَعْضُ تَجَاعِيدِ وَجْهِهِ وَ ابْتَسَمَ عَنْ فَمٍ سَقَطَتْ مُعْظَمُ أَسْنَانِهِ فِي حِينَ تُوحِي الْقُوَّةُ الْبَاقِيَةَ بِأَنَّهَا آيِلَةٌ لِلْسُقُوطِ لَا مُحَالَةَ لَا تَنْتَظِرُ سِوَى لَقْمَةٍ نَاشِفَةٍ أَوْ صَدْمَةٍ خَفِيفَةٍ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَخَوَاتِهَا. سَارَعَ الْعَرَبِيُّ بِأَخْذِ الظَّرْفِ وَ عَيْنَاهُ تُظْهِرَانِ بَرِيقًا مَمِيزًا لَا يَظْهَرُ عَادَةً إِلَّا عِنْدَ اسْتِلَامِ الْأُمُودِ. شَكَرَ الْعَرَبِيُّ سَيِ الْفَاضِلِ وَ تَمَتَّى لَهُ وَ لِعَائِلَتِهِ إِقَامَةٌ طَيِّبَةٌ مُشَدَّدًا عَلَى أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ لَوْ أَحْتَاجَ لِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ.

انصَرَفَ الْعَرَبِيُّ وَ اسْتَقْلَى الْجَمِيعَ عَلَى الْأَرَانِكِ الْمَوْجُودَةِ بِالصَّلَالُونِ وَ كَانَتْهُمْ كَانُوا يُشَارِكُونَ فِي مَعْرَكَةٍ حَامِيَةِ الْوُطَيْسِ. الطَّرِيقَاتُ الْمَلْتَوِيَّةُ، الْوُدْيَانُ السَّحِيفَةُ، صَوْتُ مُحَرِّكَ السَّيَّارَةِ، ثَرْتَةُ الْعَرَبِيِّ وَ دَخَانُ سَيَّارَتِهِ... كَانَتْ كَافِيَةً لِاسْتِنْفَادِ طَاقَتِهِمْ.

✚ نفس اليوم - الحادية عشرة صباحا - الشقة المفروشة بعين دراهم

- **سي الفاضل:** السَّاعَةُ تَشِيرُ الْآنَ إِلَى الْحَادِيَةِ عَشَرَ وَ أَظُنُّ أَنَّ الْوَقْتَ دَاهَمْنَا فَيَجِبُ أَنْ نَشْتَرِيَ مُسْتَلْزِمَاتِ إِعْدَادِ الْغَدَاءِ.
- **صَفِيَّة:** لَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ جَهْدٍ لِأَنْ أَطْبُخَ أَوْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ. أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أَتَالَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ فَأَنَا أَشْعُرُ بِالْذُّوَارِ. اعْتَبِرُونِي الْيَوْمَ فِي إِجَازَةٍ مِنَ الطَّبْخِ.
- **سي الفاضل:** مَاذَا سَنَأْكُلُ إِذِنْ؟ أَلَمْ تَشْعُرَا بَعْدَ الْجُوعِ؟
- **صَفِيَّة:** أَحْضِرْ لَنَا أَكْلًا جَاهِزًا مِنْ أَيِّ مَطْعَمٍ. أَنَا الْيَوْمَ فِي إِجَازَةٍ
- **سي الفاضل:** حَسَنًا إِذِنْ سَنَأْخُذُ نَصِيْبًا مِنَ الرَّاحَةِ نَخْرُجُ عَلَى إِثْرِهِ أَنَا وَ أَحْمَدُ لِنُبْحَثَ عَنْ مَطْعَمٍ وَ نَأْتِيَ بِالْغَدَاءِ
- **أحمد:** فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ يَا أَبِي وَ بِالْمَرَّةِ نَكْتَشِفُ الْمُنْطَقَةَ: الْمَحَلَّاتُ، كَابِينَاتِ الْإِتِّصَالَاتِ، الصِّيدَلِيَّةُ...

دَخَلَ الْجَمِيعُ إِلَى غُرْفِهِمْ يُرْتَّبُونَ مَلَابِسَهُمْ وَ يَأْخُذُونَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ. كَانَ الطَّقْسُ بَارِدًا وَ يَدْفَعُهُمَ لِلْكَسَلِ. أَرَادَ الْجَمِيعُ أَنْ يَنَامُوا قَلِيلًا لَكِنَّ التَّعَبَ وَ الْبَرْدَ وَ الْهُدُوءَ وَ الصَّمْتَ الْمَطْبُوقَ عَلَى الْمَكَانِ جَعَلَهُمْ يَنَامُونَ إِلَى مَا بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدَمَا أَفَاقَ سَيِ الْفَاضِلِ عَلَى صَوْتِ أَذَانِ الْمَسْجِدِ الْقَرِيبِ مِنَ الْبَيْتِ. لَقَدْ نَامُوا لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ كَامِلَةٍ.

أَيُّقِظُ سَيِ الْفَاضِلِ الْجَمِيعَ وَ هُوَ يَتَذَمَّرُ بِسَبَبِ فَوَاتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ عَلَيْهِ لَاعْنًا الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ. تَوَضَّأَ وَ اصْطَحَبَ أَحْمَدُ لَصَلَاةِ الْعَصْرِ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ أَنْ يَبْحَثَا عَنْ مَطْعَمٍ.

كَانَ الطَّقْسُ خَارِجَ الْبَيْتِ أَكْثَرَ بَرُودَةٍ فَكَانَ النَّسِيمُ يَصْنَعُ الْوُجُوهَ وَ يَخْتَرِقُ مَسَامَ الْبَشَرَةِ فَكَانَ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بَوْخَزِ الْإِبْرِ. أَقْفَلَ أَحْمَدُ مَعْطَفَهُ كُلِّيًّا فِي حِينَ طَوَّقَ سَيِ الْفَاضِلِ رَقَبَتَهُ وَ أَنْفَهُ بِشَالٍ مِنَ الصُّوفِ. دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَاهُ ضَيْقًا لَا يَنْسَعُ لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسَةِ صُفُوفٍ وَ لَا يَحْتَوِي عَلَى مِئْبَرٍ وَ لَا مِئْذَنَةٍ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بِالْمَسْجِدِ سِوَى بَعْضِ الشُّبُوحِ مِمَّنْ مَنَعَتْهُمْ شَيْخُوخَتُهُمْ مِنْ مُعَادَرَةِ الْمَدِينَةِ بِاتِّجَاهِ الْعَاصِمَةِ. أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مُبَاشَرَةً وَ وَقَفَ سَيِ الْفَاضِلُ مَعَ ابْنِهِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ مُبَاشَرَةً وَرَاءَ الْإِمَامِ وَ لَمْ يَنْزِلِ الْإِمَامُ لِلرَّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى بَدَأَ الْمَسْجِدَ يَمْتَلِئُ وَ تَتَرَاوَعُ صُفُوفُهُ فِي حَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ وَ شَبَهَ عَسْكَرِيَّةٍ. عِنْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ تَلَقَّتْ أَحْمَدُ وَرَاءَهُ فَوَجَدَ الْمَسْجِدَ مُمْتَلَأًا بِالْمُصَلِّينَ. هُمُ الْجَمِيعُ بِالْخُرُوجِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ شَخْصٌ مِنْ سَيِ الْفَاضِلِ وَ ابْنِهِ وَ بَادِرُهُمَا بِالتَّحِيَّةِ. التَّقَاتَا إِلَيْهِ مُسْتَعْرِبَيْنَ وَ مُسْتَأْذِنَيْنَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَعْرِفُهُمَا هُنَا؟ تَنَقَّسَا الصُّعْدَاءَ عِنْدَمَا اكْتَشَفَا بِأَنَّهُ الْعَرَبِيُّ السَّمْسَارُ.

- **العَرَبِيُّ السَّمْسَارُ:** تَقَبَّلَ اللَّهُ صَلَاتَكُمَا

- **سي الفاضل:** ميا و منك العَمَل الصَّالِح
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** و الله لقد انشرح قلبي لكما منذ أن رأيتكما و توسَّمت فيكما الطيبة و الصَّلاح و أنا ظنِّي لا يَخيب أبداً
- **سي الفاضل:** شكرًا على المجاملة اللطيفة و ربُّنا يستر
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** هل تحتاجون إلى شيء؟ فأنا دائماً في الخدمة.
- **سي الفاضل:** إنَّ الطَّقس هنا باردٌ جدًّا و كنتُ أتساءل إذا ما كانَ المنزلُ مُجهَّزاً بجهاز تدفئة؟
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** نعم بالطبع هو كذلك. لقد نسيت أن أريكم جهاز التدفئة. إنَّه في الصالون و هو يعمل بالنَّفط و الخزَّان مُمتلئ فليس عليكم سوى إشعاله. إنَّ درجة الحرارة ستُنزل في اللَّيل أكثر من الآن و ربُّما تتساقط الثلوج اللَّيلة. هذا ما أعلَّنت عنه الأرصاد الجوية. لا يمكن العيش هنا من دون أجهزة التدفئة. فسُكَّان هذه المنطقة يحرسون على التَّروُد بالوقود قبل التَّروُد بالطعام.
- **سي الفاضل:** على ذِكر الطَّعام، هل هناك مَطْعَم قريب؟
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** نعم توجد بعض المطاعم في المدينة لكنَّ الاختيار فيها محدود و لا أنصحك إلا بالدجاج المصلي أمَّا بَقِيَّة الأصناف فليست في مُعظمها بالجودة المطلوبة و ربُّما تُثجِب معدنك. سأذكُّك على مَطْعَم صغير في نهاية هذا الشارع على اليمين يُسمَّى "مَطْعَم رضا" و هو من المطاعم القليلة التي يُمكن أن تُطمئنَ إلى أكلها.
- **سي الفاضل:** كيف يُمكن الحصول على بعض الخُضَر و الفواكه و المُنتجات الغذائية الأخرى؟
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** لا تُحمل همَّ ذلك فأنا صاحب بقالة صغيرة و هو محلُّ مُلتصِقٌ ببيتِي يتوفَّر فيه كلُّ شيء و هو قريب من بيتك و لا يبعد سوى خمسين متراً و حتَّى لو وجدته مُغلِقاً فيكفي أن تتاديني حتَّى أفتحه من أجلك. أنا أدير المحل بمفردي و كما تُعلم فأنا أيضاً سيمسار و أضطرُّ دائماً للتنقل و لذلك أغلِق المحل أثناء ذلك. هل ستذهبان الآن لمَطْعَم رضا؟
- **سي الفاضل:** نعم فَنَحْن لم نتناول بعد الغداء
- **العَرَبِي السَّمْسَار:** إنَّ سَمَحْتُم لي فأنا سأذهب معكم إلى هُناك فأعرفكما على رضا صاحب المطعم و أوصيه بكما خيراً، تأخذان ما تريدانه ثم أصحابكما إلى البقالة لتتزوَّدا بكلِّ ما تحتاجانه.
- **سي الفاضل:** هذا لطفٌ منك يا سي العربي.

لقد تعودَ سي العربي على أن يحتكر نزلاء البيت كزبائن له و أن يكون بذلك هو الراجح الأكبر فبالإضافة لعمولة السمسة يبيع سلع بقالته بسعر مرتفع بعض الشيء كما أنَّه يحصل على عمولة عينية من عند رضا صاحب المَطْعَم فكُلُّما أتى له زبائن جدد يطلب عمولته و هي دجاجة مصلية مع السلطة و البطاطس المقلية و لا يقبل بأقل من ذلك. لقد تعود سُكَّان المنطقة على تدبير أمورهم بذكاء و ربُّما يصل حدُّ الدَّهَاء لتجاوز قِلَّة ذات اليد و بأنَّ يَنْقُضُوا على أيَّة فرصة لتحقيق ربح أو مصلحة مهمَّما كان نوعها فالسَّمْسرة هنا هي ملكة الأعمال و"الرياضة الأولى". الكلُّ يُسمسِر في كلِّ شيء.

كان الظلام قد أسدل سِتَّاره على المنطقة عنَدما انتهت عائلة سي الفاضل من تناول الطعام و ترتيب المشتريات في المطبخ. كما أنَّ الدَّفء بدأ يَدِبُّ في المنزل بعد أكثر من ساعة من إشعال المدفئة و على الرغم من أنَّ رائحة الوقود كانت تتسلل إلى كامل أرجاء المنزل لكنها كانت أرحمَ مليون مرَّة من لسعات البرد القارس. سرَّعانَ ما تُشكِّل طبقةٌ من البخار على أسطح زجاج النوافذ من الدَّاخل نتيجة تفاوت درجات الحرارة بين الدَّاخل و خارج المنزل. أحضر سي الفاضل الشاي بنفسه و وضع الطبق على طاولة الصالون الصغيرة.

- **سي الفاضل:** (مُبتسماً) أرَدت إجازة من الطبخ فلتنك إجازةً من كلِّ شيء حتَّى من إعداد الشاي
- **صَفِيَّة:** ألا أسحقُّ أن أدلِّل و لو لمرة واحدة خلال سنوات طويلة؟
- **سي الفاضل:** نعم تستحقين ذلك و حتَّى أكثر من ذلك.

كان الجوُّ حميماً و زاد دَفْئُ العواطف منْ دَفْئِ المنزل. بَقِيَ الجَمِيعُ يَحْتَسِنُونَ الشَّأْيَ و يتابعون برامج التلفزيون الذي أَعْلَنَ في نشرَتِهِ الجوية أنَّ عاصفةً ثَلْجيةً سَتَضْرِبُ المنطقةَ و على الجَمِيعِ تَوَخَّي الحَذَرَ.

توالى الأيامُ جميلةً هادئةً تتخلَّلُها نَزْهَاتُ جَبَلِيَّةٍ بَيْنَ أشجارِ الصَّنوبرِ العاليةِ. مَلَأَ الجَمِيعُ رِئْتَهُ بِالهواءِ النَّقِيِّ و المَمَزُوجِ بِرَائِحَةِ الأعشابِ و الأزهارِ البرِّيَّةِ. كانتِ الثَّلُوجُ تَتَهَاطَلُ مِنْ الحينِ لِلاَخرِ فَتَكْسُو المنازلَ و الأشجارَ و واجهاتِ المحلاتِ باللونِ الأبيضِ ناصعِ البياضِ.

شَعَرَ أَحْمَدُ بِتَحَسُّنٍ كَبِيرٍ و شَفَى بَيَاضُ الثَّلْجِ و نَقَاوَةُ الهَوَاءِ و رَاحَةُ البَالِ، أَعْصَابَهُ مِنْ الإِرْهَاقِ و نَفْسَهُ مِنْ الشَّكِّ و الِارْتِيَابِ. لَقَدْ لَاحَظَ سَيِّ الْقَاضِلِ و زَوْجَتُهُ تَحَسُّنَ حَالَةِ أَحْمَدَ و سَعِدَا بِذَلِكَ أَيْمًا سَعَادَةً. كَانَ أَحْمَدُ نَشِيطًا كَثِيرَ الحَرَكَةِ مُتَقَدِّ الذِّكَاءِ حَتَّى أَنَّهُ نَسِيَ عَبْدِ اللَّهِ و لَمْ يَكْثُرْ لِغِيَابِهِ الطَّوِيلِ عَنْهُ.

الإرهاب على الباب

🚩 الثلاثاء 3 أبريل العاشرة صباحا

تَجْتَمِعُ عائلة سي الفاضل حول طاولة الفطور و قد امتلأت بكل ما لذ و طاب فبالإضافة للقهوة و المُرَبَّى تَعَوَّدُ الجميع على منتجاتٍ مَحَلِّية طازجة أخرى كالزبدة والحليب و البيض البلدي الطازج التي كان 'الضاوي' و هو غلام في الخامسة عشرة من عُمره يَجْلِبُها إليهم كل صباح. إِنَّهُ ابْنُ مُرَبِّي مَاعز و دَواجِن يجد في الزُّوار و السُّيَّاح القليلين فُرصةً لتسويق مُنتجاته إليهم.

لقد نام الجميع جَيِّدًا ليلة البارحة و استيقظوا مُتَأَخِّرًا مُتَكَاسِلِينَ نَقِيينَ مِنْ أَيِّ تَوَثُّرٍ.

كان كل واحد منهم مُنْهَمَكًا في الاستِمْتاع بمذاق المنتجات الطازجة الفريد، حين دَوَّتْ أصواتُ انفجارات و فرقعات عنيفة هَزَّتْ الأَكوابَ على الطاولة و قطعت خِيطَ السُّكون. انْخَلَعَ قَلْبُ الجميع و تبادلوا نظرات الحَيْرَةِ و الخوف و الاستفهام.

● صَفِيَّة: يا ساتر يا رب ما هذا؟

بقي سي الفاضل صامتا و كَأَنَّهُ يحاول معرفة مَصْدَر و نَوْعِ هَذِهِ الأصوات التي لَمْ تَتَوَقَّفْ بَلْ كانت تَزِيدُ مِنْ تَوَاثُرِها.

- أَحْمَد: هل يمكن أن تكون طلقات نارية من بِنَادِقِ صَيَّادِي الخنزير البرِّي؟
- سي الفاضل: لا يا أَحْمَد. هذه ليست طلقات بِنَادِقِ صَيِّد. إِنَّها طلقات رشَّاشات آلية و قذائف صاروخية.
- صَفِيَّة: و ما الذي أتى بالرشاشات و الصواريخ هنا؟ يا لطيف!
- أَحْمَد: و كيف تُقَدِّرُ أن تُميزها يا أباي؟
- سي الفاضل: لقد قمت بالخدمة العسكرية في سلاح المدرعات و أقدر أن أُميز بين صوت الرشاش و بِنَادِقِ الصيِّد.
- صَفِيَّة: يا ساتر يا رب و من أين أتت هذه الرشاشات و لماذا؟ لم أسمع قط في حياتي طلقة بندقية.

تملَّك الخوف مِنَ الجميع و نَهَضَ سي الفاضل و أَحْمَد متوجَّهين للنافذة فإذا بهما يُشَاهِدَانِ مَنَظَرًا لَمْ يَتَوَقَّعَاهُ قط فعلى بُعْدٍ مائتي متر فقط مِنَ البيت الذي يقيمون فيه تُوجَدُ بناية لَمْ يَكُنْ مِلَّ بِنَاءُها بَعْدُ، مُؤَلَّفةٌ مِنْ طابَقَيْنِ مازال لونُ الطُوبِ الأحمرِ يُمَيِّزُها. إَعْتَلَى ثلاثة رجال شُرْفَتِها يُصَوِّبُونَ رشَّاشاتهم نحو قُوَّةٍ مِنَ الشُّرْطَةِ كانت قد طَوَّقَتِ البَيْتَ و كانت تُرَدُّ عليهم بمسدسات صغيرة. كانت النيران كثيفة مِنَ المبنى باتجاه سيارَاتِ الشُّرْطَةِ فبالإضافة للمُسلَّحِينَ الثلاثة المتمركزين على الشرفة كانت النيران تنطلق من مُخْتَلَفِ نوافذِ المبنى ممَّا يَدُلُّ على وجود عددٍ كبيرٍ مِنَ المُسلَّحِينَ داخله. كانت القُوَى غَيْرُ مُتَكَافئةٍ و شَاهد سي الفاضل و ابْنُهُ بَعْضُ رجالِ الشُّرْطَةِ يَسْقُطُونَ جَرَحَى أو رُبَّمَا قَتَلَى. تَسَمَّرُ الجميع في مكانيهم مِنَ الخوف و شِدَّةِ صَدْمَةِ المفاجئة فلم يَخْطُرْ بِيَالِ أَحَدٍ أَنْ يَتَحَوَّلَ المَكَانُ الهادئ الوديع إلى ساحة مَعْرَكَةٍ حامية الوطيس.

أخرج أَحْمَدُ هاتفه الجوال بسرعة و بدأ يُصَوِّرُ المعركة بالفيديو. توثيق هذه الحادثة يُعْتَبَرُ سَبْقًا صحفياً مُهمًّا يُمَكِّنُهُ مِنْ إِبْهَارِ أَيْةِ قَنَاةِ تلفزيونية أو أَيْةِ وسيلةِ إعلامٍ أخرى.

بدأت سيارات الشرطه تنسحب من ميدان المعركة بعد أن تكبدت خسائر جسيمة في الأفراد و المعدات و كان هذا الانسحاب متوافقا مع وصول وحدة من الجيش الوطني تتشكل من مدرعات و ناقلات جند مصفحة و أربعة دبابات في حين اقترب صوت مروحية عسكرية من ميدان المعركة.

- أحمد: من الواضح بأن الشرطه استنجدت بالجيش الذي أسرع بالحضور.
- سي الفاضل: ما يحيرني فعلاً هو من هؤلاء المسلحين وماذا يريدون؟ نحن بلد آمن و مسالم و لم أشهد في حياتي شيئاً كهذا؟
- أحمد: كنّا نتابع هذه المشاهد في نشرات الأخبار القادمة من الفلوجة و فلسطين و ها نحن الآن نشاهدها على المباشر في عُقر دارنا. أظن أنهم عصابة منظمّة و مسلحة جيّداً.
- سي الفاضل: الغريب في الأمر أنه طوال فترة إقامتنا هنا لم نلاحظ أي شيء مريب في هذا المبنى. لقد كنت أعتقد أنه مهجور.
- أحمد: من الواضح أن العصابة كانت تختفي فيه و لا تريد الظهور.

قطعت أصوات القذائف المنطلقة من قوّات الدبابات و الليران الكثيفة المنطلقة من الرشاشات الثقيلة الحوار بين سي الفاضل و ابنه فيما ارتفع صوت صفية داعية إياهما بالابتعاد عن النافذة فوراً. لم يستجيبا لطلبها فالموقف كان غاية في الإثارة و لم يُرد لا سي الفاضل و لا أحمد أن يفوتوا هذه اللحظات التاريخية بل أن أحمد كان يُجبل كاميرا هاتفه الجوّال في أرجاء ميدان المعركة و لا يُريد أن يفوته لا صغيرة و لا كبيرة فيها.

بدأت موازين القوى تتغير لصالح الجيش، فقوة نيران الجيش أصبحت أكبر من نيران المسلحين الذين بدؤوا يُحصون أول خسائرهم فقد اخترقت إحدى الرصاصات رأس أحد الذين كانوا في الشرفة فوق على الأرض فوراً و قد فجّرت الرصاصة الكبيرة مؤخرة رأسه فتبخّر أكثر من نصفه. كان المُنظر شنيعاً خاصّة و أن بقعة حمراء كبيرة من الدّم اتسعت حول ما تبقى من رأس القتيل فور سقوطه أرضاً.

لم تتوقف صفية عن طلبها بالابتعاد عن النافذة دون أن تلتقي أي اهتمام فصوت الرصاص و مشهد المعركة أطلق في أجسام سي الفاضل و أحمد شحّات كبيرة من هُرمون 'الأدرنالين'.

التحق مسلح آخر بشرقة المبنى حاملاً معه قاذفة 'آر بي جي' و صوبها باتجاه إحدى المدرعات لكنّ قذيفة من إحدى الدبابات فاجأته و انفجرت في الشرفة ممّا أفقده توازنه و أصابته الشظايا في مختلف أنحاء جسده فترنّج و مال باتجاه المنزل الذي تُقيم فيه عائلة سي الفاضل و يبدو أنه ضغط على الزناد دون أن يشعر "إنها حرارة الروح" فانطلقت القذيفة باتجاه البيت. كان سي الفاضل يشاهد الموقف و يتابعه باهتمام. اتسعت عيناه و هو يشاهد القذيفة تنطلق باتجاهه و كان ردّ فعله سريعاً فارتقى على ابنه و سقطا على الأرض تحت النافذة التي تهشم زجاجها و تطاير بشدّة في أنحاء الصالون. رقع سي الفاضل رأسه و لم يُصدّق أن القذيفة لم تدخل من النافذة. وقف بسرعة و أطل من النافذة فرأى حفرة في الحديقة. لقد سقطت في الحديقة و انفجرت في شجرة ليمون و لكنّ قوة الانفجار حطّمت زجاج النافذة. حمّد سي الفاضل الله كثيراً عندما رأى ابنه يقف أمامه من دون أي جروح و صفية جالسة على الأريكة لا تكاد تتحرك من هول ما رأت و لكن سرعاناً ما أحسّ سي الفاضل بدفع على جبينه و رأى اللون الأحمر يُعطّي عينه اليسرى. مسح جبينه بيده فإذا بالدم يثهمر بغزارة من الجانب الأيسر منه. لقد أصابته إحدى شظايا زجاج النافذة المكسور في جبينه. سارع أحمد إلى الحمام و أحضر عدّة الإسعافات الأولية و بادر بمسح الجرح الذي لم يكن غائراً و بإيقاف النزيف بينما اقتربت صفية منهما مُسرعة و هي تبكي و تُولول و لا تدري ماذا تفعل في تصرفٍ شيء هستيري. طمأنها أحمد على حالة سي الفاضل الذي لم يتأثر كثيراً بالإصابة و أعلمها أنها مجرد إصابة سطحية و خدش بسيط لا يستدعي الهلع.

نسي الجميع المعركة التي تدور في الخارج لبرهة محدودة كانت كافية لتضميد الجرح و الاستفاقة من الصدمة ثم سرعاناً ما عاد سي الفاضل و أحمد إلى النافذة لكنهما توخّيا الحذر هذه المرّة و ذلك بأنّ لازما

أطرافها و احتميا بالجدار و اكتفيا باستراق النَّظَر. كان أَحْمَدُ يُخرج جَوَّاله في رُكن النافذة لِيُصوِّرَ ما يجري فيما كانت صَفِيَّةٌ تُؤكِّلُ و اضعة يديها على رأسها.

استمرَّت المعركة لأكثرَ مِنْ ثلاثة ساعات كانتْ تُتخلَّلها مِنْ حينٍ لآخر فترات صَمَتْ و هدوء يَسْعَى فيها الخَصْمان إلى إعادة تقييم الموقف.

- **أَحْمَدُ:** ألا تلاحظ يا أبي أَنَّ الجَيْشَ، كُلَّما مرَّت فترة هدوء، يَعمَدُ إلى الزَّجِّ بإحدى المُدَرَّعات فتتقدم باتجاه البيت و سرُعانَ ما تنطلق النيران باتجاهها فتراجع و يَرُدُّ الجَيْشُ بإطلاق النيران. أليسَ هذا تَصَرُّفاً غريباً من الجَيْشِ؟
- **سي الفاضل:** لا أبداً. إِنَّه تكتيك عسكري كلاسيكي فالجَيْشُ هو المُهاجم و المُسلَّحون مُحتمون بالبيت و على الجَيْشِ أَنْ يُبادر بالهجوم و في حالة توقُّف إطلاق النَّار فَإِنَّه مِنَ الضروري تحديد مصادر النيران أيْ تركز المُسلَّحين حتَّى يقدر أَنْ يخطط للهجوم فلا يقدر المهاجم أَنْ يخاطر بالهجوم مِنْ دون معرفة مواقع العدو و مصادر نيرانه و إلَّا كان هجومه انتحاراً و كلفه خسائر كبيرة. إِنَّ الجَيْشَ يستعمل المُدَرَّعة لِيستَغْفِرَ بها العدو و يجعله يُطلق النَّارَ عليها و بالتالي يكشف مواقعهُ و يَرُدُّ الجَيْشُ عليها مباشرة فيَحَقِّقُ إصابات مؤكدة في العدو و يُضعف مِنْ قُوَّة نيرانه.
- **أَحْمَدُ:** لكن ماذا لو لم يُطلق المُسلَّحون النار على المدرعة؟
- **سي الفاضل:** لو تقدمت المدرعة و اقتربت بما يكفي سوف تهاجم المُسلَّحين و تُحقِّق فيهم خسائر كبيرة كما أَنَّ مُشاة الجَيْشِ سيحتمون بالمدرعة للتقدم و الوصول إلى البيت و بالتالي يشكلون خطراً كبيراً على المُسلَّحين. فُقرَب الجَيْشُ الكبير يمنعهم مِنْ الرد بشكل جيِّد.
- **أَحْمَدُ:** هذا لا ينفي أَنَّ المدرعة تتعرَّض لخطر حقيقي
- **سي الفاضل:** نعم إنها مجازفة و الخطر فيها أكيد و لكنها مجازفة ضرورية و لا بد منها من جهة كما أنها محسوبة إلى حد ما.
- **أَحْمَدُ:** كيف ذلك يا أبي؟
- **سي الفاضل:** عند تتقدم المدرعة تكون كافة قوة نيران الجَيْشِ في حالة تأهب قصوى للرد على مصادر النيران المعادية فتَرُدُّ بسرعة كبيرة عليها و بالتالي لا تترك لها المجال بأنْ تُحسن التصويب أو تُكثِّف مِنْ نيرانها على الهدف كما أَنَّ المدرعة تنسحب بسرعة مع أوَّل نيران تتلقاها.
- **أَحْمَدُ:** كيف تعلمت كُلَّ هذه التكتيكات الحربية يا أبي؟ مِنْ الواضح أنك خبير في الموضوع.
- **سي الفاضل:** أَلَمْ أَقُلْ لك أنني تعلمت ذلك في الجَيْشِ عِنْدَمَا أَدَّيتَ خدمتي العسكرية و كُنْتُ مولعاً بالفن الحربي، أطلع بعض الكتب و أتناقش باستمرار مع الضباط.

كُلَّما مرَّ الوقت كانت قوة نيران المُسلَّحين تتضاءل بينما تزداد قوة الجَيْشِ أكثر فأكثر. لقد قُدمت تعزيزات جديدة منها مدرعات و منها قاذفات صواريخ و قوات تدخل خاصة يرتدي أفرادها أزياء سوداء، مدججين بالسلاح و مغطيين رؤوسهم على شكل مقاتلي النينجا. كانت المروحية العسكرية تحلق فوق مسرح العملية و تمنح بذلك معلومات من الجو لقيادة القوات الميدانية. أصبحت نيران المُسلَّحين ضعيفة و اندلعت النيران في الطابق الأرضي من المبنى و تصاعد منه دخان أسود كثيف.

- **أَحْمَدُ:** من الواضح أَنَّ خسائر المُسلَّحين كبيرة
- **سي الفاضل:** إِنَّ الهجوم النهائي أصبح وشيكاً الآن.
- **أَحْمَدُ:** ماذا سيحدث في الهجوم النهائي؟
- **سي الفاضل:** عِنْدَمَا يتأكد الجَيْشُ بأنَّ قُوَّة العدو خارت و لم تعد تشكِّل خطراً كبيراً يقوم بالهجوم النهائي و هو يعتمد على العناصر البشرية التي يجب أَنْ نقتحم المبنى و نلجِم مباشرة بمنْ تَبَقَى فيه من المقاتلين. ألا ترى تلك المجموعة مِنَ القوات الخاصة التي قدمت مُنذُ قليل و هي الآن تستعد؟
- **أَحْمَدُ:** بلى

- **سي الفاضل:** إنها تستعد للقيام بالهجوم النهائي و ذلك باقتحام المبنى و لكن من المفروض أن تكون هُناك عملية أخرى مزامنة لذلك و تسبقها بقليل و الهدف منها تشتيت انتباه العدو.
 - **أحمد:** كيف ذلك؟
 - **سي الفاضل:** أعتقد أن الجيَّش سيُشنُّ هجوماً وهمياً من إحدى الجهات لِيُشدَّ انتباه المُسلَّحين إليه فيما ستتقدم هذه القوة خلسة من جهة ثانية تحت غطاء قنابل الدخان مثلاً و ربما ستدخل من المكان الذي يصدر منه الدخان الكثيف فتفاجئ المُسلَّحين في ظهورهم.
- أحمد:** و الله إنك لخطير يا أبي في الأمور العسكرية و تصلح بأن تكون عقيداً أو جنرالاً

لم تمض سوى فترة قصيرة حتَّى أطلق أفراد القوات الخاصة قنابل الدخان أمام المبنى و تقدمت مدرعة باتجاهه في حين احتوى النينجا بالمدرعة و واصلوا تقدمهم. قام المُسلَّحون بإطلاق النيران على المدرعة لكن نيرانهم كانت ضعيفة لم تشكل تهديداً حقيقياً و أضعفتها أكثر فأكثر نيران الجيَّش الذي كانت لها بالمرصاد. في نفس الوقت اقتربت طائرة عمودية من سطح المبنى و سرعاناً ما تدلت الحبال منها و سارع أفراد فرقة نينجا ثانية بالنزول على شُرْفَةِ المنزل و لم تمض ثواني معدودة حتَّى كان عددهم يفوق العشرين رجلاً. كان كلُّ من تلامس رجله الأرض منهم يتخذ موقفاً دفاعياً فيؤمن نزول بقية زملاءه. غادرت المروحية فور انتهاء الإنزال و بينما كان المُسلَّحون يتعاملون مع تقدم المدرعة على الأرض كان أفراد فرقة النينجا المنزلة جواً قد احتلوا المبنى و فجروا عدداً كبيراً من القنابل اليدوية فكانت الوَمَصَات تُضيء البيت من الداخل و تُسبِّق بقليل دوي الانفجارات. لقد أوقعوا في المُسلَّحين إصابات كبيرة في ظهورهم إلى حدٍّ أن نيران المُسلَّحين باتجاه المدرعة توقفت تماماً و اغتنم أفراد الفرقة الأرضية الفرصة و ذلك باقتحام المبنى من الأسفل و لم تمضي ثواني قليلة حتَّى تمَّ تأمين المبنى بالكامل و القبض على من استسلم من المُسلَّحين و المصابين منهم.

كانت العملية نجاحاً تاماً للجيَّش حيث لم يتكبدوا خسائر في الرجال و المعدات و لم يُضطروا لهدم البيت بالكامل على رؤوس المُسلَّحين و بالتالي تمكَّنوا من القبض على بعض المُسلَّحين أحياءً و هو ما سيُمكنهم من الحصول على معلومات غاية في الأهمية في التحقيقات التي ستلي العملية.

بعد توقُّف أزيز الرصاص و فرقة القنابل علَّت أصوات سيارات الإسعاف الخاصة بالجيَّش و التي حملت المصابين من المُسلَّحين كما تجمَّعت سيارات الدفاع المدني لإطفاء النيران المشتعلة.

تنفَّس الجميع الصُّعداء و حمدوا الله على انتهاء العملية.

لم تمض ساعات قليلة حتَّى رجع الهدوء للمنطقة و كأنَّ أمراً لم يكن و لكن آثار المعركة و النيران شوَّهت المبنى و أحدثت فيه جراحاً عميقة. انصرف الجيَّش بعد أن قام بواجبه على أحسن وجه و حلَّت مكانه الشرطة التقية التي دخلت المبنى تتفقدته و تبحث عن الأدلة كما انتشر بعض الأفراد من حوله يُمشطون الأرض باحثين عن أيِّ دليل مُمكن مستعينين في ذلك بالكلاب البوليسية. بقيت الشرطة في المكان لساعات تُصوِّر مسرح العمليات من جميع جوانبه بما فيها المنطقة المحيطة بالمبنى. لقد طوقت الشرطة مسرح المعركة بالكامل بشريط و منعت أيّاً كان من الاقتراب منه.

عند الرابعة عصرًا طرَّق الباب و استغرب الجميع و خفَّت قلوبهم بشدة. نظروا لبعضهم باستغراب و لم يتحرَّك أحد منهم لفتح الباب. عاود الطرَّق بأكثر إلحاح في المرة الثانية و لم يجد أحمد بدءاً من التهوؤ و معرفة من الطارق. فتح الباب فوجد سي العربي واقفاً أمامه و قد اصفر لونه و جَحَظَت عيناه. دخل مسرعاً مرتبِّكاً للبيت.

- **العربي:** السلام عليكم. هل الجميع بخير هنا؟
- **سي الفاضل:** أهلاً بـسي العربي. الحمد لله نحن بخير و كيف حالك أنت؟

لاحظ العَرَبِي الجرح على جبين سي الفاضل.

- **العربي:** لقد رأيت من نافذة بيتي القذيفة و هي تهوي في الحديقة عندكم و قلقت بشأنكم لكنني لم أستطع الخروج خوفا من الرصاص الطائش. هل الجرح الذي على جبينك من أثر القذيفة؟
- **سي الفاضل:** نعم لكن لا تشغل بالك فالموضوع بسيط إنه مجرد خدش صغير بسبب شظايا زجاج النافذة.
- **العربي:** نعم صحيح لقد تحطم زجاج النافذة سوف أخطر قطعاً من البلاستيك لإغلاقها حتى لا يتسَلَّل البرد للبيت و ذلك بانتظار أن تهدأ الأمور و أحضر حِرَفِي الزجاج ليصلحها.
- **صَفِيَّة:** أرجو ألا تتأخر فإنَّ الهواء الداخل من النافذة المكسورة شديد البرودة و تكاد أطرافنا تتجمد بعد أن تجمد الدَّم في عروقنا من الخوف

يهمُّ العَرَبِي بمغادرة البيت ثم يعود فجأة.

- **العربي:** لقد مرَّت الشرُطة و أمرتني بالآأ أأادر المكان و أن أطلب من الجميع ذلك فلقد فرضوا حَضْر التَّجَوُّل ابتداءً من الساعة الخامسة مساءً و إلى غاية الثامنة صباحاً. كما أنهم سيقومون بتفتيش المنطقة و من الممكن أن يضطروا لتفتيش البيوت فلذلك لا تغادروا البيت و استعدوا لزيارات مُحتملة من رجال الشرُطة. إذا كنتم تحتاجون لأي شيء من أكل و خلافة فسأحضره لكم فوراً قبل دخول حَضْر التجول حيَّز التنفيذ.

طلب سي الفاضل بعض الأغراض من العَرَبِي و سارع هذا الأخير بالمغادرة ليعود بعد أقل من عشرين دقيقة مصحوباً بالمشتريات و البلاستيك و بعض المسامير. بدأ يُصلح النافذة و هو يُثرثر.

- **العربي:** هذه أول مرة تحصل مثل هذه الأمور في مدينتنا فأقصى ما يمكن أن يحصل من مشاكل في العادة هو مضاربة بين شخصين أو شجار بين الجيران أما أن تتحول المدينة إلى فيتنام جديدة فهذا ما لم يكن في الحسبان.
- **سي الفاضل:** إننا نتساءل عن هوية هؤلاء المسلحين و ماذا يريدون؟ و كيف عَلم الأمن بوجودهم؟
- **العربي:** منذ أيام قليلة و بعد أن حضرتم أنتم بعشرة أيام تقريباً كان هناك شاب غريب لم ألتق به من قبل يأتي لبقالتي يومياً و يشتري أكثر من ثلاثين خبزة. لقد حيرني هذا الأمر فلا أحد من أهل البلدة يشتري هذه الكمية من الخبز إلا إذا كان سيقم عرساً أو ختانا و سيُطعم عدداً كبيراً من الضيوف. لقد حاولت الاستفسار منه لكنه كان مُغلقاً قليل الكلام. سألت الجميع عما إذا كان أحد أهل البلدة يُقيم عرساً أو ما شابه فأنكروا ذلك، عندها أخبرتُ صهري، أخ زوجتي، و هو ضابط شرطة بالموضوع. كان ذلك منذ يومين أو ثلاثة و قد شكَّت الشرُطة في الموضوع و وضعت المبنى تحت المراقبة. لقد أخبرني صهري بأنهم كانوا يشكون في أنها عصابة تهريب سلع أو مخدرات على أكثر تقدير أو مجموعة تنوي الهجرة السرية و لهذا السبب هاجموا المبنى بقوة شرطة بسيطة و تفاجؤوا بالتسليح الحربي للعصابة مما دعاهم للاستنجاد بالجيش و من حُسْن الحظ أن التكنة الحامية للمنطقة قريبة جداً من هنا فلم يستغرق قدومهم سوى دقائق معدودة و أخذوا مكان الشرُطة.
- **سي الفاضل:** لقد رأينا بعض أفراد الشرُطة أصيبوا فهل هناك قتلى بينهم؟
- **العربي:** نعم للأسف فضابط شرطة قريب من التقاعد أصيب إصابة بالغة و توفي في العملية بينما تفاوتت جروح خمسة أفراد آخرين من بينهم شرطي شاب حديث الزواج و هو الآن في العناية المركزة.
- **سي الفاضل:** كيف عرفت كل هذه المعلومات و المعركة انتهت للتو؟
- **العربي:** ألم أقل لك أن صهري زارني و أعلمني بذلك

أكمل العربي إصلاح النافذة و سلمه سي الفاضل ثمن المشتريات و غادر بسرعة.

عند الثامنة ليلاً طرق الباب بقوة و حَزَمَ فتح سي الفاضل الباب في تَوَجُّسٍ فإذا بالشرطة تقتحم البيت و تحلُّ الصالون بسرعة مشهرين للمسدسات و الرشاشات و سُرْعَانَا ما أَخْفِيَتِ المسدسات بيئاً بقي بعض الأفراد مُسَكِّينَ برشاشاتهم و ذلك بعد أن تأكدوا من عَدَمِ خطورة المقيمين.

أصيبت صَفِيَّةٌ بالهيار و ارتمت على الأريكة بعد أن رأت الرشاشات و تركَّزَ بصرها على فُوهاتها المُرعبة في حين تَسَمَّرَ أَحْمَدُ و سي الفاضل في مكانيهما مخافة أن تَسْتَوِزَ حركتهما رجال الشرطة فتنتلق بعض الرصاصات الطائشة من فوهات أسلحتهم، خاصةً و أنْ أعصاب الجميع مشدودة. طلب الضابط هويات الحاضرين و تَبَيَّنَ منها في حين دخل شرطي بـكلب بوليسي مخيفٍ للغرف يفتشها. إنه كلب مدرب على اكتشاف المتفجرات و البارود.

- الضابط: أنتم من العاصمة؟
- سي الفاضل: نعم
- الضابط: و ماذا تفعلون هنا و في هذه الفترة من السنة؟
- سي الفاضل: إننا نقضي إجازة هنا فابننا كان يعاني من بعض الإرهاق في الدراسة و نصحنا الطبيب بأن يُبْعِدَ عن الضغط حتى يرتاح لكن للأسف انتظرنا هنا ضغطاً أكبر.
- الضابط: من الذي أجر لك هذا البيت؟
- سي الفاضل: إنه العربي السمسار و صاحب البقالة التي في هذا الشارع

يلاحظ الضابط النافذة المكسورة.

- الضابط: ما الذي كسر هذه النافذة؟
- سي الفاضل: لقد أصابت قذيفة طائشة حديقة البيت فانكسر الزجاج و أصابني في جبينني كما ترى.

فتح الضابط النافذة و اكتشف آثار القذيفة و شظاياها مرشوقة في الجدار.

- الضابط: إنكم محظوظون جداً بأن لم تدخل القذيفة من النافذة.

يُسَلِّمُ الضابط هويات العائلة لسي الفاضل و يَهْمُ بالخروج.

- الضابط: على كُلِّ حَالٍ أنتم ممنوعون من مغادرة البلدة في الأيام القليلة القادمة و سنعلمكم بموعد السماح لكم بالمغادرة.
- سي الفاضل: و لكن إجازتنا انتهت و علينا العودة للعاصمة فلنا أشغالنا هناك
- الضابط: ألم تفهم ما قلته لك؟ أنتم ممنوعون من المغادرة. الموضوع كبير جداً. إنها قضية أمن دولة. ستبقون هنا إلى غاية أن نسمح لكم بالمغادرة. هذا أمر و أحذركم من مغبة محاولة خرقه.
- سي الفاضل: حاضر سيدي سنيقي هنا. لكن هل لنا أن نعرف إلى غاية متى؟
- الضابط: أيام معدودة لا تتجاوز الأسبوع على أقصى تقدير و هو الوقت الكافي لاكتمال التحقيقات.

ينصرف الضابط و مساعده و كليهم المرعب و يعود الهدوء للبيت من جديد. لقد مرَّ هذا اليوم كسنة أو تزيد. الكلُّ مُرهق و أعصابه مشدودة. فَتَحَ أَحْمَدُ التلفزيون بحثاً عن بعض الترفيه و آخر الأخبار. قلب أَحْمَدُ في القنوات المحلية علَّه يجد في نشرات الأخبار بعض المعلومات عن العملية أو تصريحات للمسؤولين و لكنه تفاجئ بغياب و تعميم كلي على الموضوع فالقنوات المحلية تُذيع المسلسلات و الكليبات الغنائية كعادتها و نشرات الأخبار تنقل أخبار العالم و نشاط الحكومة و الرئيس و نتائج آخر المباريات الرياضية كعادتها. قلب أَحْمَدُ في القنوات الأجنبية فشَدَّتْ انتباهه تغطية للموضوع و اتصالات هاتفية مع بعض سكان المنطقة

يَرَوْنَ تفاصيل الحادثة فيما بدأ المحللون و الخبراء "المُتَحَقِّلُونَ" يُحَلِّلُونَ و يَصْعَعُونَ سيناريوهات فمنهم من يُوَكِّد أنَّها مجموعة إرهابية بما أنَّها المُؤَصَّفة في هذه الأيام و منهم من يُرَجِّح أنَّها مِنْ عَصَابَاتِ الْمُخَدَّرَات. انتشر الْخَبَرُ في وسائل الإعلام الأجنبية و تَدَاوَلَتْهُ الْقَنَوَاتُ بحيث يُمكنك قراءة الْخَبَرِ في شريط الأخبار أسفل الشاشة لمعظم هذه القنوات مع عبارة 'عاجل' باللون الأحمر. في السَّهْرَةِ توقف بثُّ الْقَنَاةِ الْوَطَنِيَّةِ الْأُولَى لِيُفْسَحَ الْمَجَالُ أَمَامَ أَوَّلِ بِلَاغٍ صَادِرٍ عَنِ وَزَارَةِ الْدَاخِلِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أُحْرِجَتِ الْقَنَوَاتُ الْأَجْنِبِيَّةُ الْحُكُومَةُ وَ كَانَ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْقِيَامِ بِتَصْرِيحٍ فَلَا يُمكنهَا تَجَاهُلُ الْمَوْضُوعِ بَعْدَ أَنْ فَاحَتِ رَائِحَتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ. طَلَعَ وَزِيرُ الدَاخِلِيَّةِ لِيَقْرَأَ مِنْ وَرَقَةٍ بِلَاغًا يُعَلِّمُ فِيهِ الْمَوَاطِنِينَ بِأَنَّ عَصَابَةَ مُخَدَّرَاتٍ تَسَلَّتْ إِلَى حُدُودِ بِلَدِنَا وَ اخْتَفَتِ بِإِحْدَى الْمَنَاطِقِ الْحُدُودِيَّةِ لَكِنَّ أَجْهَزَةَ الْأَمْنِ كَانَتْ مُتَبَيِّنَةً كَعَادَتِهَا وَ اسْتَبْكَتْ مَعَهَا وَ أَلْقَتْ الْقَبْضَ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهَا فِي حِينٍ قَتَلَتْ الْبَقِيَّةَ فِي تَبَادُلٍ إِطْلَاقِ النَّارِ وَ أَنَّ الْوَضْعَ هَادئٌ وَ الْأَمْنُ مُسْتَتَبٌ حَالِيًا. كَمَا أَنَّ التَّحْقِيقَاتِ جَارِيَةٌ وَ سَيُعْلَنُ عَنْ نَتَائِجِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.

- أَحْمَدُ: هل تُصَدِّقُونَ هذه الرواية؟
- سَيُ الْقَاضِلُ: لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ عَصَابَةَ مُخَدَّرَاتٍ تَمْتَلِكُ هَذَا التَّسْلِيحَ الْجَيِّدَ وَ التَّدْرِيْبَ الْكَبِيرَ عَلَى الْقِتَالِ كَمَا أَنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ شَرْسًا وَ كَأَنَّ الْمَوْضُوعَ بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ مَسْأَلَةٌ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ وَ كَانُوا مُسْتَعِدِينَ لِلْمَوْتِ وَ رَضُوا بِهِ بِدِيلًا عَنِ الْإِسْتِسْلَامِ. لَوْ كَانَتْ عَصَابَةُ مُخَدَّرَاتٍ لَا تَسْتَسْلِمُوا مِنْذُ الْوَهْلَةِ الْأُولَى وَ لَمْ يَظْهَرُوا كُلُّ هَذِهِ الْمَقَاوِمَةُ.
- أَحْمَدُ: مَنْ تَعْتَقِدُ الْفَاعِلَ إِذَنْ؟
- سَيُ الْقَاضِلُ: أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ إِرْهَابِيُونَ إِسْلَامِيُونَ فَهَذَا التَّسْلِيحُ وَ التَّدْرِيْبُ وَ الشَّرَاسَةُ فِي الْقِتَالِ تَمَيِّزُهُمْ وَ خَاصَّةً مِنْ تَدْرِبَ مِنْهُمْ فِي أَفْغَانِسْتَانِ.
- أَحْمَدُ: هل تَعْتَقِدُ بِأَنَّ بِلَاغَ وَزِيرِ الدَاخِلِيَّةِ غَيْرَ دَقِيقٍ؟ وَ لِمَاذَا إِذَنْ؟
- سَيُ الْقَاضِلُ: هُنَاكَ أُمُورٌ سِيَاسِيَّةٌ وَ حِسَابَاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَدْفَعُ رِجَالَ السِّيَاسَةِ لِإِخْفَاءِ بَعْضِ الْحَقَائِقِ أَوْ تَجْمِيلِهَا وَ ذَلِكَ لِإِعْتِبَارَاتٍ أُخْرَى
- أَحْمَدُ: مِثْلَ مَاذَا؟
- سَيُ الْقَاضِلُ: إِنَّ اقْتِصَادَ بِلَدِنَا يَعْتَمِدُ عَلَى السِّيَاحَةِ وَ لَقَدْ نَجَحْتَ بِلَدِنَا فِي اسْتِقْطَابِ السِّيَاحِ الْأُورُوبِيِّينَ بِفَضْلِ جَوِّ الْأَمْنِ وَ الْإِسْتِقْرَارِ
- أَحْمَدُ: وَ مِنْ الْأَكِيدِ أَنَّ خَبْرًا كَهَذَا سَيُفْزِعُ السِّيَاحَ وَ يَسِيءُ لِسَمْعَةِ الْبِلَدِ
- سَيُ الْقَاضِلُ: هَذَا صَحِيحٌ فَوْجُودَ مَجْمُوعَةٍ مُسَلَّحَةٍ فِي بِلَدِنَا يَعْنِي نِيَّتَهَا الْقِيَامَ بِعَمَلِيَّاتٍ إِرْهَابِيَّةٍ وَ عَادَةً مَا تَكُونُ الْمُنَشَّآتُ السِّيَاحِيَّةُ هِيَ الْأَهْدَافُ الْمَفْضَلَةُ لِدِيَّهَا وَ بِالتَّالِيِ فَإِنَّ السِّيَاحَ سَيُخَافُونَ وَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ سَيُغَيَّرُ وَجْهَةُ رَحْلَةِ إِجَازَتِهِ الشَّيْءَ الَّذِي لَا يَخْدُمُ مَصْلَحَةَ الدَّوْلَةِ وَ يُؤْثِرُ سَلْبًا عَلَى إِيرَادَاتِهَا.
- أَحْمَدُ: عَلَى كُلِّ سَنَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ كَامِلَةً بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ.

فَضَّلَ الْجَمِيعُ النَّوْمَ مَبْكَرًا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَحْدَاثُ الْيَوْمِ كَانَتْ عَصِيْبَةً وَ شَدِيدَةً وَ قَدْ سَبَقَتْ صَفِيَّةُ الْجَمِيعِ لِلنَّوْمِ بَعْدَ أَنْ عَصَبَتْ رَأْسَهَا مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ الَّذِي أَصَابَهَا فِيهِ نَتِيجَةُ التَّوْتَرِ وَ الْخَوْفِ وَ الصَّدْمَةِ.

دَخَلَ أَحْمَدُ غُرْفَتَهُ لِيَجِدَ رَجُلًا جَالِسًا أَمَامَ الطَّاوِلَةِ يَنْظُرُ إِلَى النَّافِذَةِ وَ ظَهْرُهُ لِبَابِ الْغُرْفَةِ. فَزَعَ أَحْمَدُ فِي الْبِدَايَةِ وَ شَكَّ فِي أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْمُسَلَّحِينَ الْهَارِبِينَ ثُمَّ سُرَّعَانَ مَا تَعَرَّفَ عَلَيْهِ مِنْ شَكْلِهِ وَ مَلَابِسِهِ. إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ.

- أَحْمَدُ: أَيْنَ كُنْتَ طَوَالَ هَذِهِ الْأَسَابِيْعِ الثَّلَاثَةِ الْمَاضِيَةِ
- عَبْدُ اللَّهِ: وَ عَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ. أَلَمْ تَتَعْلَمْ أَنَّ تُسَلِّمَ عَلَى ضِيُوفِكَ خَاصَّةً بَعْدَ طَوْلِ غِيَابٍ؟
- أَحْمَدُ: أَسَفٌ لَكُنِّي تَفَاجَأْتُ بِحُضُورِكَ بَعْدَ هَذَا الْغِيَابِ الطَّوِيلِ. لِمَاذَا غَبْتَ عَنِّي كُلَّ هَذِهِ الْفَتْرَةِ؟
- عَبْدُ اللَّهِ: (مَبْتَسِمًا) هَلْ وَحَشْتِكَ يَا أَحْمَدُ؟
- أَحْمَدُ: لَيْسَ هَذَا الْمَوْضُوعُ لَكُنِّي تَعُودَتْ عَلَى أَنْ أَرَاكَ كُلَّ يَوْمٍ ثُمَّ تَغِيْبُ مَرَّةً وَاحِدَةً لثَلَاثَةِ أُسَابِيْعٍ

- **عبد الله:** لقد كنت مريضا طوال هذه الفترة كما كانت لي بعض الأمور العائلية الأخرى حرصت على أن أسويها.
- **أحمد:** و هل تمرضون أنتم معشر الجن؟
- **عبد الله:** نعم نمرض و نموت و نولد... نحن مخلوقات مثلكم يصيبنا ما يصيبكم من المكروه و الابتلاء. لكن أمراضنا تختلف عن أمراضكم.
- **أحمد:** (ممازحا) هل كانت حرارتك مرتفعة؟
- **عبد الله:** لا تنس أننا مخلوقات من نار و حرارتنا دائما مرتفعة يا ناصح فمتى انتهت حرارتنا متنا و انتهينا.
- **أحمد:** و لماذا حضرت اليوم بالذات إذن؟
- **عبد الله:** لقد سمعت بخبر المعركة و أردت أن أطمئن عليك. فكل الجان في المنطقة يحكون عنها.
- **أحمد:** و كيف علمت بها؟ هل شاهدت الأخبار؟
- **عبد الله:** نحن لا نشاهد أخباركم و لا نصدقها فمعظمها أكاذيب. نحن نتأكد من المعلومة بأنفسنا و نتداولها بسرعة البرق.
- **أحمد:** هل تتدعي أنك على علم بكل ما حصل و بكل تفاصيله؟
- **عبد الله:** نعم و إلى حد كبير و أكثر حتى من وزير الداخلية لديكم الذي لم يصدق في بلاغه.
- **أحمد:** ما هو الموضوع بالضبط إذن؟
- **عبد الله:** الموضوع ببساطة هو أن هناك مجموعة من الإرهابيين الإسلاميين المسلحين تسللوا للبلاد من أجل القيام ببعض العمليات الإرهابية و قد تمركزوا في المبنى المجاور لكم بانتظار صدور التعليمات بالتحرك و ضرب الأهداف المرسومة. و قد تفتنت الشرطة لوجودهم بعد أن قام العربي السمسار بإخبارهم بشكوكه تجاه أحد أفراد المجموعة. و لقد شاهدت أنت و والدك المعركة بكل تفاصيلها.
- **أحمد:** هل ألقى القبض على كامل أفراد المجموعة؟
- **عبد الله:** لا لقد تمكن خمسة منهم من الهروب.
- **أحمد:** كيف؟ هرب خمسة منهم؟ و كيف هربوا و المبنى محاصر بالكامل؟
- **عبد الله:** أثناء اندلاع الحريق و انبعاث الدخان الأسود الكثيف منه تسلل خمسة عناصر منهم وسط الدخان و مروا بين الجنود الذين كانوا يراقبون عملية الإنزال بالطائرة العمودية فكان انتباههم مشتتا و لم يكونوا يحرسوا جيда منطقتهم. ثم دخلوا إلى الغاية و احتموا بها و غابوا عن الأنظار.
- **أحمد:** هل لك أن تدلني عن مكانهم حتى نعلم الشرطة عنهم؟
- **عبد الله:** (مستاء) احترم نفسك يا أحمد. ماذا تظنني؟ أنا جني و لست مخبرا لشرطتكم. ماذا تحسبني يا أحمد؟
- **أحمد:** و ماذا في ذلك؟ إنك ستساعد الشرطة في القبض عليهم. لا تنس أنهم مجرمون و قد قتلوا ضابطا و هناك ضابط شاب يصارع الآن الموت كما أنهم كادوا أن يقتلوني أنا و كامل عائلتي. ألا تعتقد أنك بالتبليغ عنهم ستقوم بعمل خيري ستجازي عليه؟
- **عبد الله:** (و الاقتناع بدأ يظهر عليه مع بعض الامتناع) حسنا إنهم الآن باتجاه الحدود الغربية و سيحاولون عبورها صبيحة يوم الغد كما أنهم سيكونون متكررين في شكل فريق ملاكمة سيجري بعض المباريات في الدولة المجاورة.
- **أحمد:** معلومات مهمة و لكن كيف سأوصلها للشرطة؟
- **عبد الله:** احذر أن تتصل بهم مباشرة و أن تكشف هويتك فالشرطة لن تدعك أبدا و ستشك في أمرك. حاول أن تبلغ المعلومة بشكل سري.
- **أحمد:** سأحاول أن أحتفظ بسرية هويتي.
- **عبد الله:** دعنا من الإرهابيين و همهم. هل فكرتم ماذا ستفعلون بالكُتْز؟

- **أحمد:** لم نتحدث إلى الآن في الموضوع لكنني أظن أن لكل واحد فينا مشاريعه و برامجه الخاصة به.
- **عبد الله:** أنا متشوق أن أرى كيف ستتغير حياتكم بعد وجود الكُزْر. و الآن أنا مضطر للانصراف فلدي بعض الأمور العالقة التي يجب أن أسويها.
- **أحمد:** لا تغب عني كثيرا. أريد مقابلتك بشكل يومي.
- **عبد الله:** (مبتسما) ألم أقل لك أنك مغرم بي و لم تعد بقادر على الاستغناء عني؟
- **أحمد:** إنها مسألة تعود ليس إلا

ينصرف عبد الله و يترك أحمد في أفكاره و تساؤلاته الوجودية إلى غاية أن يغلبه النعاس و ينام كالطفل.

الأربعاء 4 ابريل الثامنة صباحا – الشقة المفروشة بعين دراهم

مازال سي الفاضل و صَفِيَّة يغطون في نوم عميق عِنْدَمَا استيقظ أحمد و ارتدى ملابسه و غادر البيت بسرعة. كان الطقس في الخارج شديد البرودة و الثلوج تتساقط على المنطقة فبدأ اللون الأبيض يغطيها. انطلق أحمد لبقالة العربي حيث وجده بصدد فتح بابها.

- **أحمد:** صباح الخير يا سي العربي
- **العربي:** صباح النور يا ابني كيف حال سي الفاضل اليوم؟ هل جرحه أفضل؟
- **أحمد:** بخير و الحمد لله. وددت أن أسألك عن كايينة اتصالات عمومية فجوالي توقف عن العمل و أنا أريد القيام بمكالمة هاتفية مستعجلة.
- **العربي:** إنَّ معي جوالا يمكنك أن تستعمله إذا كان الأمر مستعجلا
- **أحمد:** (مرتبكا) لا...لا... شكرا لا أريد أن أزعجك و ربما تطول المكالمة. أفضل الهاتف العمومي.
- **العربي:** كما تريد. هُنَاكَ كايينة اتصالات وحيدة في المدينة و هي قريبة من "مَطْعَم رضا". ذلك المَطْعَم الذي اشترينا منه الدجاج يَوْمَ وصولكم. هل تذكره؟ و لكنني لا أعتقد أنها مفتوحة الآن فصاحبها يستيقظ متأخرا بما أن الزبائن قليلون في هذه المدينة و خاصة بعد انتشار الجوال بينهم.
- **أحمد:** سأحاول فربما تكون مفتوحة الآن.

يُسرع أحمد الخطى باتجاه كايينة الاتصالات و كله تخوف من أن ينجح الإرهابيون في الهروب و اجتياز الحدود قبل أن يُبلِّغ عنهم و يُلقَى القبض عليهم.

بعد بضعة دقائق كان أحمد أمام الكايينة و لكنه و جدّها مغلقة كما توقع العربي ذلك. غضب أحمد و زاد توتره حتّى أنّه ركل بابها الحديدي. كان الشارع مُقفرا و أغلب المحلات مغلقة ما عدى مقهى قديم شبه خالي من الزبائن موجود في الجهة المقابلة من الشارع. تجهيزات المقهى قديمة و طاولاته و كراسيه حديدية من النوعية الرديئة كما أنّ أرضيته غير نظيفة. لم يكن جالسا في المقهى سوى زبونين اثنين فقط عِنْدَمَا دخلها أحمد. لقد قرر أن ينتظر فتح كايينة الاتصالات هُنَاكَ فذلك أضمن و لا يثير الشبهات كما أنّه سيستغل وقت الانتظار ليفطر فإنّه لم يأكل شيئا منذ البارحة. جلس أحمد أمام طاولة على ناصية الشارع ليراقب الكايينة جيدا و طلب قهوة بالحليب مع بعض المَعْجَنَات. عند انتهاءه من الفطور اقترب شاب من باب الكايينة و بدأ يتحدث عن المفاتيح في جيوبه فتأكد أحمد أنّه صاحب الكايينة. انتظر حتّى أتم فتحها و انطلق مسرعا باتجاهه.

تفطن أحمد أنّه لم يكن يعلم رقم الشُرْطَة و لم يُرد أن يسأل صاحب الكايينة من باب الحرص. اتصل بالاستعلامات و طلب رقم شرطة النجدة ثم اتصل بهم و أطلعهم على ما لديه من معلومات و قبل أن يكمل

الضابط سؤاله عن هويته و مصدر معلوماته أقفل أحمَد السماعَة بسرعة و غادر الكابينة باتجاه البيت. خالج شعور غريب و متناقض أحمَد فمن جهة هو مرتاح لأنه قام بواجبه تجاه بلده كمواطن صالح و من جهة أخرى متخوف من أن تصل إليه الشرطَة فيسألونه عن مصدر معلوماته و ربّما يشكون في ارتباطه بالشبكة. و بينما هو يمشى و هذه الأفكار تتصارع داخله رنَّ جواله ففزع أيّما فزع و ظنَّ أنَّ الشرطَة كشفت أمره و هي التي اتصلت به. تسمر في مكانه و لم يتنفس إلا بعد أن رأى رقم أبيه على شاشة الجوال.

- سي الفاضل: أين أنت يا أحمَد؟ لماذا خرجت و لم تخبرنا؟
- أحمَد: أنا في الشارع يا أبي. لم أعلمكما لأنني لم أرد أن أزعجكما و أن أوقظكما من النوم.
- سي الفاضل: و ماذا تفعل في الشارع في مثل هذا الوقت و مثل هذه الظروف السوداء.

ارتبك أحمَد و لم يدر ما يجيب عندهما نظر أمامه و وجد محلا يعد الفطائر.

- أحمَد: لقد اشتهيت فطائر ساخنة و أنا الآن أمام المحل لأشتري البعض منها لكي نفطر بها سويا.
- كم تريد أن أحضر من واحدة يا أبي؟
- سي الفاضل: فكرة جيدة إنني أشتهي الفطائر منذ فترة، لكن لا تحضر منها الكثير فكما تعلم لا نرغب أنا و أمك في الكثير من الزيوت المقلية.
- أحمَد: حاضر يا أبي. هل تحتاجون شيئا آخر؟
- سي الفاضل: أحضر لي معك علبتي سجائر مستوردة من النوع الذي أنا متعود عليه فالسجائر المحلية التي يحضرها العربي أتعبت صدري.
- أحمَد: حاضر يا أبي. سأتي حالا.

تنفس أحمَد الصعداء لأن الموضوع مرَّ بسلام من دون أن يثير شكوك أبيه و لا أن تكتشف الشرطَة أمره. سارع باقتناء الفطائر و السجائر و عاد إلى البيت.

كان الجميع قد استيقظ في البيت عندهما عاد أحمَد. دخل مبتسما ملوِّحا بكل نشاط بالفطائر الساخنة الشهية. وضعها على طاولة الصالون و سلّم أباه السجائر التي طلبها و قبّله على جبينه و كذلك فعل مع أمه.

- أحمَد: الجو شديد البرودة في الخارج.
- سي الفاضل: ما كان عليك أن تخرج في مثل هذا اليوم فالوضع الأمني لا يزال متوترا و ربما تعتقل الشرطَة كلَّ من تشبه فيه.
- أحمَد: الحمد لله فلم أقابل أحدا من الشرطَة في الخارج.
- سي الفاضل: و كيف أنت متأكد من ذلك إلى هذا الحد؟ فعادة ما يكون أفراد الشرطَة في مثل هذه الظروف متنكرين في شخصيات مختلفة كعامل النظافة أو سائق التاكسي أو زبون مقهى.

دوّت كلمة زبون مقهى في رأسه بشدة. لقد تذكّر أنّه كان في المقهى أحد الزبائن يتظاهر بأنّه يقرأ جريدة و لكنه كان و كأنّه يراقب الشارع و المقهى. كان شكله غريبا يثير الشكوك. تسارعت دقات قلبه و خاف أن يكون قد انكشف أمره و أن يكون المخبر قد اقتفى أثره و حدد هويته. لقد ندم أحمَد على قلة حرصه. ربّما الشرطَة في طريقها إلينا؟ أو هل هي مجرد شكوك؟

- أحمَد: (و قد تغير لون وجهه) الحمد لله على كلِّ حال.

جلس الجميع يفطر و لكنَّ أكلُ أحمَد كان قليلا و بطيئا بسبب إفطاره بالمقهى من جهة و بسبب خوفه من هذا المخبر المحتمل الذي لم يتفطن إليه من جهة أخرى. لاحظ سي الفاضل ذلك فدعاه للأكل.

- سي الفاضل: لماذا لا تأكل الفطائر يا أحمَد. ألم تتحمل المخاطرة و البرد من أجل إحضارها؟

- **أَحْمَدُ:** أنا أكل يا أبي.

تظاهر أَحْمَدُ بالأكل بشراهة و عقله يجول في الشُّرْطَة و المُخْبِر و إمكانية اكتشاف أمره و كيف سيبرر لهم معرفته بالمعلومات التي أدلى بها. ندم أشد الندم على تسرعه و لكنه لا يملك الآن أن يفعل شيئاً... أو ربما. لماذا لا يسأل عبد الله؟ أكيد أن بإمكانه أن يعرف ذلك. و لكن أين سيجد عبد الله فهو يأتي عِندَما يريد و يختفي عِندَما يريد.

قطعت صَفِيَّةُ حبل أفكار أَحْمَدُ.

- **صَفِيَّةُ:** أريد مغادرة هذا المكان فلم أعد أطيق البقاء فيه بعدما حصل يَوْمَ أمس
- **سي الفاضل:** ألم تسمعي تحذير الضابط لنا؟ لو نجحنا في الخروج من البلدة فإننا سنثير شكوك الشُّرْطَة و سينطلقون يبحثون عنا و لن يتأخروا في إيجادنا. سننتظر حتَّى تهدأ الأمور ثم نغادر المدينة بكل هدوء.
- **صَفِيَّةُ:** و لكن الأمر يمكن أن يطول لمدة أسبوع.
- **سي الفاضل:** (و قد بدأ يضيق ذرعا بتذمر زوجته) و ماذا يمكننا أن نفعل. هل بيدنا شيء نفعله. هذه هي الظروف و يجب القبول بها و التعامل معها بعقلانية
- **أَحْمَدُ:** أعتقد أن هذه الأيام ستكون مفيدة لنا في التفكير و التخطيط لما سنفعله عند عودتنا للبيت و كيف سننصرف في الكنز.
- **سي الفاضل:** أحسنت يا أَحْمَدُ. ألا تلاحظون بأننا لم نتناقش إلى حد الآن كيف سننصرف في الكنز؟
- **صَفِيَّةُ:** لقد طغت الفرحة علينا طيلة الأسابيع الماضية و كنا نعيش فوق السحاب و لم نفق بحقيقة الواقع إلا عند سماعنا أصوات الرِّصَاص. عندها فقط عُدنا إلى الأرض و إلى البشر و شرورهم.
- **سي الفاضل:** هل لديكم أفكار؟
- **أَحْمَدُ:** أعتقد أنَّه يجب علينا أن نبيع الذهب أولاً و لكن بكميات قليلة و في أماكن مختلفة و لتجار مختلفين حتَّى لا يشكوا بأمرنا.
- **سي الفاضل:** هذه فكرة جيدة فبيع بضعة قطع من المصاغ لا تثير الشبهة. سيعتبر التاجر أنَّ البائع يحتاج لبعض المال مما اضطره لبيع بعض مصاغ زوجته. و إن لم يتكرر ذلك مع نفس التاجر فإن الأمور ستمر عادية دون إثارة الشكوك.
- **صَفِيَّةُ:** لماذا لا نبيع الأحجار الكريمة فالواحدة تساوي مائة ألف دينار على الأقل. بيع حجر واحد سوف يغنينا عن بيع عشرات القطع من الذهب و بالتالي ستكون الشبهة أقل.
- **سي الفاضل:** لا أوافقك الرأي يا صَفِيَّةُ فبيع الأحجار الكريمة تتطلب خبراء يفهمون فيها ثم أنهم سيسألون عن مصدرها و من أين حصلت عليها؟ أما بيع الذهب فإنه بسيط يمكن لأي حرفي في المصاغ أن يحدد عياره بسهولة و لا يسأل عن مصدره إذا ما كانت الكمية قليلة و البيع غير متكرر.
- **صَفِيَّةُ:** إذن كيف سننصرف بالأحجار الكريمة؟ هل سنعجز عن بيعها؟
- **سي الفاضل:** لا أعلم و لكن يجب أن نبحث عن طريقة أخرى لبيعها و ربما اضطرني ذلك للسفر لبليكا فهناك السوق العالمية للأحجار الكريمة و هناك يجمع الخبراء و يقدرون تقييمها بسهولة ثم إنهم لا يسألون عن مصدرها مادام سعر الشراء مناسباً و سيحققون صفقة جيدة فيها.
- **أَحْمَدُ:** لقد قرأت مرة أنَّ اليهود هم المسيطرون على سوق الأحجار الكريمة في العالم.
- **سي الفاضل:** نعم هذا صحيح. و اليهود لا يهتمهم سوى الربح الوفير.
- **صَفِيَّةُ:** على كُلِّ حال فكمية الذهب المتوفرة لدينا كافية لتحقيق آمالنا و يمكننا تأجيل تسويق الأحجار الكريمة لفترة طويلة.
- **أَحْمَدُ:** معذرة. لكن هُناك سؤال لم نجب عليه إلى حد الآن و هو ماذا سنفعل بالمال بعد بيع الذهب؟

صمت الجميع برهة و كأن السؤال غريب. لقد نزل عليهم هذا السؤال ثقيلًا. هل يعقل أنهم لم يفكروا بما سيفعلون بالمال؟ الكل له أفكاره و أحلامه و لكن أحدا منهم لم يفكر بشكل عملي و دقيق.

نظر الجميع إلى بعضهم ثم ضحكوا في نفس الوقت.

- سي الفاضل: أحسنت يا أحمد. لم لم نفكر بماذا سنفعل بالمال؟
- أحمد: المهم الآن هو أن نعلم ماذا سنفعل به؟

أعاد هذا السؤال الجميع للصمت و الدهشة.

- صَفِيَّة: سنفعل كل ما يحلو لنا. و ماذا سيفعل غيرنا لو وجد كنزا كهذا؟
- سي الفاضل: دائما ما نتوقف في روايات ألف ليلة و ليلة عِندَمَا يحصل الرجل الفقير على الكنز و لا نهتم ماذا فعل بعد ذلك و عادة ما تنتهي القصة عند هذا الحد.
- أحمد: أنا أقترح أن نكتب كافة الأشياء التي نريد شراءها و تحقيقها في قائمة. و لِنُعِدَّ كُلَّ منا قائمته و نناقشها فيما بعد.
- سي الفاضل: هذه فكرة جيدة و أنا موافق عليها.

دخل أحمد لغرفته و أحضر منها أوراقا و أقلاما بينما قامت صَفِيَّة بتنظيف الطاولة من بقايا الفطور. وضع أحمد الأوراق و الأقلام على الطاولة و وزعها على الجميع.

أمسك كل واحد منهم بالقلم أمام ورقة بيضاء و هم بالكتابة و لكن أحدا منهم لم يُدوِّن كلمة واحدة. غابت الأفكار بشكل غريب.

نظروا لبعضهم مرة أخرى.

- صَفِيَّة: ماذا بكما أليس لكما ما ترغبان في تحقيقه؟
- سي الفاضل: كانت لدي طوال حياتي أحلام و رغبات كثيرة أريد تحقيقها و منعنتني ظروفى المادية من ذلك و اليوم و قد توفر المال تغيب عن ذهني هذه الرغبات. هذا أمر غريب فعلا. هل تعودنا على حياة التقشف و فقدنا طموحنا و انطفأت أحلامنا؟

صمت الجميع و كأنهم يشاركونه فكرته ثم قطعت صَفِيَّة هذا الصمت و أراد تحريك الموقف.

- صَفِيَّة: بالنسبة لي أنا، أول شيء سأشتريه هو فرن كهربائي بدلا من فرن الغاز الذي أكله الصدأ.

ضحك سي الفاضل من كلام صَفِيَّة إلى حد ظهر ضرس العقل لديه.

- سي الفاضل: نجد كنزا يساوي الملايين و أول ما تفكرين فيه هو فرن كهربائي؟
- صَفِيَّة: يجب أن أبدأ من شيء ما. أليس كذلك؟ أليس هذا أفضل من أن أعجز عن ذكر احتياج واحد؟
- أحمد: ما تقوله أمي صائب فيجب أن نبدأ من شيء ما و من الأكيد أن الأفكار ستأتي تباعا.

رجع كل واحد منهم إلى ورقته. أشعل سي الفاضل سيجارة. تحركت الأقلام ببطء في البداية ثم تسارعت حركاتها و طالت القوائم و امتلأت الأوراق حتَّى أن أحمد اضطر إلى أن يحضر أوراقا جديدة. لقد تفتحت آبار من الحرمان داخل نفوسهم فلفظت كل ما فيها. لطالما رمت الظروف المالية الصعبة باحتياجاتهم و رغباتهم و أحلامهم إلى هذه الآبار العميقة فاستقرت في غياهب النسيان محبوسة مكبوتة و لكنها لم تمت.

الآن تحررت أنفسهم و فتحت الأبواب المغلقة منذ زمن طويل و عزم الجميع على تطهيرها بالكامل و عدم ترك أي حاجة غير محققة فيها.

بعد فترة طويلة من الصمت و التفكير و الكتابة توقفت الأقلام. كانت القوائم طويلة و غير منظمة.

- **سي الفاضل:** من الذي سيبدأ بقراءة ما كتب من احتياجات يريد تحقيقها؟
- **أحمد:** السيدات أولاً. هكذا جرت العادة.
- **صفية:** لكنني أحذركم من أي تعليق ساخر و إلا توقفت.
- **سي الفاضل:** لا تكثرني للأمر. سوف لن نعلق عليك.
- **صفية:** لقد قلت '1- فرن كهربائي و أضيف2- ثلاجة جديدة، 3- غرفة نوم من الطراز الحديث، 4- تلفزيون جديد من الحجم الكبير، 5- فساتين، كثير من الفساتين، فساتين للصيف و أخرى للشتاء و أخرى لحضور المناسبات، 6- أحذية كثيرة تناسب مع الفساتين، 7- حقائب يد كثيرة، 8- السفر لأوروبا و قضاء شهر على الأقل فيها، 9- تغيير الصالون، 10- الكثير من مواد التجميل ذات الماركات العالمية، 11...، 12...

بقي سي الفاضل و أحمد يستمعان إليها باهتمام في البداية و ثم بملل، فأكثر طلباتها استهلاكية و عادية.

استرسلت صفية في سرد احتياجاتها فكانت تنتقل من الأثاث إلى الملابس إلى الرحلات من غير نظام ثم توقفت فجأة و اتسعت عيناها

- **صفية:** أريد فيلا. نعم أريد أن نبني فيلا فخمة في أرقى أحياء المدينة. فيلا تكون فيها حديقة جميلة.
- **سي الفاضل:** هذه أمور مقدور عليها و موافق عليها ما عدا الفيلا. إنني لا أفكر إطلاقاً في مغادرة بيت جدودي و السكن في أي مكان ثاني. ولدت في هذا البيت و عشت فيه و ساموت فيه و هذا موضوع لا يقبل النقاش. ماذا لديك أنت يا أحمد؟
- **أحمد:** لقد ذكرت أمني بعض الأمور التي دونتها على ورقتي و لكن لدي أشياء أخرى مثل 'سيارة صغيرة تغنيني عن ركوب الحافلات المزدحمة، الحصول على رخصة القيادة، كمبيوتر محمول، جوال جديد، الملابس و مستلزماتها...

واصل أحمد أيضاً قائمة طلباته و الكل يستمعون إليه.

- **أحمد:** و ماذا عنك يا أبي؟
- **سي الفاضل:** لقد ذكرت العديد من الأشياء التي دونتها و خاصة تلك المتعلقة بالأثاث و لكنني ركزت على أمور أخرى غابت عنكم
- **أحمد:** و ما هي؟
- **سي الفاضل:** يجب أن نفكر في استثمار المال في مشروع يدر علينا أرباحاً و يبرر ما سيظهر بين يدينا في المستقبل من أموال. إنني أفكر في أن أفتح مكتبة كبيرة أبيع فيها الكتب و الأدوات المكتبية و المدرسية فهذا الحلم لطالما رافقني منذ كنت صغيراً و لكنني لم أتمكن للأسف من تحقيقه و اضطررت للعمل في المحكمة كموظف أرشيف. هذه المهنة التي طالما سئمتها و كرهتها على مدى سنوات خدمتي الطويلة و حلمت بأن أستقيل منها. لقد فكرت أيضاً في أن أشتري كمية من الأسهم المختلفة تحقق لنا أرباحاً معقولة في نهاية كل سنة. كما أن لدي حلماً قديماً لطالما راودني و هو شراء مزرعة كبيرة نقضي فيها إجازات نهاية الأسبوع، نأكل من خيرها و ندر علينا أرباحاً معقولة فالمزرعة و الأرض بركة. لا تنسوا بأن كل أجدادي كانوا من الفلاحين و دائماً ما ملكت عائلتنا الأراضي و المزارع. لا يجب فقط أن نفكر في صرف المال و لكن يجب أيضاً أن نفكر في

استثماره فالمثل يقول 'لو سحبت في كُلِّ يَوْمٍ مقداراً ملعقة من الجبل فسوف يأتي يَوْمٌ و ينفذ فيه هذا الجبل' أليس كذلك؟

- **صَفِيَّة:** و لكن لا يجب أن تنسى نفسك و تهمل تحقيق رغباتك.
- **سي القاضل:** هذا أكيد و سوف لن أبخل لا على نفسي و لا عليكم بأي شيء ترغبون فيه و لكنني في الوقت نفسه سأفكر أيضاً في المستقبل و الاستثمار و تأمين شيخوختنا و ضمان مستقبلك يا أَحْمَد.

كانت هذه أول مرة تتحدث فيها العائلة بصوت مسموع و بشكل منطقي و عملي عن مشاريعها المستقبلية و بدأت الأمور تتضح للجميع.

عاد أَحْمَد إلى غرفته و استلقى على فراشه و هو يفكر بعمق في الحوار الذي جرى بينه و بين والديه عِنْدَمَا ظهر له فجأة عبد الله جالسا على نفس الكرسي الذي ظهر عليه ليلة البارحة.

- **أَحْمَد:** مرحبا بك يا عبد الله. لقد كنت أود مقابلتك لأمر مستعجل
- **عبد الله:** خير إنشاء الله
- **أَحْمَد:** ألا يمكن أن أستدعيك فتظهر لي؟
- **عبد الله:** هذا الأمر يحصل في حكايات علاء الدين و المصباح السحري و خرافات ألف ليلة و ليلة عِنْدَمَا يفرك سعيد الحظ المصباح فيحضر له الجني و يقول له "شبيك لبيك كُلُّ ما تطلب بين يديك". دائما ما تصوروننا في حكاياتكم كخدم ليست لنا حياتنا و شخصياتنا. أنا أحضر عِنْدَمَا أريد و لست خادما عند أحد.
- **أَحْمَد:** عفوا لم أقصد الإهانة و لكن في بعض الأحيان أحتاجك بشكل مستعجل و لا أدري كيف أتصل بك.
- **عبد الله:** (مهدئا من نبرة الحوار و مازحا) للأسف ليست لدينا نحن معشر الجن شركات اتصالات هاتفية حتَّى تتصل على الرقم الخاص بي.
- **أَحْمَد:** ما العمل إذن؟
- **عبد الله:** لا تقلق بشأن ذلك فسأكون دائما قريبا منك و سأحضر في الوقت المناسب.
- **أَحْمَد:** لقد سبق أن تغيبت لثلاثة أسابيع و لم تنبهني لوجود الإرهبيين بجوارنا و كدنا نموت أنا و عائلتي.
- **عبد الله:** ألم أقل لك أنني كنت مريضا. ألا يحق لنا أن نمرض؟ ثم لماذا أنت متلهف لمقابلتي؟ ما الذي تريد أن تعرفه؟
- **أَحْمَد:** إنني قلق كثيرا من إمكانية اكتشاف أمري من الشرطية. لقد اتصلت اليوم بشرطة النجدة و أخبرتها بالمعلومات التي أعطيتني إياها.
- **عبد الله:** ثم ماذا؟
- **أَحْمَد:** لقد كان في المقهى المقابل لكابينة الاتصالات رجل أشك في أنه مُخبر و ربما تعقبني و علم بأمري.
- **عبد الله:** لا تقلق من ذلك. إنَّه لم يكن مخبرا. إنَّه أحد السماسرة و كان ينتظر زبونا لا يعرف شكله، كان على اتصال هاتفي فقط معه، فكان يراقب المقهى و الشارع بحثا عنه.
- **أَحْمَد:** الحمد لله لقد طمأننتني فلقد كادت الهلواس أن تفقدني صوابي.

صمت أَحْمَد لفترة و كأنَّه يستمتع بتبديد مخاوفه و الاستراحة من الرعب الذي كان يثقل كاهله. نظر أَحْمَد لعبد الله فوجده يطالع فيه باستغراب

- **أَحْمَد:** ماذا؟
- **عبد الله:** لم تسألني السؤال المهم.

- **أحمد:** أي سؤال؟
- **عبد الله:** أووه... لقد حسبتك أنه من ذلك.
- **أحمد:** لا أدري عن أي سؤال نتحدث.
- **عبد الله:** ألا تريد أن تعرف هل أمسكت الشرطية بالإرهابيين الخمسة الهاربين؟
- **أحمد:** إيه و الله. كيف غاب عني ذلك؟ اعدوني يا عبد الله فخوفي من شكوك الشرطية شل تفكيري. ماذا حصل لهم؟
- **عبد الله:** أطمئنك بأن الشرطية ألقت القبض عليهم جميعا.
- **أحمد:** أبهذه السرعة؟
- **عبد الله:** نعم لقد كنت في مركز العمليات عندما قمت أنت بالاتصال.
- **أحمد:** حقا؟ وكيف جرت الأمور؟ أريد معرفة كافة التفاصيل.
- **عبد الله:** بعد أن قمت بالاتصال على شرطة النجدة قام الموظف الذي تحدثت معه بتدوين المعلومة و اتصل برئيسه على الفور الذي اتصل بدوره بقاعة العمليات فهناك خلية طوارئ شُكِّلَتْ خصيصا لتتابع هذا الموضوع. فور وصول المعلومة اتصل الضابط المسؤول بفرقة حرس الحدود و كثفوا من عمليات المراقبة و التفتيش حتى قدمت سيارة أجرة و على متنها الإرهابيون الخمسة مرتدين ملابس رياضية و معهم هويات مزيفة تفيد بأنهم من فريق الملائكة.
- **أحمد:** و طبعا تنكرهم هذا هو الذي سهل على حرس الحدود التعرف عليهم.
- **عبد الله:** بالضبط فقد كان حرس الحدود يبحث عن مطلوبين بهذه المواصفات. و ألقوا القبض عليهم جميعا و اقتادوهم للعاصمة للتحقيق معهم.
- **أحمد:** لقد أحسنت صنعا يا عبد الله فلو لا معلوماتك لما تمكنت الشرطية منهم و لفروا خارج البلاد ليقوموا بجرائم أخرى.
- **عبد الله:** الفضل يعود لله سبحانه و تعالى و لكن يعود إليك أيضا فأنت الذي سارعت بالإبلاغ عنهم و لم تتردد في ذلك رغم المخاطرة الكبيرة. لو كنت تأخرت نصف ساعة فقط لكان الإرهابيون قد تجاوزوا الحدود و ضاع أثرهم للأبد.
- **أحمد:** الحمد لله على كل حال.

التقى الجميع في الصالون عند الغداء و فتح أحمد التلفزيون ليتابع آخر الأخبار. بدأ الجميع بتناول الغداء عندما أعلن الناطق الرسمي لوزارة الداخلية البيان التالي: " بفضل جهود و تحريات قوات الأمن و يقظتهم تم إلقاء القبض على خمسة من أفراد المجموعة المسلحة الذين كانوا بحالة فرار. و قد أفادت التحقيقات معهم أنهم من جماعة إرهابية أصولية كانت تهدف لتنفيذ عمليات إرهابية على أراضينا و لكن يقظة قوات الأمن أفشلت مخططاتهم الإجرامية و سينالون العقاب المناسب."

حرك أحمد رأسه ساخرا من تعبير "يقظة قوات الأمن" و الحال أنهم نجحوا في إلقاء القبض على الفارين بناء على اتصاله الهاتفي و ليس على جهودهم أو تحرياتهم كما يزعمون و لكنه في نفس الوقت لم يكثر ذلك كثيرا فالمهم أن المجرمين قابعون الآن في السجن و سينالون عقابهم.

- **سي الفاضل:** لقد أقرت وزارة الداخلية أخيرا بأن المجموعة إرهابية كما توقعت و قلت لك البارحة أحمد: لماذا لم تتشبت ببلاغها الأول؟ أليس ذلك أفضل لمصلحة البلاد؟
- **سي الفاضل:** لقد انتشر الخبر في كل وسائل الإعلام التي تناقلت تصريحاً للتنظيم الإرهابي ظهر على شبكة الانترنت يتبنى العملية و يتوعد بالقيام بعمليات ناجحة في المستقبل تنسيبهم خبيثهم في هذه المرة.
- **صفية:** أوف! ألا يهدون؟ لماذا كل هذا الكره و الشر؟ لماذا هذا الإصرار على القتل و العنف؟ ألا يمكنهم أن يعيشوا بسلام و يدعوننا نعيش بسلام؟ أليست لديهم عائلات و زوجات و أطفال؟ لماذا لا يهتمون بعائلاتهم و يدعوننا و شأننا؟

لقد بدا الامتعاض و القلق على صَفِيَّة الشيء الذي عكر صفوها المعهود. هي التي لا تهتم عادة بالسياسة و لا تفقه فيها شيئا و لكن طبيعة المرأة و الأم المليئة بالحياة و بغريزة البقاء تنكر هذه التصرفات و دون أن تدخل في تحليلات سياسية معقدة تقول رأيها بكل صراحة و تتخذ موقفا واضحا.

- **سي الفاضل:** يقولون أننا كفار و يجب الجهاد فينا حتَّى يظفروا بالجنة.
- **صَفِيَّة:** و هل نحن كفار؟ و من الذي نصبهم وكلاء علينا؟ من الذي أعطاهم الحق في تصنيف الناس بين مؤمن و كافر؟
- **سي الفاضل:** هؤلاء هم من قال الحق فيهم " أُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ظَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنعًا". فلندعو لهم بالهداية و أن يرجعوا للجادة و يكونوا مصلحين غير مفسدين.

انقضت أيام قليلة قبل أن يرفع الأمن طوقه عن المنطقة و تستأنف البلدة حياتها الطبيعية. سارعت العائلة بحزم أمتعتها و مغادرة البلدة بعد أن سلمت على العَرَبِي السَّمْسَار و دفعت له كَلَّ ما تعلق بدمتها من باقي إيجار و خلافة.

🇵🇸 الاثنين 9 أبريل - الرابعة عصرا - منزل العائلة بالعاصمة

دخل الجميع المنزل و وضعوا الحقائب في الصالون. إنَّ للعودة للبيت، بعد غياب طويل، نكهة غريبة. فالإنسان يشعر براحة و سعادة عِندَمَا يعود إلى بيته فيبدو له أجمل عما كان عليه عِندَمَا تركه آخر مرة.

جلس الجميع في الصالون لأخذ نصيب من الراحة بعد تعب السفر لكنَّ صَفِيَّة وقفت بسرعة و كأنَّها تذكرت شيئا مهما و أسرعَّت الخطى نحو المطبخ لتعود بعد قليل و هي هادئة بعد أن اطمأنت على سلامة الكُز.

- **صَفِيَّة:** الحمد لله على أنَّ الذهاب لا يزال في مكانه لم ينقص منه شيء.
- **سي الفاضل:** يجب أن نستعد للاستقبال المهنيين بالسلامة و نتفق على ما سنقوله لهم. من الأكيد أن أسئلتهم ستكون كثيرة؟
- **أحمد:** من الأكيد أنهم سيسألون عن الرحلة و عن أمريكا و يلمحون لقيمة الثروة.
- **سي الفاضل:** هذا مؤكد
- **صَفِيَّة:** و ماذا سنقول لهم إذن؟
- **أحمد:** أقترح أن نذكر اسم مدينة في أمريكا غير معروفة لعامة الناس و نبتعد عن المدن المعروفة كواشنطن و نيويورك فربما يكون لأحدهم معرفة بها فيخرجنا بالأسئلة التي لا نعرف كيف نجيب عليها. ما رأيكم بمدينة "سالت لايك" إنها غير مشهورة.
- **صَفِيَّة:** أنا لم أسمع بها قط
- **سي الفاضل:** هل هذه المدينة التي أقيمت فيها الألعاب الأولمبية الشتوية منذ سنوات؟
- **أحمد:** نعم يا أبي.
- **سي الفاضل:** يجب أن تزودنا بمعلومات عليها كما يجب أيضا أن نتفق على مسار الرحلة.
- **أحمد:** سنقول أن طائرتنا حطت الرحال بنيويورك و من ثم أخذنا طائرة أخرى على الخطوط الداخلية حتَّى مدينة "سالت لايك" و أقمنا في فندق هُناك طيلة فترة الرحلة قمنا خلالها بإجراءات الوراثة و تم تحويل المبلغ على حسابك هنا. و لقد عدنا فور انتهاء الإجراءات متخذين نفس خط رحلة الذهاب و لم يكن لدينا الوقت للتوقف بالمراكز التجارية أو التجوال بها لشراء الهدايا.
- **سي الفاضل:** فكرة جيدة و لكن علينا أيضا أن نعد رواية خاصة "بعمي" و حياته و كيف كوّن ثروته فمن الأكيد أنَّهم سيسألون عن ذلك.
- **أحمد:** بالفعل! ماذا كان يعمل عمك؟

- **سي الفاضل:** (مندهشا) أَحْمَدُ! ما بك ؟ هل صدَّقتِ القِصَّةَ؟
- **أَحْمَدُ:** (ضاحكا) أنا أمزح يا أبي فقط.
- **سي الفاضل:** أقترح أن نقول أنه هاجر منذ كان عمره عشرين عاما و قد اشتغل في أحد المطاعم كغاسل صحون و تدريجيا تحسنت أحواله و فتح مَطْعَمًا خاصا به يقدم فيه المأكولات العربية التي لاقت نجاحا كبيرا الشيء الذي شجعه على فتح سلسلة مطاعم في كامل الولاية و بعض الولايات المجاورة و تكونت لديه ثروة كبيرة طيلة السنوات الستين التي اشتغل فيها و بما أنه لم ينجب و بما أن زوجته توفيت قبله فكنت أنا الوريث الوحيد و قد أعلم محامي عمي السلطات بتفاصيل عن عائلته و عني شخصيا فاتصلوا بسفارتنا بواشنطن التي اتصلت بدورها بي.
- **أَحْمَدُ:** هذا جيد. إنها حكاية معقولة جدا. الشاب الذي يهاجر صفر اليدين و يكون ثروة كبيرة مع نهاية حياته
- **صَفِيَّة:** و ماذا سنقول فيما يخص قيمة الثروة؟
- **سي الفاضل:** أفضل أن نتجنب هذا السؤال.
- **صَفِيَّة:** ربما يكون من الأفضل أن نعتذر عن ذكر قيمة الثروة بحجة الخوف من العين.
- **سي الفاضل:** هذه فكرة جيدة و سيتقبلها الجميع. سنكتفي فقط بالقول أنها ثروة جيدة تمكننا من العيش في مستوى جيد.
- **أَحْمَدُ:** المشكلة في الكذب أنك لا يمكن أن تتوقف عند الكذبة الأولى فيجب باستمرار خلق أكاذيب أخرى لتدعم بها الكذبة الأولى.
- **سي الفاضل:** نعم هذه مشكلة كبيرة وأنا لا أطيق الكذب و لا أحبده و لكن ليس باليد حيلة في حالتنا هذه فنحن مضطرون لذلك. أليس كذلك؟
- **صَفِيَّة:** نعم بالتأكيد. و على كلِّ حال فإنني لا أتوقع أن نستمر في هذا الموضوع طويلا فالناس سرُّعانَ ما سوف ينسون مصدر المال و لا يهتمهم إلا كيف يستفيدون منه.
- **سي الفاضل:** يجب أن نبدأ منذ الغد في تصريف الذهب و البحث عن محل مناسب لأفتح المكتبة كما سوف أطلب من السَّمْسَار أن يبحث لي عن مزرعة معروضة للبيع تكون قريبة من المدينة. يجب أن ندير الأموال في مشاريع اقتصادية تبرر ما يظهر علينا من نعمة في المستقبل.
- **صَفِيَّة:** ألم تشعروا بعد بالتعب؟ أنا مرهقة و سأخلد للنوم
- **أَحْمَدُ:** أنا أيضا أشعر بالتعب.
- **سي الفاضل:** جيد إذن لنرتاح الآن قليلا ثم لنواصل تخطيطنا فيما بعد.

دخل الجميع لغرفهم للنوم و هم مدركون أن هجمة الجيران لن تتأخر كثيرا.

في نفس الوقت - بيت سي عائلة

في نفس الوقت سرُّعانَ ما انتشر خبر وصول عائلة سي الفاضل بين الجيران مما أسال لعابهم و أجاج رغباتهم.

كانت عائلة سي عائلة تشاهد التلفزيون عندما وصلها الخبر عبر الهاتف. لقد اتصلت زوجة الجزار بمُنيَّة لتبشرها.

سي عائلة، متقاعد البريد، رجل قصير القامة بكرش كبيرة و نظارات سميكة تخفي عينين جاحظتين. تعود على أن يجلس في البيت لساعات طويلة يوميا، مرتديا البيجاما. لا يخرج من البيت إلا عند الصباح ليشترى بعض الأغراض فيمرُّ بالمقهى ليشرب القهوة و يقرأ الجريدة اليومية و يتحدث مع أترابه و هم من المتقاعدين عموما. هذه عادة دأب عليها منذ بلغ سن التقاعد أي منذ ثلاثة سنوات. لقد ساء مزاجه و أصبح

دائم التذمر و كثير التدقيق في أمور البيت حتَّى أن زوجته مُنيّة ضجرت منه و طالبته لأكثر من مرة بأن يبحث عن أي عمل يقوم به و يشغل به فراغه خارج البيت و لكنه كان دائم الرفض لهذه الفكرة.

لقد أصبح يهتم بشكل كبير بسناء، ابنته الوحيدة و التي أصبحت شغله الشاغل. إنّه يستيقظ قبلها في الصباح الباكر فيعد لها فطورها في حين تغط أمها في النوم العميق. يحرص سي عَالة في كلّ يوم على أن تظفر سَنا جيداً ثم يوصلها بسيارته الصغيرة القديمة إلى كلية الآداب أين تدرس اللغة الفرنسية في سنتها الثانية. إذا تأخرت محاضرات سَنا في المساء فإن سي عَالة يذهب لإحضارها و لا يتركها تركب الحافلة مع زميلاتهن. زاد دلال سَنا بسبب اهتمام أبيها الكبير بها حتَّى أنها اقتنعت بأنها مركز الكون بل و سبب وجوده. إنها تشترط على أبيها أن يشتري لها كلّ ما تريد دون مراعاة لإمكانياته المادية و هو بدوره لا يتأخر عن ذلك و لا يرفض لها طلباً. لا تشارك سَنا في أعمال البيت فهي لا تجيد حتَّى أن تقلي بيضة أو تعد قهوة. طباعها الحادة و عصبيتها تجاه كلّ من يخالفها في الرأي أو من لا يستجيب لرغباتها جعلتها منطوية على نفسها بعض الشيء و محدودة العلاقات فالكل ينفر منها بمجرد أن يعلم حقيقة سلوكها. كلامها لا يخلو من التعالي و السخرية من الآخرين. و لم يكن أحمد بغافل عن هذه الأمور فكان يتحاشاها قدر المستطاع.

لقد أصبح تفكير سي عَالة و همه الأول و الأخير في الفترة الأخيرة هو تزويج ابنته التي بلغت الثانية و العشرين من العمر، خاصة و أنّه يعلم بخصوصيتها و صعوبة تأقلمها مع الشباب الذين في سنّها. و لقد وجد في أحمد ضالته المنشودة و الزوج المناسب فهو متخلق، مثقف، يعرف جيداً منذ الصغر و مما زاد في جاذبيته هذه الثروة الكبيرة التي نزلت على عائلته من السماء.

تفاعلت عائلة سي عَالة مع خبر وصول عائلة سي الفاضل بشكل كبير فلقد تأخر وصولها لأسبوع كامل عمّا كان متوقعاً.

- **مُنيّة:** من الواجب أن نقوم بزيارة لعائلة سي الفاضل نهنيّ فيها الجميع بسلامتهم. أليس كذلك؟
- **سي عَالة:** بالطبع فنحن جيران عمر. و هذا واجب لا نتأخر عنه أبداً.

صمتت سَنا و بقيت تستمع لتحاوّر والديها و هي تعلم أنّ كلّ ما يُقال و يُفعل هو من أجلها هي و من أجل تقربها من أحمد. لم تكن سَنا تمنع في ذلك بل و كانت تستمتع به فهي تشعر بنوع من الانجذاب إلى أحمد و لكنّ تعاليها يمنعها من أن تتعامل معه بشكل لائق.

- **مُنيّة:** متى نذهب لهم؟ أكيد أنّهم مرهقون من السفر و يرغبون في الراحة.
- **سي عَالة:** سندعهم يرتاحون هذه العصرية و نزورهم بعد صلاة العشاء إنشاء الله.
- **مُنيّة:** ما رأيك لو طبخت لهم العشاء و قدمته لهم هديّة وصولهم. فهل سيكون باستطاعة صَفِيّة أن تطبخ الآن بعد كلّ هذه السفر؟
- **سي عَالة:** و الله هذه فكرة جيدة لكن يجب أن تتصلي بها على الهاتف عند المغرب لتعلميها بأننا سنزورها و لا داعي لأن تطبخ العشاء فإننا سنحضره معنا.

تقترب مُنيّة من زوجها و كأنّها تُسِرُّ له شيئاً لا تريد لأحد أن يسمعه

- **مُنيّة:** هل تعتقد بأنهم أحضروا المال معهم؟
- **سي عَالة:** طبعا لقد أحضروه معهم. إذن لماذا قاموا بكل هذه الرحلة الطويلة؟
- **مُنيّة:** كم تعتقد قيمة هذه الثروة التي ورثها سي الفاضل عن عمّه؟
- **سي عَالة:** من المؤكد أنها ثروة كبيرة. إنّ المرحوم عمّه يقيم في أمريكا منذ فترة طويلة.
- **مُنيّة:** لم نسمع قطّ في حياتنا بأنّ لسي الفاضل عمّاً في أمريكا بل لم نلتقي بأحد من أفراد عائلته و كأنّ ليست لديه عائلة.

- **سي عَالَة:** و الله هذا الأمر يُحِيرُنِي فعلا فلم يُخْبِرُنِي سي الفاضل أبدا عن عمه هذا مع أننا لا نُخْفِي عن بعضنا أي شيء منذ سنوات طويلة.
- **مُنِيَة:** هل أنت مقتنع بهذه القصة؟ إنني أرى أنها قصة غريبة و لا تحدث إلا في الأفلام العربية.
- **سي عَالَة:** هذا أمر يثير الشكوك فعلا و لكننا لم نَعْهَدْ بأن سي الفاضل يكذب أو يخفي أشياء مُربِية. الحقيقة تقال بأنه رجل مستقيم و مُؤدب و لم يبدو منه أي شيء سلبي و الكل يشهدون له بذلك فلماذا بعد كل هذه العمر سوف نشك فيه؟
- **مُنِيَة:** الحقيقة أن سي الفاضل و عائلته على قدر كبير من التخلق و لم يشتكي أحد قط منهم و لكن الموضوع مُحِيرٌ نوعا ما. الشيء الذي لم أجد له تفسيراً هو ترميم الجدار الذي حصل قبل يوم واحد من سماعنا بخبر الميراث الأمريكي. ما السوء الذي يمكن أن يصيب جداراً و في جزء بسيط منه فقط؟ كما أننا رأينا قطعتين من المصاغ الذهبي على أرضية الصالون ألا تذكر ذلك يا سي عَالَة؟
- **سي عَالَة:** نعم أذكر ذلك. هذا الموضوع بقي بالنسبة لي مبهما و غامضاً. على كل فالأيام القادمة سوف تأتي لنا بالخبر اليقين.
- **مُنِيَة:** علي أن أبدأ بإعداد العشاء للحياب (و هي تلمح لسوء التي تظاهرت بعدم الاكتراث لتلميحات أمها) فلم يعد لدي متسع من الوقت.
- **سي عَالَة:** اجعليه عشاء فاخراً، دسماً، يليق بحيابينا.
- **مُنِيَة:** لا يحتاج ذلك لتوصية.

بعد صلاة العشاء بدأت وفود الجيران تتوالى على بيت سي الفاضل. لقد افتتحت عائلة سي عَالَة المهرجان مُحْضِرة معها العشاء و لكنها لم تهني بقاء منفرد مع عائلة سي الفاضل حيث حضرت عائلة شهاب الجزار ثم الطاهر بائع الخضار فامتلاً المنزل و اضطرت عائلة سي عَالَة للانسحاب على مضض و هي متحسرة على تفويت فرصة ممتازة كهذه ثمهد فيها لموضوع خطبة أحمد من سناء.

كانت أسئلة الجيران متطابقة و مثلما توقعها سي الفاضل مع تفاوت في الجرأة و الإلحاح. و لقد كانت الإجابات المدروسة مقتنعة و كافية لكي تروي ظمأ الجيران. لم تبدأ المطالب بعد و ربما ستأتي في الأيام القليلة المقبلة.

كانت الساعة تشير للعاشرة و النصف ليلاً عِنْدَمَا غادر آخر الزوار و هو عبد الفتاح مدرس الابتدائي و زوجته و اللذان هما بصدد تجهيز ابنتهما للزواج.

جلس سي الفاضل و زوجته في الصالون و فتحا التلفزيون و قد أنهكتكم الزيارات و كثرة المجاملات و الابتسامات المصطنعة.

- **صَفِيَة:** الحمد لله. أخيراً انتهت زيارات التهنة.
- **سي الفاضل:** لقد انتهت زيارات التهنة و لكن استعدي لغيرها فقريباً ستبدأ زيارات الطلبات
- **صَفِيَة:** أنا لا أكاد أصدق أن كل هذا الاهتمام بسبب الثروة
- **سي الفاضل:** صدقي ذلك و تيقني منه فالمال عصب الحياة و الكل يحوم حوله. فالمال يجعل الكثير من الناس يغيرون تصرفاتهم و سلوكياتهم. يصل الأمر بالبعض للقتال و ارتكاب الجرائم بسبب المال فما بالك ببعض المجاملات الاجتماعية البسيطة و التي من الممكن أن تأتي بمنافع مهمة.
- **صَفِيَة:** و كيف ستنتصرف أمام طلبات الجيران التي لن تنتهي؟
- **سي الفاضل:** هذا أمر محير فعلاً. فمن جهة لا يمكنني أن أرفض مساعدة الجميع فإن ذلك سيقبلهم ضدنا و من الممكن أن يعادونا و ربما أخرجوا عنا الإشاعات و الأقاويل. و من جهة أخرى ليس بإمكانني أن ألبي كافة طلباتهم فهي كما قلت سابقاً لن تنتهي أبداً فوضعية أغلب جيراننا المادية متوسطة و أقل من ذلك و بالتالي فإن احتياجاتهم كثيرة.

- **صَفِيَّة:** و ما العمل إذن؟
- **سي الفاضل:** يبدو لي أن أفضل حل هو أن أتعامل مع كلِّ حالة على حدا و لا ألبى إلا الاحتياجات الإنسانية المُلحَّة أما كلِّ ما هو زائد عن الحاجات الأساسية فسأعذر عنه.
- **صَفِيَّة:** لا يجب أن تجعل الناس يطمعون فينا
- **سي الفاضل:** نعم بالتأكيد هُنَاكَ معادلة دقيقة يجب احترامها: عدم التنكر للجبران من جهة و عدم الانصياع كلياً لرغباتهم من جهة أخرى.
- **صَفِيَّة:** لكن ألا تعتقد أن استجابتك للبعض سوف يولد الأحقاد عند الآخرين الذين رفضت طلباتهم؟
- **سي الفاضل:** هذا أيضاً أمر وارد و لكن ليس باليد حيلة. و عموماً دعينا لا نستبق الأحداث و نتعامل مع كلِّ حالة في وقتها. هُنَاكَ شريط سينمائي في القناة الثانية أريد مشاهدته هلا غيرت القناة؟

غيرت صَفِيَّة القناة و جلست بجانب زوجها الذي طوقها بذراعه و بقيا يشاهدان الشريط بمفردهما و ملتفين بغطاء واحد، كعاشقين جديدين مستغلين فرصة خروج أَحْمَدَ للسهر عند أحد زملاءه في الدراسة.

🇸🇦 الثلاثاء 10 أبريل - التاسعة صباحاً - في مطبخ بيت سي الفاضل

يبدأ سي الفاضل بشرب قهوته بينما تواصل صَفِيَّة إعداد الفطور المعتاد. يدخل أَحْمَدُ للمطبخ متثاقلاً منكاسلاً فيُصَبِّح على الجميع و يجلس إلى الطاولة.

- **سي الفاضل:** يجب أن ترافقيني يا صَفِيَّة اليوم إلى سوق الذهب لنبيع بعض القطع من المصاغ.
- **صَفِيَّة:** و لماذا يجب أن أرافقك؟ أنا أفضل أن أبقى اليوم في البيت فإنه يحتاج للكثير من التنظيف و الترتيب بعد فترة غيابنا الطويلة عنه فالغبار يملئ المكان.
- **سي الفاضل:** أفضل أن تكوني معي عند بيع الذهب فإن ذلك سوف يقلل من شكوك صاحب المحل. سيبدو الأمر طبيعياً جداً: مجرد امرأة و زوجها يبيعان مصاغ العائلة القديم حتَّى يواجهوا صعوبات مالية و هو ما يحدث عشرات المرات يومياً.
- **صَفِيَّة:** أنا لست متعودة على مواقف من هذا النوع و أخاف أن يظهر عليَّ الارتباك و أتلعثم فيشكُّ المشتري في الأمر.
- **سي الفاضل:** و هل نحن نسرق لا سمح الله؟ الذهب ملكنا و نحن نريد بيعه و هذا كلُّ ما في الأمر فلماذا الخوف و الارتباك. كما أنك سوف لن تقولي شيئاً سوف أتكلم أنا مع التاجر و إذا ما وجَّه لك الحديث أو سألك فكلُّ ما عليك قوله هو أنَّ هذا مصاغ العائلة الذي ورثته عن والدي و أننا نريد بيعه لمواجهة مصاعب مالية تواجهنا
- **أَحْمَد:** و يا حبذا لو أبديت نوعاً من التأثير و الحسرة بسبب التفريط في هذا الذهب الغالي على قلبك فإنَّ ذلك سوف يُعزِّزُ قناعة المشتري بأنَّ هذا ذهب العائلة و هو غير مشكوك في مصدره.
- **صَفِيَّة:** و لكن كيف سنبيع كلَّ هذه الكمية من الذهب مع عدد قليل من التجار. إننا سنكون مُضطرين للذهاب إليهم أكثر من مرة ألا يثير ذلك شكوكهم؟
- **سي الفاضل:** أصبت يا صَفِيَّة يجب أن نذهب للتاجر الواحد مرة واحدة فقط و أن لا نُكرِّر الزيارة و إلاَّ أثّرنا شكوكه.
- **أَحْمَد:** أنا أرى أنَّ زيارة كافة التجار في السُّوق و لو لمرة واحدة فقط لكل منهم سيثير الشكوك
- **سي الفاضل:** و لم ذلك؟
- **أَحْمَد:** أعتقد أنَّ هُنَاكَ تواسلاً قوياً فيما بين التجار و بسرعة سينتشر بينهم خَبَر الزوجين الذين يبيعان ذهب العائلة المميز بعراقتهم و هو مصاغ قديم و نادر في أيامنا هذه و من الأكيد أنَّه سيثير انتباه و استغراب التجار. و مما سيثير انتباههم أكثر هو عدم العودة لنفس التاجر مرتين.

- **صَفِيَّة:** ها هي المشاكل بدأت تظهر. و ما العمل الآن؟
 - **سي الفاضل:** ليس هُناكَ من حل سوى أن نبيع الذهب في عدّة مدن فلا أعتقد أن تُجار الذهب يتواصلون فيما بينهم من مدن مختلفة و متباعدة.
 - **أحمد:** هذا حلّ سليم و آمن. يجب تقسيم الذهب إلى كميات معقولة تتناسب مع حجم مصاغ عائلي عادي و من ثمة يتم تصريفها في مدن مختلفة كأن تبيعوا في كلّ مدينة مصاغين على أقصى تقدير.
 - **سي الفاضل:** لكن هذا سوف يجبرنا على التنقل بين أكثر من سبعين مدينة مختلفة نظرا لحجم الكُز و هذا متعب و مرهق جدا.
 - **أحمد:** لسنا مضطرين أن نبيع الذهب كله مرة واحدة بل سنكتفي ببيع بعض القطع لمجابهة المصاريف الأولى و بالتالي لن تتعدى عمليات البيع الستة أو العشرة على أقصى تقدير أي سوف لن نزورا أكثر من خمسة مدن.
 - **صَفِيَّة:** و الله الموضوع متعب و مرهق. كنت أظن أنّ الموضوع سهل و سنرتاح من التعب و نستمتع بالمال فإذا بنا نواجه الصعوبات منذ أوّل يوم.
 - **سي الفاضل:** من يريد العسل يجب أن يتحمل لدغ النحل. و على كلّ حال بعض التعب أفضل من المسألة القانونية و الإشاعات و الفضائح التي نحن في غنى عنها.
- يصمت الجميع لبرهة قصيرة ينغمس فيها كلّ فرد منهم في فطوره و في أفكاره و كأنّه يحاول أن يستوعب حقيقة الموقف و الواقع الجديد المفروض عليهم.
- **أحمد:** أين تُخَيّر أن يكون المحل الذي تريد استنجاره لتفتح فيه المكتبة يا أبي؟
 - **سي الفاضل:** أفضل أن يكون قريبا من البيت و على شارع رئيسي. و من الجيد أن يكون قريبا من مؤسسة تعليمية كمدرسة أو كُلية فإنّ ذلك سيضمن قدرا كافيا من الزبائن الدائمين.
 - **أحمد:** ما رأيك بمحلّ بجانب كُلية الفنون الجميلة؟ إنني أعرف محلا هُناكَ كان يبيع الأقمشة و هو محل واسع و كبير و لكنّه أفلس و هو الآن مغلق و قد علّق صاحبه عليه لافتة "محل للإيجار"
 - **سي الفاضل:** و الله الفكرة معقولة. و لكن لماذا أفلس تاجر الأقمشة يا ترى؟
 - **صَفِيَّة:** و من ذا الذي يشتري في أيامنا هذه القماش و يذهب به للخياط؟ الكل يشتري الملابس الجاهزة و لا أحد يُقبل على القماش و الخياط و وجع الرأس. كما أنّ الملابس الجاهزة أرخص ثمنا و على الموضة.
 - **سي الفاضل:** صدقت يا صَفِيَّة... يا حسرة على الزمن الجميل أيام كان الواحد يختار قماش البدلة بنفسه و بعناية فائقة و يذهب به لخياط العائلة لتفصيل بدلة العيد أو الزواج و يأخذ ذلك منه وقتا طويلا و مجهودا كبيرا. أمّا اليَوْم فإنك تذهب لمتجر الملابس تختار البدلة، تقيس، تدفع و تخرج و بيدك كيس البدلة. حتّى أنّها فقدت قيمتها المعنوية.
 - **أحمد:** الحمد لله أنّ هذا الزّمن ولى من غير رجعة و تَبَسَّطت الأمور.
 - **سي الفاضل:** على كلّ دعنا من هذا الآن. اذهب لصاحب المحل و حدّد لي موعدا معه اليوم، بعد العصر إن أمكن حتّى أعاين المحل و نتفق على كلّ شيء.
 - **أحمد:** و هو كذلك أبي. سأخرج في الحال.
 - **سي الفاضل:** أكمل فطورك أولا.
 - **أحمد:** شبع و الحمد لله كما أنّ رجال الأعمال الناجحين لا يُضَيِّعون وقتهم في الأكل و النّوم بل يستثمرون كلّ دقيقة من وقتهم.
 - **صَفِيَّة:** الله يحرسك يا أحمد و الله تنفع أن تكون رجل أعمال كبير.
 - **سي الفاضل:** رجل أعمال مرّة واحدة يا صَفِيَّة؟ الموضوع لا يتعدّى مكتبة و قرطاسية تكون لنا واجهة تبرر استمرار ظهور النعمة علينا.

- **صَفِيَّة:** و ما الذي ينقص ابني حتَّى يكون رجل أعمال كبير؟ كلَّ شيء متوفر لديه فهو قريباً سيحصل على شهادته الجامعية كما أن لدينا من المال ما يمكنه استثماره في المجال الذي يريد. كما أنَّك يا سي الفاضل ستساعده بخبرتك و رصانة عقلك و تقف إلى جانبه.
- **سي الفاضل:** نتمنى لك التوفيق يا بُني في مستقبلك و نحن لا نرجو من الدنيا غير أن نراك متفوقاً سعيد و ناجحاً في حياتك.
- **أحمد:** (ممازحاً و هو يهْمُ بالخروج من المطبخ) ضَيِّعنا الآن أكثر من دقيقتين في كلام الإنشاء الذي لا يُسمِن و لا يغني من جوع ألم تسمعوا بأنَّ وقت رجال الأعمال يساوي المال؟

يغادر أحمد البيت و تستعدُّ صَفِيَّة للخروج بينما يقسم سي الفاضل الكنز فيجعل في كلِّ منديل مجموعة متجانسة من القطع يمكن اعتبارها مصاغ عائلياً متكاملًا. لقد بلغ عدد المصاغ المقسم ما يقارب المائة و الخمسين مجموعة يبلغ وزن المصاغ الواحد ما يقارب المائة جرام.

- **صَفِيَّة:** كم ستكون قيمة هذا الذهب الذي سنبيع اليوم؟
- **سي الفاضل:** سوف نحاول بيع مصاغين أي ما يُقدَّر وزنه بمائتي جرام و إذا ما اعتبرنا أنَّ وزن الجرام الواحد يبلغ أربعين ديناراً فإنَّ القيمة الإجمالية سوف تبلغ ما يقارب ثمانية آلاف دينار أي أكثر من راتب سنة كاملة أتقاضاه من المحكَّمة.
- **صَفِيَّة:** و الله هذا مبلغ جيد جداً و يستأهل المشوار و التعب.
- **سي الفاضل:** هل أنت جاهزة للانطلاق؟
- **صَفِيَّة:** نعم سوف أضع الوشاح فقط و نخرج.

📌 في نفس اليوم – الحادية عشرة صباحاً – أمام محل الصائغ

يخرج سي الفاضل و زوجته صَفِيَّة من أمام محل الصائغ الثاني و هو يودع رزمة المال في جيب سترته الداخلي و ابتسامة عريضة تعلو محياه. يبادل نظرات السعادة مع زوجته بينما تمسك هي بذراعه و كأنَّهما عروسين جديدين. كان للهواء طعم جديد منعش و كانت السماء أكثر زرقة من باقي الأيام. هل أنَّ الطبيعة تغيرت فجأة أم أن أعينهما أصبحت تشاهداها بطريقة أكثر إشراقاً و بريقاً.

- **سي الفاضل:** ها هو الحلم بدأ يتحقق و هذه أول المبالغ المالية نلمسها فعلياً.
- **صَفِيَّة:** ما هي حصيلة عملية البيع؟
- **سي الفاضل:** لقد بلغ مجموع الصفقتين عشرة آلاف ومانتي دينار أي أكثر مما توقعناه.
- **صَفِيَّة:** نعمة و رزق من الله و الحمد لله. ما هو أول شيء سنفعله الآن بالمال؟
- **سي الفاضل:** شبَّيك لبَّيك كلَّ ما تطلب ما بين يديك. المال وفير و لنا من المصاغ الكثير في البيت. أطلبني و تمنني و أنا أحقق لك ما ترغيبين به فوراً.
- **صَفِيَّة:** و الله ما عدت أدري ماذا أريد. لعلني أستجد بالقائمة التي كتبتُها سابقاً فلقد حددت فيها كلَّ رغباتي.
- **سي الفاضل:** دعينا من القائمة الآن. سيأتي وقتها لاحقاً. أنا أحس بالجوع. ما رأيك بأن نتناول الغداء في أكبر فندق بالمدينة. ما رأيك بفندق الشيراتون؟
- **صَفِيَّة:** إنَّه فندق من فئة الخمسة نجوم و كوب الشاي يكلف أكثر من خمسة دنانير فما بالك بغداء لشخصين.
- **سي الفاضل:** أووه! لقد تغير وضعنا المالي يا صَفِيَّة نحن الآن أغنياء و كلفة الغداء في الفندق لا تساوي شيئاً مقارنة بالثروة التي نمتلكها. أما زلت تفكرين بعقلية زوجة موطَّف الحكومة البسيط؟

- **صَفِيَّة:** إي والله مازال فكري لم يستوعب هذه النقلة المفاجئة. و لا أقدر أن أدفع مائة دينار في وجبة طعام واحدة فهذا المبلغ يؤمن لنا الغذاء لأكثر من أسبوع فكيف سنصرفه في وجبة واحدة؟
- **سي الفاضل:** لقد تغير وضعنا الآن يجب أن تفهمي ذلك و تستوعبيه.
- **صَفِيَّة:** أعتقد أنني لن أستطيع الاستمتاع أو تذوق الأكل في مثل هذه الفنادق الغالية
- **سي الفاضل:** هذا ما يبدو لك الآن لكن دعينا نجرب و سنتعودين على العز بسرعة فما أسهل التعود على العز وما أصعب فراقه.
- **صَفِيَّة:** و ماذا سيأكل أحمد عندما يعود إلى البيت في الظهر؟ أنا لم أطبخ له شيئا؟
- **سي الفاضل:** أووه! أحمد الآن رجل و يمكن أن يتدبر أمر غداه فإلى متى سنبقى مسؤولين عن ذلك؟ أريد أن نذهب سويا و بمفردنا نسترجع أيام الشباب و شهر العسل.
- **صَفِيَّة:** و الله قلبي غير مرتاح
- **سي الفاضل:** انسي أمر أحمد الآن ربما تناول سندوتش أو قطعة من البيتزا مع أصدقاء كعادته و لا يأكل الغذاء الذي تعدينه في البيت.

يستوقف سي الفاضل سيارَة أجرة مرت من أمامه. أركب زوجته في الخلف بينما ركب هو بجانب السائق و أمره بالتوجه نحو فندق الشيراتون.

دخل الزوجان بوابة الفندق الفخمة و فتح مُوظَّف استقبال الباب و أدى لهما التحية بكل احترام. هذه أول مرة تدخل فيها صَفِيَّة فندق من فئة النجوم الخمسة بينما لم تتعدى زيارات سي الفاضل له أكثر من مناسبة أو اثنتين و ذلك في إطار العمل من أجل الحضور في منتدى أو محاضرة نظمها الإدارة التي يعمل بها.

سرق بريق الرخام و الإنارة المتألئة فواد الزوجين. كلَّ ما في صالة الاستقبال فخم و كبير حتَّى أن الأعمدة المغلفة بالرخام الوردي ضخمة و بالغة الإتقان. أمسكت صَفِيَّة بذراع زوجها بقوة و كأنها تائهة في عالم لم تعهده. تقدم سي الفاضل بكل ثبات نحو الاستقبال و طلب من المُوظَّف أن يدلّه على المَطْعَم. أشار المُوظَّف لأحد مُوظَّفي الاستقبال بأن يصحب الزوجين نحو المَطْعَم في الدور السابع من الفندق.

ركب الجميع المصعد و صَفِيَّة لا تزال تمسك بذراع زوجها و لا تتطرق بكلمة واحدة و كأنها تحلم.

أوصل مُوظَّف الاستقبال الزوجين للمَطْعَم حيث أشرف المسؤول هناك على استقبالهما و إجلاسهما بكل احترام ثم جلب لهما قائمة الطعام.

نظرت صَفِيَّة في القائمة فلم تفهم منها شيء. لا تحتوي القائمة على أي من الأكلات الشعبية المتعارف عليها في المدينة. كلَّ الأسماء باللغة الأجنبية. نظرت لزوجها في استفهام واضح و استياء من عجزها على فك طلاسم القائمة.

- **سي الفاضل:** لا تنظري إلي هكذا فأنا أيضا لا أعرف ما أختار و ليست لي خبرة في الأصناف المقدمة هنا.
- **صَفِيَّة:** لم لا نطلب من التَّادِل أن يفسر لنا هذه التسميات بأكثر تبسيطا؟
- **سي الفاضل:** سيقولون علينا أننا غير متعودين على الفنادق الفخمة و ربما يشكون في أمرنا أو يتندرون بنا.
- **صَفِيَّة:** ما العمل إذن؟ هل سنطلب أصناف يمكن ألا تعجبنا؟
- **سي الفاضل:** المصيبة لو طلبنا أكلا و تبين أنه لحم خنزير و العياذ بالله.
- **صَفِيَّة:** لدي فكرة. ما علينا سوى الاتصال بأحمد فهو خبير بهذه الأمور و بالمرّة يتناول الغذاء معنا.
- **سي الفاضل:** إنني أعرف إصرارك. و لكن يبدو أن هذا هو الحل الأمثل.

يتصل سي الفاضل بأحمد على جواله فيخبره بأنه قريب من الفندق و أنه سيأتي حالا.

يقترّب النّادل من الزوجين و يسألهما إن هما اختارا الأصناف المطلوبة أم لا.

- النّادل: ماذا سأحضر لكما سيدي؟
- سي الفاضل: نحن بانتظار ابننا لتتغدى سوياً. احضر لنا عصير البرتقال الطازج في انتظار أن يأتي
- النّادل: حاضر سيدي كما تريد

يختفي النّادل بكل خفة و أناقة و يتنفس الزوجان الصُّعداء.

- سي الفاضل: يبدو أن العز غير متعود علينا أيضاً

لم يتأخر أحمد عن الحضور للمطعم و ملاقة والديه. جلس إلى جانبهما و هو غير مصدق أنهما في مطعم فندق الشيراتون لتناول الغداء.

- صفية: أنجدنا يا بُني من هذه الورطة فلم نفهم من قائمة الطعام شيء و نخاف أن نتورط في أكلات محرمة أو لا تروق لنا. بماذا نتصحنا؟
- أحمد: (ممازحا) هل كنتما تنويان أن تتناولوا الغداء لوحكما دون ابنكما الغالي؟ هل أعتبر ذلك خيانة؟
- سي الفاضل: (ممازحا أيضاً) أليس من حقنا أن ننعم بلحظات انفراد؟ لم تعد الطفل الصغير و ما عليك إلا أن تجد فتاة ترتبط بها و تريحنا من ذلك هذا.

يتفحص أحمد القائمة بنظرة الخبير الواثق من نفسه و يعلمهما متبسما بمختلف الأطباق و يفسر لهما محتوى كلّ واحد من هذه الأطباق.

يبدأ النّادل في إحضار الأطباق الواحد تلو الآخر حتّى أنّ الطاولة ضاقت بالأصناف رغم رحابتها. كانت صفية مترددة أول الأمر و كانت تأكل ببطء و احتراز و لكنها سرعاناً ما اندمجت و بدأت تجرب كلّ الأطباق و تردد عبارات الإعجاب بالمدّاق و شطارة الطباخ. لم يبخل سي الفاضل بأي شيء و طلب كلّ ما اشتتهه العائلة. و قد كان النّادل غير بعيد عن طاولتهم ينتظر أي إشارة حتّى يقترب منهم و يلبي رغباتهم.

أكل الجميع و كآته آخر زادهم إلى حدّ أنّ بطن صفية ألمتها و لم يقدر سي الفاضل أن ينهض للحمام لغسل يديه و اكتفي بمسحهما بالمنديل أما أحمد فقد اتكأ على الكرسي و أغمض عينيه. استمرت المأدبة أكثر من ساعة من الزمن و النّادل بين غدو و رواح ما بين طاولتهم و المطبخ. لقد جربوا كلّ الأطباق الشهية و لم يمنعهم سعر الجمبري الملكي و لا سعر الاستكوزا المشط من طلبها.

لم يفق سي الفاضل من نعاسه إلا على الفاتورة التي هوت عليه بأصفارها العديدة. امتنع لونه في البداية و قلب الفاتورة مرارا عله يصدق الرقم و لكنه سرعاناً ما تماسك عندما لمس جيب سترته و تحسس رزمة المال الكبيرة فانفرجت أساريه و سحب بضعة أوراق مالية وضعها في الطبق المحتوي على الفاتورة و ترك الباقي للنادل الذي انصرف شاكرًا و مندهشًا من كرم سي الفاضل النادر.

- سي الفاضل: أتدرون كم قيمة هذا الغداء؟
- أحمد: أرجوك لا تُنصص علينا لحظات السعادة هذه بالأرقام
- صفية: كم بلغت الفاتورة يا رجل؟
- سي الفاضل: (و هو يضحك) أكلنا اليوم بقيمة ما نأكله طيلة شهر كامل في العادة.
- صفية: أنا لا أصدق أننا فعلنا هذه الفعلة. ألسنا مبذرين؟

- **سي الفاضل:** إنها مرة في العمر. دعينا نستمتع إلى أقصى الحدود و دون حساب كما قال أحمد.
 - **أحمد:** ماذا ستفعلون الآن؟ هل ستقومون بالتسوق؟
 - **سي الفاضل:** كانت هذه فكرتنا قبل الغداء و لكنني الآن لا أفكر في شيء سوى القيلولة و هضم هذه الأنواع الفاخرة من الطعام.
 - **صفية:** و أنا أيضا. و الحمد لله أنني سوف لن أقوم بتنظيف الطاولة و غسل الأطباق.
- استقل الجميع سيارَة أجرة و عادوا بها إلى البيت حيث استسلموا للنوم الهنيء بعد هذه الوليمة الملكية.

في نفس اليوم - الرابعة عصرا - في صالون بيت العائلة

استيقظ الجميع مع أذان العصر و تجمعوا في الصالون، بعد أن صلوا معا، حول أكواب شاي أخضر تعين هضم ما عسر هضمه من مأدبة الغداء.

- **سي الفاضل:** لقد أنسانا الغداء مسألة المحل. هل تفاهمت يا أحمد مع صاحب المحل؟
- **أحمد:** لقد نسيت أن أخبرك بأنه ينتظرك اليوم على الساعة السادسة في المحل. إنه متحمس لتأخيرته و متعاون إلى أبعد حد.
- **سي الفاضل:** هل تعرف المحل من الداخل؟
- **أحمد:** نعم لقد وجدته مفتوحا اليوم و صاحبه فيه يشرف على طلاء جدرانه. إنه محل واسع تبلغ مساحته المائة متر مربع تقريبا.
- **سي الفاضل:** هذا جيد. هذه مساحة كافية لعرض الكثير من المنتجات بشكل جذاب و راقى يريح الزبون. هل أعطاك فكرة عن قيمة الإيجار؟
- **أحمد:** قال أننا لن نخلف خاصة لما علم أنني ابنك و لكنني ألححت عليه بالسؤال فقال أن الإيجار القديم كان خمسمائة دينار و لكنه يطلب المزيد هذه المرة.
- **سي الفاضل:** و ما رأيك أنت؟
- **أحمد:** إن المحل كبير و في موقع استراتيجي فهو على ناصية شارعين رئيسيين و هو قريب من كلية الفنون الجميلة كما سبق أن ذكرت لك و قريب من مدرسة ابتدائية. أظن أننا لو أجرناه حتى بمبلغ ستمائة دينار في الشهر فسيكون ذلك مناسباً.
- **سي الفاضل:** أظن ذلك أيضا. لكن دعنا نحاول مفاوضته على أقل من ذلك.
- **أحمد:** هل لك فكرة عن تجار الجملة المتخصصين في الكتب و الأدوات المدرسية و المكتبية؟
- **سي الفاضل:** معرفتي محدودة جدا بهم و سأستعين بك من أجل الاتصال بهم و الاتفاق معهم على توريدنا السلع الضرورية.
- **أحمد:** لا تقلق من هذا الموضوع فلدي زميل في الكلية والده تاجر كبير في هذه المواد سأصل به و سأحدد موعدا مع والده و من الأكيد أنه سيساعدنا بأن يدلنا على التجار الآخرين.
- **سي الفاضل:** على بركة الله يبدو أن المشروع يحظى بتسهيل إلهي. أنا أيضا أعرف شركة تستورد الكتب باللغة العربية من لبنان مباشرة لقد سبق أن اشتريت منهم العديد من الكتب التي في مكتبتني الشخصية و يمكننا الاتفاق معهم.
- **صفية:** هل فكرتم فيمن سيتولى الوقوف في المكتبة و يبيع؟
- **سي الفاضل:** سنعمل فيها سوياً أنا و أحمد
- **صفية:** و لكن أحمد مقبل على الاختبارات النهائية و يجب أن يتفرغ للدراسة
- **سي الفاضل:** و أنا لا يمكن أن أكون طوال اليوم في المكتبة فلدي الكثير من الأعمال التي أقوم بها خارج المكتبة.

ينظر الجميع لَصَفِيَّةَ ولكنها فهمت نظراتهم.

- **صَفِيَّةُ:** لا تنتظروا إليّ هكذا و لا تفكروا أنني سأعمل في المكتبة. أنا ربة منزل و لا أريد العمل خارجه أبدا. كما أننا حصلنا على ثروة لنرتاح و نستمتع لا أن نتعب و نشقى في العمل.
- **سي الفاضل:** ليس أمامنا سوى أن نوظف بائعا يكون حاضرا في المكتبة طوال اليوم على أن أكون معه أنا و أحمد في بعض الأوقات.
- **أحمد:** طبعاً هذا ما يجب فعله.
- **صَفِيَّةُ:** و أين ستجدا هذا البائع؟
- **سي الفاضل:** يكفي أن نُعلق إعلانا على جدران المكتبة نعلن فيه عن حاجتنا لبائع و سنتنهمر علينا الطلبات بسرعة.
- **أحمد:** هذه فكرة جيدة فالبطالة منتشرة بكثرة عند الشباب.

عند السادسة كان سي الفاضل و أحمد في المكتبة يناقشون صاحب المحل عن معلوم الإيجار و استقرار الرأي على أن يكون المبلغ خمسمائة و خمسون دينار شهريا و أن يستلم المحل بعد يومين و هو الوقت الكافي لاستكمال أشغال الطلاء و توقيع العقود.

عمل سي الفاضل و أحمد بجد طيلة الأسبوع في البحث عن موردي الأثاث من جهة من رفوف و صندوق محاسبة و غيره و عن موردي السلع من جهة أخرى و تطلب كل ذلك أن يقوم سي الفاضل برحلة قصيرة لمدينتين باع فيهما أربعة مجموعات مصاغ كانت ضرورية لتسديد فواتير الموردين.

كان افتتاح المكتبة يوم 25 أبريل و كان يوما عظيما في حياة سي الفاضل الذي طالما ما حلم بامتلاكه و إدارته لمكتبة. لقد ليس بدلة جديدة اشتراها للمناسبة و دعا كامل زملائه السابقين في العمل و الجيران و الأصدقاء لحضور حفل الافتتاح كما دعا أحمد عددا كبيرا من زملاء الدراسة. لقد غصت المكتبة بالزوار و المهنيين و لم يتغيب أحد من المدعوين حتى أنّ المعلم شهاب و زوجته كانا حاضرين على الرغم من ضعف صلاتهما بالثقافة و عالم المكتبات و لكنهما لم يريدا أن يفوتا فرصة لتقوية صلاتهما الاجتماعية مع عائلة سي الفاضل.

كان سي عائلة و زوجته مُنيّة برفقة ابنتهما سناء حاضرين أيضا يحاولا شد انتباه أحمد و تجاذب أطراف الحديث معه و لكنه كان دائما ما يستأذن بدعوى خدمة المدعوين. لم تتكلم سناء بل اكتفت بالنظر من وراء نظاراتها إلى أحمد و بقية المدعوين باستعلائها المعتاد بينما كانت تمنى النفس بأن يخصها أحمد بابتسامة أو ملاحظة لطيفة حول ملابسها أو شعرها الذي صففته بإحكام لكنها لم تتل منه سوى تحية عابرة بلا طعم مشابهة للتحية التي حيا بها والدها.

كانت صَفِيَّةُ تلعب دور أم العروس فترحب بالضيوف و توزع المرطبات عليهم. كانت سعيدة بذلك خاصة و أنها كانت ترتدي طقما جديدا من الملابس الفاخرة و كانت سعادتها أكبر و هي تشاهد نظرات الغيرة في أعين جاراتها و صديقاتها.

بينما كان أحمد يفتح علبة الحلويات ليوزعها على المدعوين اقترب منه أحدهم و هنئه بصوت مألوف. التفت أحمد بسرعة فإذا به عبد الله بابتسامته العريضة. رد أحمد عليه التهنية بصوت خافت مخافة أن ينتبه أحد إليه فيعتقد أنه يكلم نفسه.

- **عبد الله:** أردت أن أشارككم فرحتكم و أن أهنئكم لكن يبدو أنّ وجودي سيسبب لك المضايقات. سأزورك في البيت عذما تكون لوحدي حتى نأخذ راحتنا في الكلام. و الآن أتركك لأتصفح بعض الكتب. سأراك في وقت قريب و مبروك مجددا.

كانت الحفلة رغم تكلفتها و الجهد الكبير اللازم لإعدادها مفيدة جدا من الناحية التسويقية فلقد عرّفت بالمكتبة بسرعة و لم يتأخر توافد الزبائن عليها في الأيام الأولى من افتتاحها فكانت المبيعات جيدة جدا فاقت التوقعات مما اضطر سي الفاضل بأن يطلب، من مورديه، من جديد الكثير من السلع التي نفذت بسرعة.

كان سي الفاضل يعمل بجد لم يعهده في نفسه طيلة سنوات الخدمة في المَحْكَمَة. لقد اكتشف في نفسه شبابا ظنه ولى دون رجعة و قوة و ذكاء حسب أنّ جمرتها أطفأتها البيروقراطية المقيتة. كان وجهه ورديا بفعل تدفق الدم بقوة فيه و كانت عيناه براقيتين حالمتين.

ساعد أحمّد أباه في المكتبة طيلة أسبوعي الإعداد و أسبوع بعد الافتتاح و كانت مساعدته فعالة جدا و عمل بكل جد. لقد كان لتظافر جهود سي الفاضل و أحمّد و سيّهم، الموظّفة الجديدة، الأثر الكبير في نجاح المكتبة و ذياغ صيتها في فترة وجيزة جدا.

كانت سيّهم فتاة متوسطة الجمال تميل إلى طول القامة و إلى النحافة. تخرجت من كلية الآداب قسم تاريخ منذ سنة و لم تحصل على عمل في التدريس الحكومي و لم تشأ أن تعمل في التدريس الخاص بعد أن خاضت تجربة مريرة في أحد المعاهد الخاصة حيث كان الأجر زهيدا جدا لا يغطي حتّى كلفة مواصلاتها كما كان تدريس مجموعة من التلاميذ المنحرفين سلوكيا أمرا صعبا عليها لا يتماشى و طبيعتها الهادئة و ميلها للطببة و البساطة. كادت أن تنهار و أن تصاب باكتئاب نفسي من جراء ضغط مدير المدرسة من جهة و من عدوانية التلاميذ و وقاحتهم من جهة أخرى فخيرت أن تنسحب و تبحث عن عمل أكثر احتراما لإنسانيتها و مستواها التعليمي و الثقافي. لقد وجدت في وظيفة بائعة في مكتبة سي الفاضل فرصة جيدة لكسب حياتها بشكل لائق فهي لم تبتعد كثيرا عن الثقافة و العلم و التاريخ، خاصة و أنّ المكتبة مليئة بكتب التاريخ القيمة. لقد كانت تقضي جل وقتها في المكتبة عندها لا يكون هناك زبائن في تصفح الكتب و النهل من معارفها.

وجدت سيّهم في عائلة سي الفاضل عائلة ثانية لها فالأب حنون و مستقيم و صَفِيّة بسيطة و منفتحة على الرغم من أنها كانت تغير و تتخوف منها في البداية لكن سرعان ما ارتاحت المرأتان لبعضهما و نشأ بينهما نوع من التكامل و الألفة. أما أحمّد فكان مهذبا و لطيفا و لا يهتم إلا بالعمل، يعاملها كما يعامل بقية زميلاته في الدراسة.

كان والد سيّهم، المتقاعد من السكك الحديدية، يكرر الزيارات للمكتبة ليطمئن على ابنته و يجلب لها في بعض الأحيان غداءها عندها تخير البقاء في المكتبة عند الزوال على العودة للبيت بما في ذلك من راحة لها من المواصلات من جهة و فرصة للمطالعة من جهة أخرى.

مع بداية شهر مايو اضطر أحمّد للابتعاد عن المكتبة و لم يعد يقدم إليها إلا زائرا و ذلك بسبب قرب موعد الاختبارات النهائية.

اختبار آخر السنة

10 مايو – الثامنة ليلا – غرفة أحمد.

يجلس أحمد أمام مكتبه تائها بين كم كبير من الكتب و الأوراق لا يقدِر على التركيز. لقد فاتته العديد من الدروس كما أن بحث التخرُّج ما يزال في بداياته و هو حائر كيف سيتصرَّف. لقد بدأ اليأس يدبُّ إلى قلبه خاصَّة و أنه يشعر بنوع من الإرهاق النَّاتج عن الاهتمام الجاد بفتح المكتبة من جهة و بمخلفات الإرهاق السَّابق الذي لم يُشعَى منه بعد تماما.

شَرَدَ ذِهنُه و بدأت فَرَضِيَّة إعادة السَّنَة تداعبه فشرَّعَ يبحث لها عن مُبررات مقبولة يُقنع بها نفسه أوَّلاً و الِديَّة ثانياً. شعر بالضيق و أيقن أنه بحاجة مُلِحَّة للمساعدة و أن مهمَّته تبدو مُستحيلة فلو ضَغَط على أعصابه في هذه الفترة الوجيزة الَّتِي تُفصِّله عن الاختبارات فإنَّه من المُمكن أن يُصاب بإرهاق ذهني جديد يُقصيه نهائياً من الاختبارات.

لَمْ تَطُل تأملاته عِنْدَمَا ظَهَرَ لَهُ عبد الله جالساً على الأريكة واضعاً رجلًا على رجل و مبتسماً كعادته.

- عبد الله: ها أنا جئت كما وعدتك يا أحمد. كيف حالك؟
- أحمد: (متنهداً) الحمد لله على كُلِّ حالٍ.
- عبد الله: و مالك تقولها بهذه الطريقة؟ هل هُناكَ خَطْبٌ ما؟
- أحمد: و الله لا أعرف ما أقوله لك و لكنَّ الاختبارات النَّهائية على الأبواب و أنا غيرُ مستعدٍّ لاجتيازها و لا أعلم كيف سأُتصرَّف.
- عبد الله: إعمل جَهْدَكَ و اترك التوفيق على الله
- أحمد: و نعم بالله و لكنَّ المسألة تكاد تكون مستحيلة فحجم الدُّروس و المادَّة العلمية ضخْمٌ بالمُقارَنة مع الفترة المتبقية و بالنظر أيضا إلى حالتي الصَّحية فلم أشفى بعدُ تماما من حالة الإرهاق الَّتِي أصابتنِي مُؤخَّرًا و أخاف أن تنتكس حالتي مُجدِّداً.
- عبد الله: (و قد ضاقت عيناه) و كأنني أشتُم رائحة طلبٍ مخفي من خلال كلامك؟
- أحمد: لا أبداً و ماذا سأطلب منك؟
- عبد الله: لا تنسى أنني جِئْتُ و لا تخفى عليَّ الكثير من الأمور
- أحمد: إذا كانت العديد من الأمور ليست بخفِيَّة عليك فَمِنَ البِدِيهي ألاَّ تخفى عليك مواضيع الاختبارات أليس كذلك؟
- عبد الله: ماذا؟ أتريدُ مِنِّي أن أشاركك في عمليَّة غشٍّ؟ هل تقصد ما نقوله؟
- أحمد: ليس عمليَّة غشٍّ و لكنَّ مُجرَّد مساعدة بسيطة لطالب في وضعية صحيحة حرجة.
- عبد الله: (و قد بدا الغضب عليه واضحا) لا تتلاعب بالتَّسميات فَمَا تَطْلُبُه هو أن أُسرِّب لك مواضيع الاختبارات و هذا أمرٌ مرفوضٌ فأنْتَ تدفعني لارتكاب الإثم
- أحمد: هدئي من روعك يا صديقي فالموضوع لا يحتاج إلى كُلِّ هذا الغضب. و على كُلِّ حالٍ لا تُزعج نفسك فإنني تراجعَت عن طلبي إنَّ كان هذا سيُغضبُكَ فأنْتَ حرٌّ إنَّ أردتَ مساعدتي أم لا. لا أريد أن أجبرك على فعل شيء لا تريده و لا على أن تساعدني.
- عبد الله: (بشيء من التراجع) الموضوع هو ليس أنني أرفض مساعدتك و لكنني أرفض أن أشاركك في عمليَّة غشٍّ فَتَحْصِلَ على شهادتك الجامعية بِفَضْلِ الغشِّ و ليس بفضل مجهودك الشخصي و استحقاقك.

- **أحمد:** انتهى الموضوع و لا تشغل بالك فيمكنني أن أذاكر بشكل أفضل في السنة المقبلة عندما يكون لي متسع من الوقت لذلك.
- **عبد الله:** (محاو لا استرضاء أحمد) أنا أريد فعلا مساعدتك و لكن لنفكر في طريقة أخرى غير الغش المباشر هذا. اقترح علي وسائل أخرى يمكنني القيام بها.
- **أحمد:** هل أنت جاد؟
- **عبد الله:** عجباً و متى كذبت عليك؟ ألم أخبرك بمكان الكنز و كنت صادقاً؟
- **أحمد:** ما رأيك في أن تذلني فقط على المحور الذي سيثمنه موضوع الاختبار و بذلك تُيسر علي المراجعة و ذلك بأن أركز على محور واحد فقط عوضاً عن مذاكرة كل المراجع و بهذه الطريقة لن تكون مضطراً لتسريب موضوع الاختبار و يكون نجاحي بفضل مجهودي في المذاكرة.
- بصمت عبد الله برهة و كأنه يفكر و يُقيم عرض أحمد و الاستياء باد عليه أكثر من الارتياح.

- **عبد الله:** و الله ما عدت أعرف من هو الجني أنا أم أنت؟ أنتم بني البشر تتسخطون أكثر منا نحن بني الجن. لقد أحرجتني فعلا فلا أقدر أن أرفض مساعدتك و لا أقدر أن أقول أن العملية فيها غش واضح. لكنني على كل حال سوف أساعدك و أدلك على المحاور التي سيكون الاختبار عليها و أنت إيدل قصارى جهدك في المذاكرة و إعتد على نفسك.
- **أحمد:** كيف أفعل إن أردت أن أقبلك؟
- **عبد الله:** لا تفكر في ذلك فإنني غير ملموس و سوف تُقبل الهواء.
- **أحمد:** أريد أن أشكرك على مساعدتك القيمة هذه فكيف لي ذلك؟
- **عبد الله:** بأن تتجح و تحرز درجات عالية. فقط بهذه الطريقة تشكرني و تبرهن لي بأنك طالب جيد لا يحتاج إلى الغش لولا الظروف الصعبة. فلنقل ذلك على الأقل حتى يرتاح ضميري.
- **أحمد:** إذن ما هي المحاور؟
- **عبد الله:** محاور ماذا؟
- **أحمد:** أووه هل تراجعت عن وعدك؟ محاور الاختبار طبعاً
- **عبد الله:** أبهذه السرعة؟
- **أحمد:** طبعاً و لم الانتظار فكل ساعة مذاكرة تُفيد الآن ثم إنك سريع جداً و يمكن أن تُحضر لي هذه المعلومة الآن.
- **عبد الله:** حاضر يا أحمد. أخبرني ما هي المواد و من هم أساتذتك و سأتي لك بالخبر اليقين فوراً.

يشرح أحمد لعبد الله المواد و يُعطيه أسماء أساتذتها و بمجرد أن ينتهي من ذلك يبدأ عبد الله في سرد أسماء المحاور التي تُخص الاختبارات لكل مادة من المواد العلمية تبعاً. سجل أحمد هذه المحاور و الأمل يعود إلى قلبه من جديد بعد أن كاد حبله أن ينقطع.

بدأ أحمد يُغلق الكتب التي لا يحتاجها للمذاكرة و يُخفي الدروس الخارجة عن مواضيع الاختبارات في أدراج مكتبته فإذا بسطح المكتب يفرغ تدريجياً بعد امتلاءه إلا من بعض المراجع. لقد وفرت هذه المعلومات لأحمد أكثر من أربعة أخماس المجهود الذي كان سيبذله. المهمة الآن أصبحت مُمكنة و مصيره بين يديه خاصة و أن أسبوعاً واحداً مازال يفصله عن بدء الاختبارات النهائية و هو وقت كافٍ بالنسبة له إن اجتهد في العمل و وضع كل تركيزه في المراجعة.

- **عبد الله:** أرى أنني سأتركك تعمل الآن و لن أعطلك عن المراجعة.
- **أحمد:** شكراً يا عبد الله على هذه المعلومات لقد ساعدتني بشكل كبير فعلاً
- **عبد الله:** لا شكر على واجب أرنا شطارتك فقط الآن
- **أحمد:** متى سأراك ثانية
- **عبد الله:** بعد انتهاء الاختبارات و لن أظهر لك أبداً قبل ذلك حتى لا تطلب مني أي شيء آخر.

● أَحْمَدُ: تفاهمنا

يخفتني عبد الله و يعود أَحْمَدُ إلى كتبه و مراجعه و قد شجّدت هِمَّتُهُ و تَفَاقَمَ نشاطه.

25 مايو – آخر يَوْمٍ في الاختبارات - أمام كلية الصحافة

يقف أَحْمَدُ مع مجموعة من زملاء و زميلات الدراسة أمام الكلية بعد أن أنهوا الاختبارات و لم يعد بيدهم شيء يفعلونه سوى انتظار النتيجة. يبدو الإرهاق واضحاً على وجوههم بسبب طول فترة المراجعة والاختبارات و لكن أيضاً تبدو عليهم علامات راحة الخلاص من الضغط الذي لازمهم لأكثر من أسبوعين.

استأذن أَحْمَدُ من المجموعة و توجّه نحو محطة الحافلات ليرجع للبيت. شعر أَحْمَدُ بإحساس غريب لأول مرة منذ دخوله الكلية. هل هو إحساس الحسرة على مغادرة و فراق مكان و زملاء تعود عليهم طيلة سنوات الدراسة الأربعة؟ لا يبدو ذلك السبب الفعلي فعادة ما يكون الطالب طائراً من الفرح عند حصوله على الشهادة الجامعية و مغادرة الكلية.

بقيَ أَحْمَدُ يُفَكِّرُ في هذا الأمر طيلة فترة انتظاره للحافلة التي طالت كعادتها. لقد وصل أَحْمَدُ لحقيقة أن ما يزعه فعلاً هو الإحساس بالوحدة، نعم الوحدة. لقد بلغ من العمر الرابعة و العشرين و لم يخفق قلبه بعد لفئة و لم تربطه أيّ علاقة بفتاة إذا ما استثنينا علاقات الزمالة العادية في الكلية. سأل أَحْمَدُ نفسه لماذا لم ينجح في بناء علاقة مع إحدى الفتيات الكثيرات و المناسبات له، مبدئياً، طيلة السنوات الأربعة الأخيرة على عكس بقية زملائه الذين اختاروا شريكات حياتهم و بدؤوا يخططون لمستقبلهم منذ فترة؟ هل الخجل هو الذي كان يمنعه أم أن القدر لم يضع أمامه الفتاة المناسبة؟ لقد تقطّن أَحْمَدُ إلى أنه لم يشعر قط بحاجة ملحة لبناء علاقة مع فتاة على عكس زملائه الذين كان يعتبرون هذه المسألة أساسية في حياتهم بل هي الرياضة الأولى لديهم. هل سبب هذا العزوف عن الفتيات نابع من الخجل أم من عدم الرغبة الفعلية. طال تفكير أَحْمَدُ و صارح نفسه فعلم أن والديه و خاصة أمّه كانت تغمره بحنان و عاطفة كبيرتين جعلته متشبعاً غير محتاج للبحث عنها عند الفتيات. لكن هل هذا أمر طبيعي بالنسبة لشاب في عمره؟ هل سيبقى يعتمد على حنان الأم و الأب و إلى متى؟ قطع هدير محرك الحافلة و صفير فتح الأبواب الخلفية تأملاته فصعد مسرعاً مع زمرة من الطلاب. جلس على أحد المقاعد بالقرب من النافذة و بدأ يراقب الطريق المؤدية إلى الكلية و هو مليء بالطلاب يتمشّون على جوانبه و قد شكّل معظمهم أزواجا يتناجون و يتهايمسون و كأنهم يؤدّعون بعضهم البعض في نهاية هذا العام الدراسي على أمل أن يلتقوا بعد الإجازة و على أمل ألا تنطفئ جذوة العاطفة خلال الصيف. تنهّد أَحْمَدُ من أعماقه و شعر و كأن سنوات مهمة من حياته مرّت مرور الكرام دون رجعة و من دون أن يحيا و يُجرب فيها علاقات و مغامرات ربّما لن تتوفر له فرص مثلها في المستقبل أو يكون استعدادة الذهني تغيّر فلا يشعر بلذة طعمها كما لو جاءت في وقتها. جاء خاطراً غريب في ذهن أَحْمَدُ: هل يستطيع الرّجل الكهل أن يستمتع بلعبة حُرْمٍ منها عندما كان صغيراً؟ بالطبع لا، فالوقت تغيّر و اللعبة التي كانت تؤلّد عند الطفل سعادة كبيرة أيام الطفولة لن تمنح للكهل أيّة متعة مع أن اللعبة هي ذاتها و الرّجل نفسه لكن هو الوقت فقط الذي تغيّر.

تتوقّف الحافلة في محطّتها بالقرب من المكتبة فينزل أَحْمَدُ منها و يُخَيّر قضاء بقية اليوم في المكتبة بين الزبائن و الناس على أن يعود إلى غرفته و يغلق بابها على نفسه.

لم يكن في المكتبة سوى زبونين اثنين بالإضافة إلى سهام التي كانت تُرصّف بعض الكتب حديثة الوصول على أحد الرفوف. ألقي أَحْمَدُ بتحية باهتة تجاهها و فتح كرتون كتب آخر و همّ في تصفيتها على رفوف أخرى.

✚ نفس اليوم – العاشرة مساء – غرفة أحمد

استلقى أحمد على فراشه و أفكار الصباح ما تزال تشغل باله. لقد بدأ يشعر أكثر من أي وقت مضى بحاجته الملحة إلى امرأة تملأ الفراغ الذي لم تعد أمه بقادرة على ملئه. إنه يحتاج للمرأة في كل تفاصيلها: صوتها، فكرها، جسدها، شعرها الطويل، رائحتها، حركتها. لم يعد أحمد بقادر على كبت اندفاعاته الغريزية و لا تهدئة نار عواطفه الحامية. لقد حَزَّ في نفسه عدم نجاحه في ربط علاقة مع إحدى زميلات الدراسة عندما كانت الفرصة مواتية تماما لذلك. ففكر في أن يتصل بإحدى الزميلات القريبة أكثر من غيرها إليه. أمسك بجواله و بدأ يتصفح أسماء و أرقام الزميلات علّه يعثر على مُرادِه و يختار واحدة تناسب تطلعاته. بدأ يقوم بعملية فرز و إقصاء لغير المناسبات من الزميلات فكانت القائمة تضيق بسرعة: فاطمة مرتبطة و دينا تطمح لمواصلة الدراسة في الخارج و غير مستعدة للارتباط في الوقت الحالي، إيناس بدينة جدا و لا تناسب ذوقه، هيفاء مدللة جدا و تثير أعصابه بسرعة، نادية عصبية و لا تهدأ أبدا، لطيفة قصيرة جدا لا تصل حتى إلى كتفه، شهْد بعيدة جدا عن الجمال، سيرين راجت حولها العديد من الإشاعات بخصوص علاقاتها مع شلة سوء عُرفت بارتكاب كل المحرمات، ياسمين خالية من العيوب و لكنه لم يستطعها أبدا، نانسي كثيرة العلاقات و المزاح مع الشباب و هو الشيء الذي لا يمكن أن يقبل به أبدا كما أنّه يثير غيْرته، إيمان مناسبة مبدئية و لكنه لا يعلم ما إذا كانت مرتبطة أم لا.

تفطن أحمد إلى أن دائرة اختياره من بين زميلات الدراسة ضيقة جدا فمن جملة أكثر من عشرة فتيات لم يخرج إلا بواحدة مناسبة مبدئيا مع ضرورة التثبت من عدم ارتباطها بشاب آخر.

لم لا أفكر خارج نطاق الدراسة فالفتيات موجودات في كل مكان و ليس بالضرورة في الكلية. لم لا أبحث عن ضالتي بين بنات الجيران أو العائلة؟ أو حتى الشارع فهو يزخر بالفتيات رائحات غاديات. ألا يمكن لي أن أظفر بواحدة فقط منهن. واحدة فقط تناسبني و أجد فيها الملاذ لأسكن إليها؟ هل يمكن لي أن أستعين بشخص؟ و من هو هذا الشخص الذي سيساعدني على أمر مثل هذا؟ هل هي أمي؟ و لكنني في نفس الوقت أريد أن أبعد عن أمي وأن أستقل عنها.

استحضر أحمد كافة الفتيات التي يعرفهن من الجيران و الأصدقاء و العائلة و لكنه أيضا لم يظفر بواحدة فقط تناسب و رغبته. لقد استبعد سناء بنت سي عائلة بعد محاولات يائسة في تلميع صورتها و محاولة إيجاد خصال تغطي على دلالها المفرط. حاول مرارا و تكرارا و لكن من دون فائدة فالصورة السلبية التي انطبعت في ذهنه حول سناء جعلته يقصصها نهائيا من دائرة اختياره.

عاد مرة أخرى لزميلات الدراسة و اتصل على جوال إيمان، الفتاة الوحيدة الممكنة من قائمة زميلاته. لقد حاول أن يتحدث معها قليلا و لم لا يستدعيها لجولة مسائية يُلَمِّح لها فيها عن نواياه بعد أن يستشِفَّ من تصرفاتها ما يشجعه على ذلك.

- أحمد: كيف حالك يا إيمان؟
- إيمان: أهلا و سهلا يا أحمد. بخير و الحمد لله. ما هذه الفرصة السعيدة؟ نادرا ما نتصل بي على جوالي و إن فعلت فلتسألني عن المحاضرات و الاختبارات
- أحمد: ها قد انتهت الدراسة و أردت أن أطمئن عليك لا غير.
- إيمان: كل شيء على ما يرام و الحمد لله. على كل حال كنت سأصل بك و قد سبقتنني لذلك

خفق قلب أحمد بسرعة. هل من الممكن أن يفكرا في نفس الشيء في نفس الوقت؟ هل إيمان أيضا تفكر به؟

- أحمد: خيرا إن شاء الله؟ ما هو الموضوع؟
- إيمان: أردت أن أستدعيك لحفل خطوبتي يوم السبت القادم عندنا في الفيلا.

نزل الخبر على أحمد ثقيلًا، بارداً و محبطاً.

- إيمان: ألو! هل مازلت على الخط؟
- أحمد: (مسترجعاً جأشه) نعم معك. مبروك على الخطوبة
- إيمان: لكنك لم تسألني من هو الخطيب
- أحمد: طبعاً، أنا أتشوق لمعرفة و إن شاء الله يكون مناسباً لك فأنت تستحقين كل الخير
- إيمان: إنه أشرف المعيد الذي درّسنا في السنة الماضية

شرد ذهن أحمد مرة أخرى و تحسّر على ضياع هذه الفرصة و أحسّ أنّه تأخر أكثر من اللازم في اختيار الفتاة و أنّ المنافسة أقوى مما كان يعتقد

- أحمد: اختيار موفق و تهانّي الحارّة لك
- إيمان: شكراً و لكنك يجب أن تحضر في الحفل و سأغضب منك لو لم تفعل
- أحمد: بإذن الله سأكون أول الحضور

انتهت المكالمة و عاد أحمد إلى أفكاره بعد أن حبطت همّته مع إيمان. قرّر أحمد تأجيل الموضوع و تركه للصدفة و الأقدار فالأكيد أنّه سيقابل فتاة أحلامه في يوم ما و في مكان ما.

🚩 الثلاثاء 2 جوان – يوم الإعلان عن نتائج الاختبارات – بيت سي الفاضل

يستعد أحمد لمغادرة البيت و قلبه يخفق من التوتر و كانت أمّه تتّبع خطاه أينما تتقل في محاولة منها لطمأنته و التخفيف عنه و لكنها في الواقع كانت تزيد من توتره. طلبت صفيّة من ابنها أن يتصل بها على الجوال و يعلمها بالنتيجة حال معرفته بها. طمأنها أحمد على ذلك و انصرف من دون حتّى أن يفطر إلا من تفاحة أصرت صفيّة على إعطائه إياها و هو عند باب الخروج.

لم تحتمل صفيّة الانتظار في البيت و قرّرت أن تخرج و تتوجه نحو المكتبة أين يوجد زوجها فالانتظار برفقته أهون بكثير من الانتظار بمفردها.

ورطة سي الفاضل

📌 **الثلاثاء 2 جوان – الحادية عشرة صباحا – المكتبة**

لم تمر أكثر من ساعة حتّى اتصل أحمد بوالدته على جوالها يبشرها بنجاحه و تخرّجه من الكلية. زغردت الأم و كاد أن يُغمى عليها من الفرحة فأمسك سي الفاضل بالجوال و هنا ابنه مستفسرا على الدرجة التي حصلها و داعيا إياه للحضور فورا إلى المكتبة ليحتفلوا بهذا الخبر السعيد الذي طالما تمناه هو و صفيّة فحصل على أحمد على الأستاذية يعتبر ثمرة جهدهما و تتويج سنوات طويلة من التربية و العناية.

لم يتأخر أحمد في الحضور إلى المكتبة راكبا سيّارة أجرة و مترفعا على الحافلة المعتادة. كانت الفرحة تجعله يشعر بأنّه يكاد يطير و يكاد لا يلمس الأرض عندما يمشي. ارتدى أحمد في أحضان أمه و أبيه في لحظات ذكرته بنجاحه في الابتدائية و انهمرت الدموع من عيني صفيّة بغزارة بينما كانت عزيزة في عيون سي الفاضل الذي حاول أن يتماسك خاصة و أنّ سيّاه كانت تراقب المشهد عن قرب و أنّ بعض الزبائن التفتوا مبتسمين محاولين مشاركة العائلة فرحتها و لو بنظرات و ابتسامات ذات معنى. هنا سيّاه أحمد بحرارة على نجاحه و تمتّ له المزيد من النجاح و التفوق.

فتحت صفيّة علبة الحلويات و وزعت منها على الحضور في المكتبة و قام سي الفاضل بتوزيع المرطبات. كانت الفرحة لا توصف و السعادة شملت الجميع.

- **سي الفاضل:** هُناك مفاجأة لك يا أحمد في درج المكتب. اذهب و أحضرها
- **أحمد:** ما هي المفاجأة يا أبي؟
- **سي الفاضل:** و كيف هي مفاجأة إن أخبرتك بها الآن؟ أحضرها فحسب

يسرع أحمد الخطى نحو المكتب و يفتح الدرج و يبحث جيدا داخله فلا يجد سوى مجموعة من الأوراق و فواتير المكتبة و مفتاح وحيد. أخرج أحمد المفتاح مستغربا و أشار به إلى أبيه.

- **أحمد:** أين المفاجأة يا أبي؟ ليس في الدرج سوى الفواتير و هذا المفتاح. هل أنت متأكد من أنك وضعت المفاجأة في الدرج؟

لم يُجب سي الفاضل ابنه و بقي واقفا مبتسما هو و صفيّة ينظران إلى ابنهما. لم يفهم أحمد معنى هذه النظرات في البداية و تسارعت الأفكار في ذهنه محاولا إيجاد تفسير منطقي لهذا الموقف. و بعد لحظات قليلة اتسعت عيناه و فغر فاه و هو لا يصدق الفكرة التي خطرت على باله.

- **أحمد:** هل معقول أن تكون...
- **سي الفاضل:** نعم إنها بالخارج. ألم تلاحظها عندما وصلت؟

يخرج أحمد مهرولا إلى خارج المكتبة أين تقع عيناه على سيّارة شبابية صغيرة ذات لون أحمر عنابي. اقترب منها و فتحها مستخدما مفتاحه و كأنه ليطمأن أنّه هي سيارته. ثم عاد يجري إلى المكتبة ليرتمي مجددا في حضن أبيه و يعانقه بحرارة.

- **سي الفاضل:** إنها هدية نجاحك. و من اليوم لا يليق بحضرة الأستاذ الصحافي المحترم أن يركب الحافلة و سيارات الأجرة.

بينما كان الجميع يعيش حالة كبيرة من السعادة دخل إلى المكتبة رجلان يلبسان بدلات رسمية و اقتربا من سي الفاضل و قبل أن يقدّم لهما المرطبات سألاه في نبرة جافة

- الرجل الأول: هل أنت سي الفاضل؟
 - سي الفاضل: نعم أنا هو بعينه. خيرا إن شاء الله؟ ما هو الموضوع؟
 - الرجل الأول: نحن من الشرطّة و نريد منك مرافقتنا إلى المركز بكل هدوء و فورا
- تسمّر الجميع في مكانهم و انقلب الفرح إلى غمّ و توتر شديد. نظر سي الفاضل إلى صَفِيّة و أحمد مستفسرا و مستغربا عن سبب قدوم الشرطّة

- سي الفاضل: ما هو الموضوع؟ خيرا إن شاء الله؟
 - الرجل الثاني: تفضّل معنا الآن و ستعلم كلّ شيء في المركز.
- ترك سي الفاضل المرطبات قرب صندوق المحاسبة و خرج معهما في حين أسرع أحمد وراءهما سائلا عن عنوان المركز الذي يقتادون والده إليه.

- سي الفاضل: يا أحمد اتصل بالأستاذ الطاهر المُحامي و اطلب منه مقابلتي هُناكَ لنرى ما هو الموضوع
- أحمد: حاضر يا أبي سأُتصل به فورا و سأتّي برفقته لا تقلق.

أركب الرجلان سي الفاضل في السيّارة و انطلقا بها أمام دُحول أحمد و صَفِيّة التي بقيت تردد ما الذي حصل؟ لماذا أخذوا زوجها؟ في شبه هذيان.

اتصل أحمد بالأستاذ الطاهر المُحامي و شرح له الموقف في عصبية و تسرّع فطمأنه المُحامي.

- الطاهر المُحامي: سوف أرافقك بعد نصف ساعة على الأكثر في مركز الشرطّة. اطمئن و لا تقلق فبإذن الله خير. سوف أحضر مع والدك التحقيق و نرى ما هو الموضوع.
- أقبل أحمد السماع و توجه مباشرة إلى مركز الشرطّة و بقي في انتظار المُحامي.

📌 الثلاثاء 2 جوان – الثانية عشرة ظهرا – مركز الشرطّة

كان أحمد جالسا في بهو المركز عِنْدَمَا أحضر شرطيان والده إلى مكتب التحقيق فارتدى على والده يطمئنه بأنّه اتصل بالمُحامي و بأنّه على وشك الوصول و سأله إن كان يحتاج إلى شيء. حاول سي الفاضل أن يظهر رباطة جأشه المعهودة و أن يبعث في إبنه الاطمئنان فجابه بكل رصانة.

- سي الفاضل: أحضر لي فقط علبة سجائر و كبريت. أنا بخير سوف نرى ما هو الموضوع الآن.
- أحمد: حاضر يا أبي سوف أعود حالا.

دفع الشرطيان بسي الفاضل مبعدين أحمد عن طريقهما و ولجوا المكتب مقفلين الباب وراءهما.

أسرع أحمد إلى خارج المركز باحثا عن بائع سجائر و لم يكن المحل ببعيد فكان صاحبه علم تمام العلم بحاجة رواد مركز الشرطّة للسجائر فاستغل هذه الفرصة ليحقق المبيعات العالية و الربح الوفير. اشترى أحمد علبتي سجائر تحسبا لإطالة إيقاف سي الفاضل ثم عاد بسرعة دون حتّى أن يأخذ باقي النقود من البائع. تقابل عند باب المركز بالطاهر المُحامي و هو رجل من أُنْدَاد أبيه اشتعل رأسه شيبا و تدلّ قسّمات وجهه

بتمرسه بالقضاء و مصائبه كما أكسبه طوله و استقامة وقفته هيبّة تعودّ على استغلالها كما يجب أمام القاضي عِندَما يرافع عن موكله.

- **الظاهر المُحامي:** ما هو الموضوع يا أحمّد؟ ما الذي حصل؟
- **أحمّد:** و الله لا نعرف شيئاً. لقد كنا في المكتبة عِندَما دخلا الشرطيان و أخذوا أبي.
- **الظاهر المُحامي:** هل قالوا شيئاً عن أسباب الإيقاف؟
- **أحمّد:** لا و الله كلّ ما قالوه هو أنّه سيُعلم كلّ شيء في المركز
- **الظاهر المُحامي:** هل حدثت مشكلة من أيّ نوع خلال الأيام الماضية مع الجيران أو زبائن المكتبة أو غيرهم؟
- **أحمّد:** لا يا أستاذ فلا مشاكل لدينا و أنت تعرف أبي حق المعرفة فهو رجل مسالم و ليست له عداوات.
- **الظاهر المُحامي:** و أين هو الآن؟
- **أحمّد:** لقد أدخل مكتب التحقيق منذ لحظات.
- **الظاهر المُحامي:** لا تقلق سوف أحضر التحقيق و أعلم ما هو الموضوع و إن شاء الله سوف أخرجه فوراً لينام بينكم هذه الليلة.

تحرك المُحامي و أحمّد نحو مكتب التحقيق أين تفاجئاً بالشرطيين يفتادان سي الفاضل و قد ألبسوه الأصفاد. استوقفهما المُحامي مُعرّفاً بنفسه سائلاً إياهما أين يفتادان مُوكله فلم يجيبا و طلبا منه أن يسأل الضابط المسؤول. طمأن المُحامي سي الفاضل بأنّه سوف يقوم بالإجراءات القانونية اللازمة و يخرجهم في أسرع وقت لكن علامات التآثر و الخوف و الاستسلام كانت واضحة على وجه سي الفاضل الذي شرد ذهنه و اصفر وجهه و اختفى بريق عينيه. لم يترك الشرطيان أحمّد يقترب من والده و لم يستطع أن يسلمه السجائر إلا بصعوبة كبيرة. استلم سي الفاضل العلبتين ببديه المغولتين دون أن يرفعهما و دون أن يتوقف عن السير. توجه به الشرطيان خارج المركز أين سلماه إلى شرطين آخرين مسلحين برشاشات و مرتدين بدلات سوداء قاما بإدخاله في صندوق السيّارة الحديدي الأسود المخيف و كأنّه مجرم خطير و سرّعان ما انطلقت السيّارة إلى وجهة غير معلومة. حاول أحمّد أن يستفسر من الشرطيين لكن دون جدوى.

لم يتوقف جوال أحمّد عن الرنين بين الفينة و الأخرى و كانت صَفِيّة كلّ مرة محاولة معرفة تطورات الوضع و غير مصدقة بأنّ أحمّد يجهل إلى حد الآن ما يجري فزادت من توتره و كادت تفقده أعصابه و مع ذلك كان حريصاً على تهدئتها في كلّ مرة و يعدها بأنّه سوف يخبرها بكل جديد حال وقوعه و لكنها لا تستطيع صبراً فتعاود الاتصال به من جديد.

عاد أحمّد مسرعاً إلى داخل المركز حيث بقي ينتظر خروج المُحامي من مكتب التحقيق. لم يدم انتظاره طويلاً حيث خرج المُحامي بخطى متثاقلة و كأنّه يحمل على كاهليه حملاً ثقيلاً. سارع أحمّد نحوه مستفسراً و قد زاده مظهر المُحامي قلقاً و حيرةً.

- **الظاهر المُحامي:** أظن أنّ الموضوع كبير و أريد منك أن تصارحني بالحقيقة و لا تخفي عني شيئاً.
- **أحمّد:** ما هو الموضوع و إلى أين اقتادوا أبي؟

ينظر المُحامي إلى أحمّد في نظرة ذات معنى كلها ريبة و شكّ و كأنّه يحاول أن يستشف أي معلومة تفسر له ما جرى.

- **أحمّد:** ماذا قال لك المحقق؟ ما هي تهمة أبي؟ هلا أخبرتي؟
- **الظاهر المُحامي:** اسمعني أحمّد يجب أن نتصالح و هذا من مصلحة أبيك فالمسألة كبيرة و خطيرة. إنّه متهم في قضية أمن دولة.

دَوَّت كلمة "قضية أمن دولة" بقوة داخل أحمَد حتَّى أنَّه كاد أن يفقد توازنه و بدأ شريط الأحداث يمر بذهنه بسرعة ففهم حالة الوجوم الَّتِي كان عليها والده بعد الخروج من مكتب التحقيق. يعلم أحمَد تمام العلم ما يعني تورط أبيه في قضية أمن دولة بحكم دراسته للصحافة و إطلاعها على مثل هذه المواضيع. الأمر يتعقّد بشكل كبير و من الصعب الآن الوصول إلى والده فالحراسة مُشدّدة جدا عليه كما أنَّ العقوبات في هذه القضايا ثقيلة و قاسية. إنَّ أحمَد يعلم تمام العلم بأنَّ الداخل في غمار هذه القضايا مفقود و الخارج منها مولود كما أنَّ سوء معاملة المتهمين أمر وارد جدا إذا لم نقل أنَّه هو القاعدة فيها و هذا ما زاد من خوفه على أبيه الَّذِي لم يتعود أبدا على سوء المعاملة و قلة الاحترام.

- **أحمَد:** أوكد لك يا أستاذ بأنَّ لا دخل لأبي و لا لعائلتي بمسائل أمن الدولة فكما تعرف أبي جيدا. هو إنسان مسالم و طيب و ربُّ عائلة حنون لا يهتم إلا بعمله و عائلته و لم يشتكي أحد قط منه. كما أنَّه قليل العلاقات. إنَّه يقضى معظم أوقاته إما في العمل أو في البيت فمن أين له أن يتورط في قضايا أمن الدولة؟
- **الطاهر المُحامي:** لقد أعلمني المحقق بأنَّ هُناك الكثير من الأدلة تورط أباك في الأحداث الإرهابية الَّتِي حصلت مؤخرا في عَيْن دَرَاهِم و أنَّه على عَلاقة بالمجموعة الَّتِي نفذت الاعتداء.

يعود شريط أحداث عَيْن دَرَاهِم إلى مخيلة أحمَد و لا يجد رابطا منطقيا واحدا يربط أباه بهذه المجموعة. هل يعقل أن يكون والده اختار عن قصد قضاء الإجازة في عَيْن دَرَاهِم في ذلك التوقيت بالذات و يؤجر المنزل القريب من منزل الإرهابيين لكي يتواصل معهم و يخطط معهم لعمليات مستقبلية؟ هل يعقل أن يكون أبوه مجرما خطيرا يخادع الجميع، بمن فيهم ابنه و زوجته، بدهاء و خبت كبيرين؟ هل كانت الإجازة هُناك و مرافقة أحمَد و صَفِيَّة لسي الفاضل تغطية ممتازة له حتَّى لا يثير الشكوك و يتآمر مع الإرهابيين بكل أمان و هدوء؟ هل يُعقل أن يكون كلام سي الفاضل الرافض للإرهاب و للفكر المتطرف قناعا زائفا يخفي حقيقة إيمانه بهذا الفكر الهدّام؟ هل يُعقل أن يكون سي الفاضل "الرجل الفاضل" و رَجُل القيم، المُحب للحياة و النظام و الموسيقى و الأدب إرهابي خطير؟

تدافعت الأسئلة في ذهن أحمَد و لم يجد لها جوابا و لكنه رفض تصديق تورط والده جملة و تفصيلا مع أنَّ الشك بدأ يتسلل إلى قلبه.

ركب أحمَد سَيَّارة المُحامي و لاحظ هذا الأخير شرود ذهن أحمَد.

- **الطاهر المُحامي:** أعتقد أنَّ لديك الكثير من الأمور الَّتِي يجب أن تخبرني بها الآن و فورا حتَّى أستطيع التحرك بفعالية. ما هي قصة عَيْن دَرَاهِم و ماذا حصل هُناك؟ و لماذا ذهبتم إلى هُناك في ذلك التوقيت بالذات؟

روى أحمَد كامل تفاصيل رحلة عَيْن دَرَاهِم و ذكر له أنَّ سببها هو العلاج من الإرهاق الذهني الَّذِي ألمَّ به كما نصح بذلك طبيبه عبد اللطيف نافيا أن يكون له أو لوالده أية عَلاقة بالمجموعات الإرهابية.

استمع المُحامي لرواية أحمَد بكل اهتمام و من دون مقاطعة و هو يقود السَيَّارة دون أن تختفي من عينيه علامات الريبة و الشك. طلب المُحامي من جديد من أحمَد ألا يخفي عنه أي شيء و لا حتَّى التفاصيل الصغيرة. أخبر أحمَد المُحامي بكل ما يعرف سوى مسألة إعلامه الشرطية بهروب الإرهابيين الخمسة و مسألة الكنز.

- **أحمَد:** ما العمل الآن يا أستاذ؟
- **الطاهر المُحامي:** أنا لا أخفي عليك أنَّ المسألة معقدة بعض الشيء و التعامل مع هذا النوع من القضايا صعب و لا أريد أن أعدك بأشياء يمكن ألا تحصل. سأذهب إلى مكتب التحقيق في قضايا

أمن الدولة و سوف أحضر التحقيق مع سي الفاضل و أطلع على ملف القضية بالكامل و مختلف الأدلة و الاتهامات الدقيقة الموجهة ضده ثم سأقرر كيفية التعامل مع القضية.

- **أحمد:** هل سيخرج والدي اليوم و يعود معي للبيت؟
- **الطاهر المحامي:** أعتقد أن هذا أمر صعب حاليا فقد تقرر حجزه لأربعة أيام على ذمة التحقيق و من الوارد جدا إطالة هذه المدة حتى خمسة عشر يوما فالمحققون حريصون جدا في مثل هذه القضايا و يتعمدون إطالة التحقيق حتى ينتزعوا من المتهم أكبر قدر ممكن من المعلومات بعد أن يمارسوا عليه مختلف أنواع الضغط
- **أحمد:** ألا يمكن أن يخرج بكفالة؟
- **الطاهر المحامي:** سوف أحاول ذلك طبعاً و لكن أستبعد ذلك فخوفهم من هرب المتهم خارج البلاد يدفع المحققين لرفض أي إطلاق سراح بكفالة.

أوصل المحامي أحمد إلى المكتبة حيث طلب منه أن ينتظر منه اتصالاً يعلمه فيه بنتيجة التحقيق. طلب أحمد من المحامي مرافقته إلى مبنى أمن الدولة فرفض المحامي شارحاً له أنه يمنع دخول أي شخص من دون صفة قانونية ولا يُسمح إلا له فقط بأن يدخل باعتباره محامي المتهم.

ينزل أحمد من السيارة بعد أن شكر المحامي كثيراً على مجهوده. لقد أحببت معنوياته كثيراً و زاد من استيائه مقابلة والدته له و أسئلتها الكثيرة و الملحّة. شرح لها أحمد تفاصيل ما حدث فكادت تنهار.

خرج أحمد صحبة أمّه من المكتبة فلاحظ سيارته الجديدة التي لم يهنأ بها بعد و عادت إلى مخيلته صورة والده و هو يهديه السيارة و مدى فرحته بها فلم يزد ذلك إلا ألماً و حسرة.

✚ نفس اليوم و نفس الوقت – أول أيام التحقيقات – إدارة أمن الدولة

دخلت سيارة الشرطة باحة إدارة أمن الدولة و أغلقت الأبواب من خلفها بإحكام محدثة ضجيجاً عالياً و مخيفاً. كان لصوت إغلاق الأقفال الحديدية للأبواب وقع سيء ثقيل على نفس سي الفاضل الذي شعر و كأن هذه الأقفال ستكبله و إلى الأبد. فُتح الباب فدخل نورٌ قويٌّ أضاء داخل الصندوق الحديدي للسيارة. طلب الشرطي من سي الفاضل النزول و بسرعة. ما إن لامست رجلاً سي الفاضل الأرض حتى دفعه الشرطي في قسوة باتجاه المبنى طالباً منه أن لا يرفع رأسه و أن يبقيه منحنيًا. لم يقدر سي الفاضل أن يرى بدقة الساحة و لا مكوناتها و لكنه كان يشعر بأن الحراسة فيها مشددة حتى أنه كان يُخيل إليه بأن فوهات الرشاشات كانت مُصوّبة نحوه تنتظر أي حركة مفاجئة منه لتنتهال عليه بوابل من الرصاص يمزق صدره.

ولج المبنى فإذا به مُظلم كئيب. وجد سي الفاضل نفسه في ردهة صغيرة تصب فيها ممرات كثيرة ضيقة و تنتهي بدرج ملتوي. دُهنّت الجدران باللون الرمادي الفاتح في نصفها العلوي بينما دُهن النصف السفلي باللون الرمادي الغامق. نُزعت أزرار الكهرباء من مكائنها و اختفت الأسلاك الكهربائية فيها. كان المبنى قديماً و يدل على ذلك البلاط الذي يكسو أرضيته و الذي لم يعد يصنع منذ فترة طويلة جداً. لا تحتوي الردهة على شيء من الأثاث سوى كرسي حديدي واحد من النوعية الرديئة وُضع عليه كوب قهوة "اكسبرس". كان شرطي حامل لرشاشة معلقة في كتفه يقف إلى جانب الكرسي يدخل سيجارة و يرشف من هذه القهوة من حين لآخر. نظر هذا الشرطي لسي الفاضل في استعلاء و حقد ومن دون أن يكلمه. مضى الشرطي المرافق لسي الفاضل بسجنيه إلى الدرج حيث صعدا للدور الأول الذي كان عبارة على ممر طويل جداً تصطف مكاتب عديدة على جانبيه. طال السير في الممر قبل أن يتوقف الشرطي أمام أحد المكاتب الذي كان محروساً بشرطي آخر مسلح. طرق الباب بحزم ثم فتحه و أدخل سي الفاضل إلى المكتب.

قدم الشرطي التحية للمحقق و سلمه المتهم و انصرف. لم يتحرك المحقق من مكانه وبدأ يتفحص سي الفاضل بعينين ضيقتين مبتسماً هادئاً إلى حد إثارة الأعصاب.

• **المحقق مُحمَّد علي:** (بنبرة جافة و تسلطية) اجلس

جلس سي الفاضل على كرسي وضع أمام مكتب المحقق و في مواجهته تماما. كان الكرسي خشبيا غير مريح مع عدم اعتدال في طول أرجله فلم يكن مستقرا.

بدأ المحقق ينقر على سطح المكتب بقلمه برفق و بصفة مسترسلة و كأنه يُفكِّر فيما سيقول بروية أو ربما أنَّ الموضوع كبير جدا و لم يدر من أين سيبدأ. أمسك بعلبة السجائر رخيصة السعر الموضوعة على المكتب و سحب منها سيجارة في بطنه. أمسك بعلبة الكبريت و أشعل سيجارته بنفس البطء. وضع المحقق عود الثقاب في منفضة معدنية كانت قد امتلأت على آخرها ببقايا سجائر من ماركات مختلفة حتَّى أنَّ بعض الرماد تساقط على المكتب. أخذ نفسا عميقا و احتفظ به في صدره للحظات قبل أن ينفثه ببطء مصدرا صوتا يدل على عدم ارتياحه.

كان سي الفاضل يتابع كلَّ ذلك فازداد قلقه و أيقن أنَّه دخل عالما يصعب الخروج منه دون أضرار جسيمة.

فتح المحقق ملفا أصفرا كان على مكتبه و بدأ يقرأ المعلومات المدونة في إحدى أوراقه. كان يأخذ من حين لآخر نفسا من سيجارته و ينفخه بنفس الطريقة حتَّى عج المكتب بالدخان. تذكر سي الفاضل صدور قانون منع التدخين في الأماكن العامة و المقاهي. ألا ينطبق هذا القانون هنا؟ أم أنَّ هذا المبنى خارج دائرة القانون ثم سرعاناً ما استهزأ من فكرته تلك.

المحقق "مُحمَّد علي" كهل في الخامسة و الخمسين من عمره. تساقط معظم شعر رأسه إلا من الجانبين. شواربه الرمادية و القصيرة تخفي أثر جرح قديم يتواصل من أسفل أنفه و إلى غاية نصف شفته العليا. جسمه يميل إلى البدانة مع كرش كبيرة بعض الشيء.

دخل المكتب شاب في الثلاثين من عمره. سلّم على المحقق و جلس على يمينه. فتح دفترًا و بدأ يسجل فيه بعض المعلومات.

• **المحقق مُحمَّد علي:** اسمك بالكامل و مهنتك و عنوانك.

أجاب سي الفاضل بدقة على السؤال.

- **المحقق مُحمَّد علي:** ما هي علاقتك بالمجموعة الإرهابية التي نفذت عملية عَيْن دَرَاهِم؟
- **سي الفاضل:** ليست لدي أية علاقة بها و لا أعرفها أصلا.
- **المحقق مُحمَّد علي:** (يُلَوِّح المحقق برأسه دلالة على النفي) هذه بداية سيئة... سيئة جدا. و إذا بدأ التحقيق بداية سيئة فإن الأمور ستسوء جدا فيه. إذن أريد منك أن تُعدّل إجابتك و تعترف لنا بكل شيء و بكل بساطة و منذ البداية. نريد أن تمرّ الأمور بهدوء. أعيد سؤالي مرة أخرى و أريد الحقيقة هذه المرة. ما هي علاقتك بالمجموعة الإرهابية التي نفذت عملية عَيْن دَرَاهِم؟
- **سي الفاضل:** قلت لك أنَّه ليست لدي أية علاقة بها و لا أعرفها أصلا و هذه هي الحقيقة التي لا أعرف غيرها.
- **المحقق مُحمَّد علي:** إذن أنت مُصرٌّ على الإنكار. هذه الإستراتيجية لن تفيدك في شيء فلا فائدة تُرجى من إضاعة الوقت. أنت تقول أنك لست على علاقة بالمجموعة... فكيف تفسر لنا تواجدك في نفس مكان و زمان تواجد المجموعة الإرهابية؟
- **سي الفاضل:** كانت تلك صدفة، مجرد صدفة

ينظر المحقق إلى زميله الكاتب و يردد كلمة صدفة ثم لا يتمالك نفسه من الضحك و التهكم على هذه الكلمة

- **المحقق مُحمَّد علي:** صدفة؟ تقول أنها صدفة؟ فلتعلم يا عزيزي أنني لا أؤمن بالصدف منذ وقت طويل جداً...جداً. ليست هُناكَ صدف في مثل هذه المواضيع (تغيرت أساليب وجهه و اختفت الابتسامة لتحل محلها نظرة تهديد و وعيد و عصبية و صوت عالي) أنت كنت هُناكَ لتتأمر مع هذه المجموعة من أجل تنفيذ عمليات إرهابية داخل البلاد. هذه هي الحقيقة و سواء اعترفت بها أو أنكرتها فإنَّ الأدلة قوية و تُقنع أي قاضي بأن يودعك في السجن لسنوات طويلة جداً و أشك في أنك ستري النور من جديد و أنت في هذا العمر.

ينظر المحقق للكاتب و يشير له بتسجيل السؤال الآتي.

- **المحقق مُحمَّد علي:** على ماذا كنت تتأمر مع المجموعة؟ أي ما هي الأعمال التخريبية التي كنتم تنون تنفيذها؟
- **سي الفاضل:** ليست هُناكَ أي أعمال إرهابية و لم أتصل بالمجموعة و لا أعرف عنها أي شيء.
- **المحقق مُحمَّد علي:** الإنكار لن يفيدك في شيء قلت لك ذلك و سأكرره لك للمرة الأخيرة. تعاون معنا و سنطلب من المَحْكَمَة التخفيف عنك و ربما اعتبرناك شاهد ملك إذا ما أعطيتنا معلومات مفيدة تساعد في الإطاحة بباقي الشبكة. ما رأيك بهذا العرض؟
- **سي الفاضل:** إنَّه عرض جيد و لكنه لا يتناسب مع حالتي لأنني فعلاً لا أعرف شيئاً عن المجموعة.
- **المحقق مُحمَّد علي:** ما هو دورك في عمليات المجموعة؟ هل أنت المتصرف المالي أم المسؤول عن التجنيد أم الاستخبارات أم الأمور اللوجستية أم ماذا بالضبط؟ أو... ربَّما... أنت الدماغ المفكر؟
- **سي الفاضل:** كم ساعدت من مرة أنه لا علاقة لي بالموضوع و لقد قمت بخطأ كبير عندمَا أقيمت عليَّ بهذه التهم فأنا بعيد عنها كُلَّ البعد.
- **المحقق مُحمَّد علي:** تأكد يا محترم أننا لا نلقي بالتهم جزافاً و لدينا العديد من الأدلة ضدك.
- **سي الفاضل:** هاتوا ما لديكم إن كنتم واثقين؟
- **المحقق مُحمَّد علي:** فلنعتبر أنَّ أمر تواجدك في مكان العملية صدفة و هو الأمر الذي لا ينطلي على أكثر الأطفال براءة و سذاجة فيماذا تفسر ظهور الثروة عليك مرة واحدة، مباشرة بعد عودتك من عَيْنِ دَرَاهِم مع العلم أنَّ كُلَّ تقارير التحريات تؤكد أنك مَوْطَف في المَحْكَمَة، متوسط الحال لا تمتلك سوى راتبك البسيط الذي يغطي بالكاد مصاريف البيت. لقد فتحت مكتبة كبيرة و اشتريت سَيَّارَة جديدة لابنك و تترتد المطاعم الفاخرة و أفخم الفنادق و أصبحت تقتني الملابس و العطور الغالية من أفضل الماركات العالمية. أت لنا بتفسير منطقي واحد لمصدر هذه الثروة.

يرتبك سي الفاضل و يشعر بأنَّ صدره ضاق و أنَّ الشُرْطَة كانت تتابعه لحظة بلحظة منذ عودته من عَيْنِ دَرَاهِم. كيف سيفسر لهم مصدر الثروة؟ هل سيقنعون بالحقيقة؟ يبقى سي الفاضل صامتاً دون رد.

- **المحقق مُحمَّد علي:** هل تفكر بأن تخبرنا بأنَّك ورثت عمَّك الذي تُوفي في أمريكا كما أوهمت بذلك جيرانك و أصدقائك؟ أعلمك بأنَّه لا فائدة من ذلك فالتحريات تشير لعدم وجود هذا العم المزعوم و بأنَّك لم تغادر البلاد باتجاه أمريكا لإحضار المال أصلاً، كما كذبت على الجميع. بماذا تفسر اختلاَقك لقصة إرث عمك المزعوم هذه؟

يزداد ارتباك سي الفاضل الذي بدأ يشعر بأن الطوق اشتد عليه و أنَّ كُلَّ الأدلة ضده.

- **سي الفاضل:** لن أتكلّم إلا في حضور محامي
- **المحقق مُحمَّد علي:** هل تعتقد أنَّ محاميك سيفيدك في شيء؟ لا أبداً. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفيدك هو الاعتراف و التعاون معنا.

يُفتح الباب و يدخل شرطي الحراسة الذي يُعلم المحقق بتواجد المُحامي أمام المكتب و يطلبه لحضور التحقيق. يسمح المحقق مُحَمَّد عَلِيَّ للمحامي بالدخول.

يدخل المُحامي و يُعرِّف بنفسه ثم يطلب أخذ فكرة عن التهم الموجهة لمُوَكَّلِه.

يعطي المحقق صورة من ملف القضية للمحامي و يطلب منه أن يُقنع مُوَكَّلِه بالتعاون فذلك في مصلحته.

- **المحقق مُحَمَّد عَلِيَّ:** ساعدك مع ملف القضية و مع مُوَكَّلِكَ لبعض الوقت لتتساورا و سأعود بعد قليل لنواصل التحقيق.

يخرج المحقق و يترك الكاتب برفقة المُحامي و سي الفاضل. يقرأ المُحامي بسرعة ملف القضية و تعبس أساريه.

- **المُحامي:** هل هذه المعلومات صحيحة؟ هل كنت في عَيْنِ دَرَاهِم وقت العملية و بالقرب من بيت الإرهابين؟
- **سي الفاضل:** نعم
- **المُحامي:** ما قصة هذا المال و ما هو مصدره؟ لا أعلم أنك كنت ثريا في يَوْم من الأيام؟ و هل صحيح أنك اختلقت قصة إرث عمك؟ و هل هي وهمية؟
- **سي الفاضل:** (بنوع من الاستسلام) نعم إنها قصة وهمية

يُمسك المُحامي برأسه و يمسح جبينه بتوتر

- **المُحامي:** لا أخفي عليك بأنَّ موقفك صعب للغاية في القضية فالقرائن و الأدلة تشير لتورطك في العملية و أيُّ قاضي سيقنعك كليا بهذه الأدلة و سيوقع عليك أقصى العقوبات. استمع إلي جيدا يا سي الفاضل يجب أن تصارحني بكل شيء. إذا كنت فعلا متورطا فأعلمني بكل التفاصيل حتَّى نجد مخرجا قانونيا يخفف على الأقل من العقوبة.
- **سي الفاضل:** أنت أيضا تشك فيَّ يا أستاذ؟
- **المُحامي:** أنا أعرفك منذ وقت طويل و لكن اعذرني فإنَّ ملف القضية يؤكد بشكل قطعي تورطك و المَحْكَمَة كما تعلم تأخذ بالأدلة و البراهين و موقفك ضعيف للأسف.

يبقى سي الفاضل صامتا.

- **المُحامي:** الصمت و الإنكار ليسا في صالحك. الأدلة دامغة ضدك و يجب أن نفسر مصدر المال و أن نثبت بأنَّ تواجدك في مكان العملية مجرد صدفة. يجب أن نثبت ذلك بالأدلة.

يوصل سي الفاضل صمته بينما يدخل المحقق إلى المكتب مُجَدِّدا مُبْتَسَمَا مُتَفَانِلًا.

- **المحقق مُحَمَّد عَلِيَّ:** أه؟ ما هي الأخبار؟ هل اطلعت على ملف القضية؟ و هل أقنعت مُوَكَّلِكَ بالتعاون معنا؟
- **المُحامي:** إنني أحتاج للانفراد بموكلي لوقت أطول حتَّى نتشاور
- **المحقق مُحَمَّد عَلِيَّ:** أ لا يزال مصرا على الإنكار؟
- **المُحامي:** نحتاج إلى بعض الوقت فقط.
- **المحقق مُحَمَّد عَلِيَّ:** ليس الآن، فلدينا الكثير من الأسئلة التي نودُّ طرحها على المتهم و أولَّها: في مقابل ماذا سلَّمت لك المجموعة الإرهابية كُلَّ هذا الذهب الذي بعته لبعض التجار؟
- **سي الفاضل:** (بعصبية) قلت لكم ألا عَلاقة لي بالإرهابين

- **المحقق مُحمَّد علي:** إذن من أين أتيت بكل هذا الذهب؟ نحن رصدناك منذ مغادرتك لعَيْن دَرَاهِم و تابعنا حركاتك. نحن على علم بترددك على سوق الذهب و بيعك للمصاغ الذي ادعيت أنه لعائلتك و أنك في أزمة مالية و تحتاج للمال فاضطرت لبيعه. ما رأيك؟ هل كنت تعتقد بأننا تركناك تغادر عَيْن دَرَاهِم و أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد؟ لو فكرت في ذلك فإنك ساذج حقًا. لقد رصدناك على مدى الأربعة و العشرين ساعة. إننا لا ننام و نعرف عنك و عن عائلتك الكثير من التفاصيل. لنعد مرة أخرى إلى الذهب. لقد سلّمناك المجموعة الذهب من أجل شراء أسلحة أو شراء وسائل نقل أو تأجير بيوت تستعملونها أوكارا تتخفون فيها أو ربما تستعملها لتشتري ذمة بعض الموظّفين الفاسدين في الدولة لتزوير جوازات السفر و غيرها و لكن بعد أن هوجمت المجموعة و ألقي القبض على من تبقى من أفرادها أحياء، تحركت أطماعك فقلت لماذا لا تستفيد أنت من كلّ هذا الذهب فيصبح ثروتك الشخصية فبدأت تصرف منه على مشاريعك و عائلتك بما أن لا أحد سيطالبك به بعد أن قضي على المجموعة أليس كذلك؟

يتمايل سي الفاضل من فوق الكرسي و قد أغمض عينيه فيلحقه المُحامي و يمسك به قبل أن يهوي على الأرض. لقد أغمى عليه من شدة الصدمة و التأثير. يطلب المُحامي إحضار الإسعاف فمؤكّله يشكو من حالة إغماء و ربما تكون خطيرة. يرفع المحقق سماعة الهاتف و يطلب إحضار طبيب مسعف فوراً للمكتب.

يمدّد المُحامي سي الفاضل على أريكة طويلة في المكتب و يفتح أزرار القميص العليا و يفك الحزام. يحاول المُحامي إفاقته و ينجح في ذلك بعد جهد كبير. يفتح سي الفاضل عينيه و لا يتعرف على المكان الذي هو به إلا بعد لحظات طويلة.

يطلب المُحامي من المحقق تأجيل التحقيق بسبب حالة مؤكّله الصحية فيستجيب المحقق لذلك على أن يتم استئناف التحقيق غدا صباحاً.

✚ نفس اليوم- الواحدة ظهراً - مطبخ بيت سي الفاضل

صحب أحمد والدته إلى البيت حيث حاولا تناول الغداء و لكن لم يقدر أحد على إدخال لقمة واحدة إلى فمه وسط صمت مطبق إلا من تنهدات صَفِيّة و هذيانها المستمر. كان الصمت ثقيلاً و كان الكلام أثقل.

كان أحمد يسترجع شريط الأحداث و كلام المُحامي و كلما فكر أكثر في الموضوع زادت شكوكه و فقد يقينه ببراءة أبيه.

- **صَفِيّة:** هل يمكن أن تأخذ الشرطه رجلاً فاضلاً من بيته، هكذا فجأة و بدون جُرم؟
- **أحمد:** يقول المُحامي أن هناك أدلة دامغة تُورط أبي في موضوع العملية الإرهابية في عَيْن دَرَاهِم.
- **صَفِيّة:** هل تُصدّق أنت هذه الخرافات. ألم تكن مع بعضنا البعض؟ ألم نذهب هناك لتبرير ظهور المال و كأننا سافرنا إلى أمريكا؟
- **أحمد:** هذا صحيح و لكن من جهة أخرى بماذا تفسرين اختيار أبي لذلك التوقيت بالضبط و استنجاؤه لذلك البيت القريب من بيت الإرهابيين؟ هذه المصادفة تثير شكوك الشرطه.
- **صَفِيّة:** إنها مصادفة، مجرد مصادفة. ألا يمكن أن يحصل ذلك؟
- **أحمد:** من الممكن حصول ذلك و لكن كيف ستقتنع الشرطه بها. رجال الشرطه شكاكون جداً و مسألة مثل هذه لن يفوتوها أبداً.
- **صَفِيّة:** اتصل بالمُحامي لنعرف تفاصيل أكثر عن الموضوع.
- **أحمد:** لقد طلب مني أن أنتظر اتصاله.
- **صَفِيّة:** و هل سنبقى هكذا على الجمر حتّى يتصل بنا هو؟ اتصل به و اعرف منه آخر التطورات.

يحاول أحمَد الاتصال بالمُحامي إرضاءً لأمه و بدون اقتناع.

- أحمَد: إنَّ جواله مقفل حالياً. أعتقد أنَّه يحضر التحقيق
- صَفِيَّة: حاول الاتصال به مجدداً بعد قليل.

يقطع صوت طرق الباب بقوة و بسرعة حديث صَفِيَّة مع ابنها فترتعب صَفِيَّة و تُسقط كوب الماء من يدها فأعصابها لم تعد تتحمل مفاجآت أخرى. لم يتوقف طرق الباب و كاد أن يُخلع من مكانه تماماً كقلب أحمَد. توجه أحمَد إلى الباب و سأل من الطارق فجاءه الصوت قويا غليظا

- الطارق: الشرطَة افتح الباب فوراً

زاد التوتر أحمَد و تسارعت دقات قلبه. نظر إلى أمه فوجدها أسوأ حال منه. فتح الباب فاندفع خمسة من رجال الشرطَة إلى داخل البيت و انتشروا بسرعة في الصالون.

- أحمَد: خيرا إن شاء الله؟ ما الموضوع؟ ماذا تريدون؟
- الشرطي المسؤول: لدينا إذن بتفتيش المنزل. (مخاطبا زملائه) هيا توزعوا و فتشوا المنزل بكل دقة
- أحمَد: هل لي أن أرى إذن التفتيش؟

يسحب الشرطي المسؤول ورقة من جيب قميصه و يريها إلى أحمَد الذي اطلع عليها في شبه استسلام. اقترب من أمه و طوقها بذراعه في محاولة منه لحمايتها و تخفيف التوتر عنها بينما تسارعت حركة رجال الشرطَة الذين جابوا أطراف البيت يقلبون عاليه سافله فلم تسلم خزانة ملابس و لا مكتبة و لا حتَّى المطبخ من التفتيش الدقيق. لقد فتحو المخدات و قلبوا المرتبات أخرجوا جميع الأدراج فرموا ببعضها على الأرض. أخذوا حاسوب أحمَد و جمعوا أوراق سي الفاضل الشخصية و حملوا معهم بعض الكتب. أحضر أحد رجال الشرطَة كرتونا كبيرا من السيَّارة وضعوا فيه "غنائمهم". ثم تجمعوا في الصالون من جديد.

- الشرطي المسؤول: هل فتشتم كلَّ مكان بعناية و دقة؟

أجاب الجَميع بالإيجاب و أنهم لم يجدوا ما يبحثون عنه تحديداً. طلب منهم أن ينصرفوا بسرعة. غادر الجَميع البيت دون حتَّى أن يودعوا أهله تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه. كان بعض الجيران قد تجمعوا أمام بيت سي الفاضل و حول سيَّارة الشرطَة يحاولون معرفة ما يجري محتفظين في الوقت نفسه بمسافة أمان تقيهم الاحتكاك مع الشرطَة و ربما المسائلة. و بمجرد انصراف سيَّارة الشرطَة حتَّى عمد البعض من الجيران و خاصة المقربين منهم كسي عَالة و زوجته بأن يدخلوا إلى البيت ليستفسروا و لكن أحمَد في حركة شبه عصبية أطبق الباب بقوة قاطعا الطريق أمام فضولهم. وقف الجيران أمام باب البيت في حالة من الحيرة و حب الاستطلاع فتبادلوا نظرات الاستغراب في البداية ثم سرَّعانَ ما تحولت إلى تساؤلات لتصبح تكهنات و يرقى البعض منها إلى مستوى اليقين فبدأ كلَّ واحد يشرح نظريته و تصوره للموضوع. اختلفت الآراء و لكن الأكيد و المتفق عليه أنَّ هذا الموضوع سيُشغل الحي بأسره لفترة طويلة و أنَّه سيكون خامة ممتازة تُصنع منها الإشاعات و الأقاويل.

كانت أصوات الجيران في الخارج تصل إلى أحمَد فتتزل كالقنابل على مسامعه و تزيد من شكوكه.

عاد أحمَد إلى الصالون و ارتدى على مقعد قبالة أمه الَّتِي كانت تضرب على رأسها و هي الَّتِي تعرف خير المعرفة طبيعة الجيران و ألسنتهم الحداد.

كان حال البيت يرثى له فهو في حالة فوضى تامة. تنتشر على أرضه الملابس و قطع الأثاث و كأن قنبلة ضخمة انفجرت فيه فقضت على ما تبقى فيه من نظام.

غرق كُلٌّ من أحمَد و أمه في أفكارهما. لقد أصبح أحمَد لا يستبعد قطعياً فرضية تورط أبيه فعلاً في العملية و استرجع شريط الأحداث ليبحث فيه عن البراهين التي تؤكد هذه الفرضية. لقد تذكر أحمَد حوارهِ مع أبيه عند وقوع الاشتباك المسلح و كيف كان سي الفاضل يحلل المعركة بكل دقة و كأنه خبير عسكري مخضرم و يتوقع ما سيجري فيصدق توقعه. أليس اهتمام سي الفاضل هذا بالأمر العسكري دليل آخر على تورطه؟ أين تعلم كُلُّ هذه المعلومات لو لم يتلق تدريباً دقيقاً على أيدي خبراء متمرسين؟ هل كُلُّ الذين أدوا خدمتهم العسكرية في الجيَّش الوطني يتمتعون بهذه الخبرة الكبيرة بحيث يستطيعون أن يميزوا نوع السلاح المستخدم فقط عند سماعهم لدوي طلقاته؟

و لكن لو كان سي الفاضل متورطاً فمن الأكيد أنه كان يلتقي بالمجموعة سرا في حين أنه كان يلزم أسرته في معظم الأوقات. توقف أحمَد مذهولاً عند كلمة "معظم الأوقات" أي أنّ سي الفاضل كان يخرج من البيت بمفرده في بعض الأحيان و يغيب لفترات لم يكن يعلم أحد بمكان وجوده. تذكر أحمَد أنه أفاق في أحد الأيام مبكراً من النوم ليشرّب فلمح سي الفاضل يغادر البيت بهدوء و من دون أن يحدث أية ضجة و كأنه كان يتسلل إلى الخارج. هل يعقل أنه كان يخرج خلسة ليقابل المجموعة عندما يكون أحمَد و صَفِيَّة نائمين؟

لقد ضبطه في إحدى المرات عائداً إلى البيت في الصباح الباكر و عندما سأله عن سبب خروجه أجابه باقتضاب بأنه كان يصلي الفجر في المسجد القريب. هل من الممكن أن تكون صلاة الفجر هي الموعد اليومي للاجتماع بالإرهابيين؟ و لم لا فذلك هو الوقت الأنسب للحركة قليلة و الأذان و الأعين لا تزال في سبات عميق.

كلما فكر أحمَد أكثر في الموضوع كلما زاد تصديقه لفرضية تورط والده و لكن قلبه كان رافضاً هذه الفكرة، محاولاً طردها. شعر أحمَد بأن له عقلاً منفصلاً داخل رأسه يدافع كُلُّ واحد منهما على نظرية معاكسة. تمنى لو أن أحداً يساعده على إيقاف هذا الصراع الداخلي ليؤكد له إحدى الفرضيتين أو ينفي الأخرى. و لكن من ذا الذي يمكنه ذلك؟... باستثناء عبد الله. نعم أنه عبد الله الوحيد الذي يمكن أن يحضر له المعلومات. سارع أحمَد بالدخول إلى غرفته على أمل أن يحضر عبد الله فيريحه بالعلم اليقين من حيرة الشك.

أقفل أحمَد الباب على نفسه و التفت إلى المقعد الذي يجلس عليه عبد الله عادة عندما يحضر. كان المقعد فارغاً فبدأ أحمَد يتكلم و يطلب حضور الجنى. لم يطل نداءه إذ ظهر عبد الله فجأة على المقعد المعتاد.

- **عبد الله:** نعم أنا حضرت و لا داعي لأن تنادي بصوت عالي فأنا على مقربة منك
- **أحمَد:** هل علمت بما جرى لأبي؟
- **عبد الله:** (و قد بدا التأثر واضحاً عليه) نعم للأسف لقد تابعت الموضوع. لقد أخبرني أحد أقراني بأنه لمح الشرطية تلقي القبض على والدك فحضرت فوراً و تابعت الموضوع. لقد كنت معكم في مركز الشرطية عندما سلّمت أباك السجائر و رافقته إلى إدارة أمن الدولة و حضرت معه التحقيق الذي انتهى للتو.
- **أحمَد:** ما هي الحكاية أخبرني بسرعة أرجوك و لا تطل علي
- **عبد الله:** الموضوع شائك فحسبما سمعت و فهمت من كلام المحقق أنّ تهمة تورط والدك مع المجموعة الإرهابية تدعمها أدلة كبيرة كتواجهه على مقربة من مقر الإرهابيين و في نفس الوقت كما أنّ ظهور الثروة المفاجئ دعم هذه الشكوك. إنهم يتهمونه بأنه استلم أموالاً من الإرهابيين لشراء أسلحة و ذخائر لهم و تسهيل تنفيذ العمليات و أيضاً لشراء ذمم بعض موظفي الدولة. لم يستطع والدك تفسير مصدر الأموال و لا سبب تواجده في منطقة العملية.
- **أحمَد:** و هل أبي فعلاً متورط في الموضوع؟
- **عبد الله:** و كيف لي أن أعلم؟ أنا أحكم فقط على ما أراه و أسمع و لا أطلع على القلوب. الواضح أنّ الأدلة ضده و أنّ الشرطية متأكدة من اتهامها له و الأدلة قوية و مباشرة.
- **أحمَد:** و لكنك تعرف أبي.

- عبد الله: نعم عرفته لفترة وجيزة و لكن الحياة علمتني بأن أتوقع حدوث أي شيء و لا أستغرب أو أستبعد أي شيء.
- أحمد: ماذا تقصد؟ هل تشك أنت أيضا في والدي؟
- عبد الله: أنا لا أقدر أن أجزم بذلك و لكن دع التحقيق يأخذ مجراه و ستظهر الأيام القليلة القادمة الحقيقة.
- أحمد: و كيف حاله الآن؟
- عبد الله: لا أخفي عليك أن حالته سيئة فلقد أساؤوا معاملته و هو الآن شبه منهار و غير مُصنَّق لما يجري له. لقد هوت به الظروف بسرعة كبيرة و وجد نفسه في ظرف ساعات قليلة قابعا في زنزانة إدارة أمن الدولة و يحتاج لمعجزة إلهية ليخرج منها.
- أحمد: أ لهذا الحد وضعه سيء؟
- عبد الله: أنا لا أريد أن أخيفك و لكن هذه هي الحقيقة. أنا أعلم أيضا أن سي الفاضل سيتمالك نفسه بعد وقت قصير يستوعب فيه الصدمة و يفهم ما يجري له.
- أحمد: و ماذا سنفعل الآن؟
- عبد الله: يجب الاجتماع بالمُحامي و دراسة ملف القضية و التحرك بناءً على ذلك
- أحمد: هل يمكن لك أن تساعدني؟
- عبد الله: أنا سوف لن أدخر جهدا في ذلك و لكن ليست لي الكثير من الأمور التي يمكن لي القيام بها سوى أن أحضر لك معلومات أزودك بها باستمرار.

يرن جرس جوال أحمد.

- عبد الله: هذا المُحامي يريد إخبارك بسير التحقيق. سوف أعود لك مرة أخرى بعد الاطمئنان على والدك. أريد فقط قبل أن أنصرف أن أعلمك بأن والدك بحاجة إلى الملابس و بعض أدوات النظافة. حاول أن تحضرها له اليوم. السلام.

ينصرف عبد الله مثلما حضر دون أن يريح أحمد.

اقتحمت صَفِيَّة غرفة ابنها عند سماع جرس جواله و قربت أذنها من سماعته عليها تلتقط بعض المعلومات. كان كلام المُحامي مطابقا لكلام عبد الله و طلب أحمد من المُحامي أن يلتقي به ليتدارسا أكثر الموضوع فرحب به في مكتبه.

انتهت المكالمة و شرح أحمد لأمه آخر التطورات فلم يزلها ذلك سوى أسي. أعلم أحمد أمه أيضا بضرورة تجهيز حقيبة الملابس و مستلزمات النظافة و كذلك بعض الأكل حتى يوصلها لأبيه في العصر.

قامت صَفِيَّة بسرعة و نشاط تُعد المطلوب. كان ذلك الشيء الوحيد القادرة على فعله من أجل زوجها فوجدت فيه فرصة للتنفيس عن توترها و تجاوز عجزها تجاه ما يحصل.

الأربعاء 3 جوان – ثاني أيام التحقيق – إدارة أمن الدولة

يُدخل الحارس سي الفاضل إلى مكتب التحقيق و قد بدا عليه الإنهاك و قلة النوم. كيف لا و قد قضى ليلة كاملة على كرسي و لم يُسمح له بالنوم و هذه تقنية يستعملها المحققون للضغط على المتهم بحرمانه من النوم. لقد قضى الليلة في زنزانة قريبة من مكتب التحقيق لا تتسع لأكثر من شخصين و لا يوجد بها سوى كرسي واحد و نافذة ضئيلة.

يجد سي الفاضل مُحَمَّد علي جالسا على مكتبه و كأنه لم يتحرك منذ البارحة و على يمينه كاتبه. يأمر المحقق سي الفاضل بالجلوس.

- **مُحَمَّد علي:** أرى أنك صرت بحال أفضل اليوم. و أرجو أنك قد فكرت جيدا البارحة في العرض الذي قدمته لك. سأذكرك به فالذكرى تنفع المؤمنين. يكفي أن تتعاون معنا و ندلنا على بقية أفراد الشبكة الإرهابية و كل المتعاونين معها و أن تمدنا بكل المعلومات الخاصة بالعمليات التي تنوي الشبكة تنفيذها في بلادنا أو حتى خارج البلاد و في مقابل ذلك سنمنحك صفة الشاهد الملك و ستخرج من هنا إلى بيتك بدون أي أذى بل و سنقوم بحمايتك إن تعرضت للخطر أيضا. إيه... ما هو رأيك؟ أليس العرض بسخي؟ هيا! هذا الأمر لا يحتاج لتفكير طويل. أنظر إلى نفسك أنت كهل في الخمسينات. هل يتحمل عظمك المعاناة و التعب و البهلة؟ ألا تريد أن تكمل بقية حياتك في هدوء و سكينة بجانب زوجتك و ابنك؟ أم تريد أن تقضيها بين أربعة جدران تنضح الرطوبة، محروما حتى من أشعة الشمس؟
- **سي الفاضل:** أنا مستعد للتعاون معكم في أي شيء تطلبونه مني فأنا وطني جدا و أحب انتمائي لهذا الوطن و لكنني لست على أية علاقة بالإرهابيين لا من بعيد و لا من قريب فلماذا لا تريدون أن تصدقوني؟ هذه هي الحقيقة المجردة و البسيطة.
- **مُحَمَّد علي:** (ممتعضا و هو ينفخ بشدة) أووف! ها قد عدنا للإنكار الذي لا يسمن و لا يغني من جوع. أنا أكلّمك عن حريتك و سنوات السجن الطويلة و أقدم لك عرضا سخيا كريما و أنت تماطلني و تريد أن تقنعني بوطنيتك الزائفة. كيف يمكن لك أن تكون وطنيا أو تملك ذرة من الوطنية و أنت تساعد إرهابيين همهم الوحيد زعزعة استقرار البلاد و ضرب مصالحها الاقتصادية و قتل الأبرياء. هل بتفجير سيارات أو طائرات أو فنادق و ترويع السّياح و تخريب الاقتصاد تخدمون بلادكم؟
- **سي الفاضل:** أرفض أن أتهم بالخيانة فأنا لست متورطا في تخريب البلاد و لم أفكر أبدا في هذا. أنا ضد كل الإرهاب و ضد العنف من جميع الأطراف سواء عنف الإرهابيين أو عنف الدولة.
- **مُحَمَّد علي:** أهلا و سهلا!... جيد جدا ها أنت بدأت الآن تبوح لنا بفلسفتك و آراءك في الموضوع. إذن أنت ترفض عنف الدولة؟ هل هذا يعني أنك لست متفقا مع سياسة الدولة في مكافحة الإرهاب؟ و ماذا فعلت الدولة سوى أنها تحاول جهدا أن تحمي المواطنين الشرفاء؟ أليس هذا من حقها؟ هل إيقاف الإرهابيين و مطاردتهم يساوي العنف غير المقبول عند جنابكم المحترم. أنت إذن معارض لسياسة الدولة و لهذا السبب تحاول دعم هذه المجموعات على أمل أن تقلب نظام الحكم أليس كذلك؟
- **سي الفاضل:** لا لم أقصد ذلك أبدا و لا أريد من الإرهابيين أن يصلوا يوما للحكم فحكمهم سيكون أنعس و أمر.
- **مُحَمَّد علي:** ها ها!... و هذا اعتراف ضمني آخر بأن حكم الدولة الحالي تعيس و مر على حد قولك.
- **سي الفاضل:** أنت تريد أن توقنني في الكلام و لا تبحث عن الحقيقة.
- **مُحَمَّد علي:** الحقيقة أمامي في هذا الملف و قد اكتملت الصورة بالنسبة لي. لقد كنت و لسنوات طويلة عضوا ساكنا في التنظيم الإرهابي و كنت نادرا جدا ما تتحرك. لقد دلت التحريات الموسعة التي أجريناها بشأنك بأنك و منذ خمس سنوات كنت مشتبها به بسرقة و إخفاء أدلة جنائية من أرشيف المحكمة التي كنت تعمل بها. أذكرك بأن هذه الأدلة المهمة كانت ستدين أحد المتهمين في قضية تفجير أحد الفنادق في منطقة الساحل، بالإعدام بما أنه ذهب ضحية التفجير أكثر من عشرة أشخاص بينهم ثلاثة سياح أوروبيين و البقية من المواطنين الأبرياء. لقد قمت بإخفاء هذه الأدلة و بالتالي نفذ المجرم بدون عقاب.
- **سي الفاضل:** (مندهشا و مذهولا) هذه حكاية قديمة و قد حُفظ التحقيق فيها و أثبتت براءتي من التهمة.

- **مُحَمَّدَ عَلِي:** (نافيا بحركة من سبابته) لا ... لا! ... لم تثبت براءتك كما لم تثبت إدانتك أيضا. لقد حُفِظَ التحقيق و قُيِّدَت الجريمة ضد مجهول و ذلك لعدم كفاية الأدلة و هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنك بريء، بل هذا يعني أن الشكوك تبقى تحوم حول كَلِّ المشتبه بهم حتَّى يتوصل التحقيق للجنة الحقيقين. اليَوْمَ و بفضل الله انكشفت الحقيقة و تبين لنا من هو الجاني في إخفاء تلك الأدلة. أنت الذي أخفيت هذه الأدلة بسبب تعاطفك مع الإرهابيين و بما أنَّ سبيلك كان نظيفا و لم يُمسك صدك أي دليل فقد نَفَذْتَ منها في المرة السابقة و لكنني سأطلب إعادة فتح التحقيق في هذه القضية من جديد بسبب ظهور معلومات و أدلة جديدة.
- **سي الفاضل:** (ممسكا برأسه) يا الله... المصائب لا تأتي فرادى.
- **مُحَمَّدَ عَلِي:** ما رأيك بهذه؟ ... لم تكن في حساباتك؟ أليس كذلك؟... نحن نعلم كَلَّ شيء و لا يفوتنا أي شيء.
- **سي الفاضل:** كَلَّ ما تقوله ترهات و مجرد فرضيات و تهيآت لا أساس لها من الصحة.
- **مُحَمَّدَ عَلِي:** سنرجى التحقيق في قضية إخفاء الأدلة من المَحْكَمَةِ إلى وقت لاحق و لكن بقي سؤال يحيرني لم أجد له تفسيراً مقنعا إلى حد الآن. لماذا استقلت من المَحْكَمَةِ؟ ألم يكن من الأفضل بالنسبة لك و للتنظيم الإرهابي أن تحافظ على وظيفتك في المَحْكَمَةِ لتساعد زملائك من جديد متى اقتضت الحاجة إلى ذلك؟ أم ربما لأن مسؤولياتك "الجهادية" كبرت بشكل كبير و لم تعد تسمح لك بممارسة أي عمل ثاني؟
- **سي الفاضل:** لقد تركت العمل في المَحْكَمَةِ لأنني أريد أن أتفرغ لأعمالي التجارية و هذا كَلَّ ما في الأمر.
- **مُحَمَّدَ عَلِي:** (مبتسما) أعمالك التجارية التي يمولها إرث عمك أليس كذلك؟

ينفجر مُحَمَّدَ عَلِي بالضحك العالي و القهقهة حتَّى أن أزمة سعال اشتدت عليه و لازمته لبرهة من الزمن.

- **مُحَمَّدَ عَلِي:** يا أخي أنت ظريف جدا و التحقيق معك لا يخلو من المتعة. أنا لم أقابل قط إرهابيا بخفة دمك. هل تعتقد أننا سُدَّجْ لهذه الدرجة حتَّى نقتنع بحكاية إرث عمك؟ أنت مخطئ على طول الخط يا عزيزي. بالمناسبة! أنت لم تخبرني إلى حد الآن بكمية الذهب التي حصلت عليها من المجموعة. لقد فتشنا بيتك بالأمس و لم نعثر على الذهب. هل بعته بالكامل أم أنك تخفيه في مكان سري يا لنيم (ملاطفا)؟ قل لي أين أخفيت الذهب؟
- **سي الفاضل:** لست باللنيم و أرفض أن تتعنتي باللنيم.

تتغير أسارير المحقق. يسترخي على كرسيه و كَأَنَّهُ سيخاطب سي الفاضل بلهجة الصديق الناصح.

- **مُحَمَّدَ عَلِي:** أظن أنه ليست لديك أدنى فكرة عن المكان الذي أنت فيه و لا عن حجم الجريمة التي أنت مورط فيها. إنك إلى حد هذه اللحظة محظوظ لأنني أنا الذي يقوم بالتحقيق معك. هل تعرف ما هو اللقب الذي يطلقونه عليَّ زملائي في هذه الإدارة؟ تخيل ما هو اللقب؟ ... إنهم يطلقون عليَّ لقب "طبيب القلب" على قول الأغنية "يا طبيب القلب وينك؟". هل تعرف لماذا؟ لأنني أستعمل اللين و الرحمة مع المتهمين و لا ألجأ أبدا للعنف. أنا في هذه الإدارة الاستثناء الوحيد. أنا هنا، بريق الأمل و رائحة الإنسانية التي تنعم أنت بها إلى حد هذه اللحظة و لكن إن أمعنت في الماطلة و الإنكار فإنَّ أحد زملائي يتحرق شوقا لتسلم ملف قضيتك.

يقرب مُحَمَّدَ عَلِي رأسه من سي الفاضل و كَأَنَّهُ سيسر له بأمر.

- **مُحَمَّدَ عَلِي:** هل تعلم من هو الزميل الذي يتشوق لتسلمك مني؟ إنه العقيد "السَّوَّاط". (مخاطبا كاتبه) أخبره أنت عن العقيد السَّوَّاط

يلوح الكاتب برأسه و يبتسم ابتسامة لئيمة و كأنّه يتأسف مسبقا على مصير سي الفاضل بين يدي العقيد السَّوَّاط. يرتعد سي الفاضل عند سماع هذا الكلام و يشعر ببرد يسري في ظهره. هل سيلقى من العذاب أكثر مما تجرعه إلى حد الآن؟ هل سيتعرض لإهانات و سوء معاملة لا يقدر على تحملها؟

- **مُحَمَّد عَلِي:** سوف لن نُضيع الوقت إمّا أن تتعاون معي الآن و إمّا أن أسلم الملف للعقيد السَّوَّاط و ليتصرف هو معك بأساليبه الخاصة. بالمناسبة هل تعلم لماذا سمي السَّوَّاط؟ لأنه يعشق استخدام السوط و هو بارع فيه إلى درجة أنّه يقدر أن يقسم ذبابة إلى نصفين و هي طائفة بضربة سوط واحدة كما يُشاع عنه. إنّه بارع جدا في إصابة الأهداف الحساسة من الجسم بطرف سوطه و إحداث قدر كبير من الألم دون أن يتلف العضو بسرعة و هذا ما يعني أنّه يقدر أن يمارس هوايته لفترات طويلة و هذا ما يعني بالطبع ألما أكثر و أطول.
- **سي الفاضل:** (و قد بدأ يفقد أعصابه) ليس عندي ما أقوله لكم أكثر مما قلت حتّى و لو سلختموني. هل يجب أن أختلق لكم القصص حتّى تصدقوني؟ ماذا تريدون مني إذا أردتم قتلي فاقتلوني الآن و أنهوا عني هذه المعاناة.
- **مُحَمَّد عَلِي:** هل مازلت مصرا على أقوالك؟
- **سي الفاضل:** أنتم تخطئون خطأ كبيرا. يجب أن تبحثوا عن التنظيم الإرهابي في مكان آخر. أنتم تضيعون الوقت معي في حين أنّ المتورطين الحقيقيين يوجدون في الخارج و ربما يخططون لأعمال أخرى. إنكم تمسكون بالخيوط الخاطئة.
- **مُحَمَّد عَلِي:** يجب أن تفهم شيئا و هو أنني أنهيت التحقيق معك من دون فائدة ترجى و أنّ يوم الغد هو موعد بداية التحقيق مع العقيد السَّوَّاط في دهليز هذا المبنى. إذا أردت تغيير أقوالك فأخر فرصة لك هي اليوم. اطلب من الحارس مقابلتي و سأقابلك على الفور. أما إذا سلمتك للعقيد السَّوَّاط فلا أمل لك في الاتصال بي و كلّ المعلومات التي نريدها سينتزعها السَّوَّاط منك انتزاعا و رغما عن أنفك.

يقفل المحقق محضر التحقيق و يأمر بأن يُرجع المتهم لزنزانتة. لقد شعر سي الفاضل بأنّه يغرق في بحر الظلمات و ليس لديه من منقذ أو مجيب سوى الله سبحانه و تعالى هو الذي يقدر أن يرفع عنه الظلم و يرحمه من العذاب و الإهانة التي تنتظره.

قبل أن يخرج سي الفاضل من المكتب دخل الطاهر المُحامي و استأذن المحقق في الانفراد بمؤكّله فسمح له بذلك.

شرح سي الفاضل ما دار بينه و بين المحقق و كاد أن ينهار عِندَما أبلغه بسيرة المحقق الجديد الذي سيمسك بالقضية و الرعب بادٍ على وجهه.

- **سي الفاضل:** أرجوك يا الطاهر أخرجني من هنا فأنا لا أحتمل البهيلة.
- **المُحامي:** لا تقلق يا سي الفاضل. لقد درست القضية جيدا و يجب أن نعمل على أكثر من صعيد. أول شيء يجب أن نثبت بأن تواجدك زمن و مكان العملية كان مجرد صدفة و قد اتصلنا بالعربي السَّمْسَار طالبين شهادته على أنّه هو الذي اقترح عليك ذلك المنزل دون غيره لأنه قريب من محل سكنه و بأنك لم تكن أنت الذي حددت هذا المنزل بالذات و بالتالي ستضعف فرضية التخطيط و تقوى فرضية الصدفة.
- **سي الفاضل:** هذا جيد. و هل وافق سي العربي؟
- **المُحامي:** لم يكن الأمر سهلا و قد تطلب الأمر من أحمد بأن سافر بالأمس لعين دراهم لإقناعه و تسليمه مبلغا هاما من المال.
- **سي الفاضل:** يا لطيف! هل هو سمسار في كلّ شيء؟ و ما هو الشيء الثاني؟

- **المُحَامِي:** لقد أخبرني أحمَد بقصة الكُزّ المدفون في الجدار و بأسباب تكتّمك عن مصدره. أنا لم أفهم لماذا أخفيت عني قصة هذا الكُزّ منذ البداية؟ ليس لك سوى أن تعترف بقصة الكُزّ الحقيقية و لا تخشى المسائلة القانونية فهذا الكُزّ هو ملكك أنت بما أنّك الوريث الوحيد لجدك و كلّ الجرم الذي ارتكبته هو أنك لم تقم بإعلام الورثة وفق الإجراءات القانونية و هذه أمرها هيّن.
- **سي الفاضل:** كيف سيفتنع المحققون بذلك؟
- **المُحَامِي:** سيأتي أحمَد و السيدة صَفِيّة للشهادة و سيُحضرون بقية الكُزّ مع الصندوق الذي كان فيه و الكتب المصاحبة له و سنطلب من المحققين السماح لنا بالاستعانة بخبير في الآثار حتّى يؤكد لنا عمر هذا الكُزّ و لقد اتصلت بصديق لي في معهد الآثار و شرحت له ملابسات القضية فرحب بالفكرة و أعرب عن استعداده للتعاون شريطة أن يحصل على أحد المخطوطات.
- **سي الفاضل:** إنّه لا يقلّ سمسة عن سي العربي.
- **المُحَامِي:** و ماذا ستفعل أنت بالمخطوط لو قبعت في السجن بقية عمرك و بماذا سيفيدك؟
- **سي الفاضل:** صدقت. حلال عليه المخطوط إذا كان ذلك سيخرجني من هنا. و ما هو الأمر الثالث؟
- **المُحَامِي:** يجب أن نطلب من المحققين أن يسألوا المتهمين الخمسة إذا ما كانوا يعرفونك أو شاهدوك من قبل.
- **سي الفاضل:** أيّ متهمين؟
- **المُحَامِي:** عناصر المجموعة الذين تم القبض عليهم على الحدود الغربية للبلاد.
- **سي الفاضل:** و هل سينفع ذلك؟
- **المُحَامِي:** على كلّ فهي قرينة يمكن التشبث بها للتدليل على براءتك.

يستعيد سي الفاضل البعض من الأمل و يشعر بأنّ طوق النجاة ألقى إليه.

- **سي الفاضل:** و ماذا سنفعل الآن؟
- **المُحَامِي:** سنطلب من المحقق بأن يفتح المحضر من جديد و ستدلي بأقوالك الجديدة و نستمتع لإفادة الشهود و هم كلهم بالخارج ينتظرون. لقد قام أحمَد بعمل كبير و تقريبا لم يبق البارحة سوى ساعة أو ساعتين. لقد سافر إلى عَيْن دَرَاهِم و لم يرجع إلا و سي العربي معه و قابل خبير الآثار معي و أحضر له المخطوطات و الصندوق. إنّه حقيقة ابن يُعتمد عليه. هنيئا لك به.

تفيض عيون سي الفاضل من الدموع و هو يعلم بأنّ ابنه أحمَد أصبح رجلا يعتمد عليه و قد اشتد عوده و هو الآن يحاول إخراجه من الورطة الكبيرة التي وقع بها.

يخرج المُحَامِي و يطلب من الحارس استدعاء المحقق مُحَمّد عليّ للإدلاء بتصريحات جديدة.

يبدأ ماراتون التحقيقات من جديد بعد ظهور المعلومات الجديدة. يستمع مُحَمّد عليّ لسي الفاضل و محاميه في البداية ثم يستدعي سي العربي ثم صَفِيّة ثم أحمَد ثم خبير الآثار. لم يكن مُحَمّد عليّ مقتنعا في البداية بإفادة سي الفاضل بل كان يعتقد أنها مجرد مناورة قانونية ابتكرها المُحَامِي لتبرئة مُوَكَّلِه و لكنه مع التقدم في التحقيقات بدأ يرجح كفة مصداقية هذه الرواية.

استمع المحقق لإفادات الشهود و دونها و قارنها فيما بينها و لم يجد تعارضا أو تناقضا. استعمل الحيلة محاولا إرباك الشهود و إيهامهم أن البقية أدلوا بأقوال مغايرة على أمل أن يتراجعوا أو يكذبوا و لكنه لم ينجح في ذلك فأصبح يميل أكثر لتصديق شهاداتهم. لقد استغرق التحقيق يوما كاملا و قد طلب في نهاية اليوم أن يتم استدعاء المتهمين الخمسة في الغد، عناصر المجموعة للتحقيق معهم حول ما إذا كانوا يعرفون سي الفاضل أم لا كما طلب استدعاء أحد خبراء الآثار المحلفين لدى المَحْكَمَة ليعاين الكُزّ و الصندوق و

المصاغ و المخطوطات و يبدي رأيه فيها. في النهاية أمر المحقق باستمرار حبس سي الفاضل إلى غاية استكمال التحقيق رغم طلب المُحامي بالإفراج عن مُوكله.

على الرغم من التَّعب و التوتر و قلة النوم شعر الجميع براحة نفسية كبيرة. ها قد رجحت الكفة من جديد لصالح سي الفاضل و اقتربت سفينته من برِّ النَّجاة بعد أن كان الجميع يعتقد أنها مفقودة لا محالة.

تعثَّى أحمَد و أمه صَفِيَّة تلك الليلة بشهية و نهم و قد بدأت الروح تعود إليهم من جديد. كما أنَّ سي الفاضل أكل بشكل جيد و مسح الأطباق التي كانت صَفِيَّة أعدتها له و أحضرتها معها عند الإدلاء بشهادتها. لقد قضى سي الفاضل ليلته يراقب السماء المقمرة من نافذة زنزانته الصغيرة و كله أمل أن تكون تلك هي الليلة الأخيرة فيها. و على الرغم من ضيق الزنزانة و رائحة الرطوبة الكريهة التي تملأها فقد كان يطيقها و يحتملها.

الخميس 4 جوان – ثالث أيام التحقيق – الثامنة صباحا - مكتب مُحَمَّد علي.

أدخل الحارس سي الفاضل إلى مكتب مُحَمَّد علي فوجد رجلا آخر جالسا وراء المكتب. كان جسمه يميل للضالة و بشرته شديدة البياض. برز عظم وجنتيه و فكاه و طرفي جبينه. كان يجلس باستقامة مثالية و كأنه خشبة مستقيمة و لا يكاد يتحرك. كانت عيناه تبدو من وراء نظارات سمكية مكبرة كبيرة جدا و سريعة الحركة. لم يرتح سي الفاضل لرؤية هذا الرجل الغريب بعد أن كان قد تعودَ على مُحَمَّد علي ما فيه من عيوب. بقي الرجل الغريب يتفحص سي الفاضل بشكل استغراقي و كأنه يخترقه بنظراته. أمره بصوت معدني أن يجلس على الأرض مشيرا للحارس بإخراج الكرسي. جلس سي الفاضل على الأرض و هو يوجس خيفة من هذا الرجل المريب. ترى من عساه يكون؟

● **المحقق الجديد:** لم يستطع المحقق مُحَمَّد علي من التوصل معك لنتيجة و أنا أعرف السبب. لأن أسلوبه مع الحشرات أمثالك ناعم و لا ينفع أبدا. فالعقارب يجب أن تداس بالحذاء و أن تسحق و إلا لدغت من حولها. أنا سأدوس عليك بما هو أحقر من نعل الحذاء. سأفركم فرما و سأعصرِك حتَّى تخبرني بكل ما أريد معرفته. لقد عرض عليك زميلي عرض الشاهد الملك و هذا العرض رفضته و انتهى أمره. أنا سأعرض عليك عرضا ثانيا و هو أن تبقى أعضاء جسمك سليمة و تعمل بشكل عادي في مقابل أن تدلي لنا بكافة المعلومات. لو رفضت سأدمر هذه الأعضاء واحدة بعد الأخرى و سأكرر عليك العرض على ما تبقى منها سليمة إلى غاية أن أوقف قلبك في الأخير في صورة ما رفضت التعاون معنا كليا. بماذا تريد أن نبدأ؟ لماذا لا نبدأ بأصابع اليد و لنبدأ بكسرهما و تهشيم عظامها الواحدة تلو الأخرى و هو ما أسميه بلعبة البيانو؟

أخرج المحقق الجديد مطرقة حديدية من الدرج و وضعها على المكتب. انتفض سي الفاضل عند سماعه لهذه التهديدات و كاد أن يغمى عليه. إته لا يكاد يصدق ما يجري له. ألم يتقدَّم التحقيق بالأمس و رجحت كَفَّة براءته؟ لماذا عاد التحقيق إلى نقطة الصفر؟ هل هذا هو العقيد السَّوَّاط الذي توعد به مُحَمَّد علي؟ تدافعت الأسئلة في عقله و لكن الأكيد أنه كان مرعوبا و شعر و كأنه سقط في أعماق البئر من جديد بعد أن كان أوشك على الخروج منها. بقي المحقق الجديد ينظر إليه في عصبية و احتقار مداعبا مطرقة و ضاغطا على أضراره فكانت أشكالها ترتسم على خديه. لم يُجب سي الفاضل و بقي مذهولا بينما فُتح الباب و دخل المحقق مُحَمَّد علي مسرعا.

- مُحَمَّد علي: صباح الخير. آسف على التأخير أيها العقيد. لقد كانت حركة المرور خانقة هذا الصباح.
- السَّوَّاط: لا عليك لقد بدأت للتو التحقيق مع المتهم

- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** لقد حاولت أن أتصل بك بالأمس لأعلمك بأخر التطورات في التحقيق و أن أدلة و أمورا جديدة ظهرت و بالتالي سأواصل أنا التحقيق بنفسي و لكن لم أتمكن من ذلك فكانت كافة أرقامك لا ترد.
- **السَّوَّاطُ:** لقد غادرت المكتب مبكرا كما أن جوالي وقع على الأرض و لم أقدر أن أشغله من جديد. و لكن ما هي الأمور التي ظهرت و جعلتك تغير رأيك؟
- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** هذا الملف يحتوي على آخر التطورات و أعتقد أن المشتبه به بريء من التهم الموجهة إليه. سوف أستكمل التحقيقات اليوم و إذا ما ثبتت صحة المعلومات التي أدلى بها الشهود فسأكون مضطرا لإطلاق سراحه.

تنفّس سي الفاضل الصُعْدَاءَ عند سماعه لكلام مُحَمَّدٌ عَلِيٍّ و علم أنّه نجى من براثن السَّوَّاطِ و أنّه كتب له عمر جديد.

أمسك السَّوَّاطُ بملف التحقيق و بدأ يُقَلِّبُ في أوراقه بريبة و عصبية و كأنّه رافض أن يترك القضية. جلس السَّوَّاطُ على الأريكة يتصفّح الملف بينما طلب مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ من الحارس إحضار الكرسي و استدعاء المتهمين الخمسة الواحد تلو الآخر للإدلاء بشهاداتهم في حين بقي السَّوَّاطُ يراقب الأمر و كأنّه ينتظر فرصة ملائمة لينقضّ على سي الفاضل و يُرجع التحقيق لنقطة الصفر.

كلّما دَوَّنَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ إفادة أحد الشهود تأكدت براءة سي الفاضل أكثر فأكثر و كان ذلك يزيد من غيظ السَّوَّاطِ. العقيد السَّوَّاطُ هذا، ضابط شرطة ذو سلوك منحرف و شخصية مريضة، و قد تمّت إحالته على التقاعد المبكر منذ سنوات بسبب كثرة شكاوى المواطنين ضده و الذين تعرضوا للتعذيب و سوء المعاملة على يديه فأمر رؤساؤه بتقاعده المبكر بسبب هذه القسوة المفرطة و التجاوزات غير الإنسانية التي كان يمارسها و لكن بعد اشتداد موجة الإرهاب و تعاظم خطر المجموعات الإرهابية و تدويل أنشطتها استجذبت به إدارة الأمن مجددا للتحقيق مع إرهابيين متشددين و صعاب المراس فكانت هذه الفرصة التي حلم بها طيلة سنوات إبعاده ليعيد الاعتبار إلى نفسه و "يحقق ذاته" المريضة. و على الرغم من إنكار أكثر زملائه لأساليبه غير الإنسانية و المقرزة في أغلب الأحيان إلا أن النتائج التي حققها و خاصة المعلومات التي حصل عليها من المتهمين و التي مكّنت من تفكيك شبكات إرهابية خطيرة و إفشال عمليات تخريبية مدمرة للبلاد، جعلت الجميع يغضون الطرف، و لو على مضض، على تلك الأساليب حتّى أنّه حصل في بعض المرات على وسام تقديري من رؤسائه و هو ما أثار جنون كلّ من تعرض على يديه للتعذيب كما أثار ذلك حفيظة المنظمات الدولية الناشطة في حقوق الإنسان التي ما انفكت ترفع الدعاوى القضائية ضده في بعض الدول الأجنبية بتهمة التعذيب و الجرائم ضد الإنسانية و قد نجحت في استصدار مذكرة إيقاف دولية ضده لكن السَّوَّاطُ لا يابه لذلك فهو لا يفكر في مغادرة بلاده أبدا.

بعد أن يؤسّ السَّوَّاطُ من اصطيداد سي الفاضل و علم أنّ مُحَمَّدٌ عَلِيٍّ سيطلق سراحه لا محالة غادر المكتب مودعا المحقق و ارتاح سي الفاضل أكبر ارتياح لمغادرته.

مع استكمال الاستماع لإفادة الشهود التي صبّت في مصلحة سي الفاضل مبرّئة إياه قرر مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ إطلاق سراحه مع التنبيه عليه بعدم مغادرة المدينة إلى غاية أن يقفل التحقيق نهائيا معه. أقفل مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ المحضر و انصرف كاتبه ليتركه مع "متهمه البريء". استرخى على الكرسي و سحب سيجارة من علبته و قدم واحدة لسي الفاضل و قرّب عود الكبريت منه ليشعل سيجارته. لم يتعود سي الفاضل طيلة أيام التحقيق الثلاثة الماضية على هذه المعاملة فعلم أنّ الوضع تغيّر و بأنّه لم يعد مُتَّهما بل هو الآن مواطن شريف و يتعامل معه المحقق على هذا الأساس فشعر باسترجاع كرامته و احترامه من جديد بعد أن دأستها ساعات الإيقاف الطويلة و كادت "تهشمها" أساليب السَّوَّاطِ الهمجية.

- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** أرجو ألا تكون غاضبا منا
- **سي الفاضل:** (محركا رأسه بأسى و بإنكار) غاضبا؟... لقد أزعجتوني

- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** يجب أن تفهم أننا نقوم فقط بعملنا لحماية المجتمع و البلاد ككل
- **سي الفاضل:** و هل أنا أمثل خطرا على المجتمع؟
- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** نحن نتعامل مع الأدلة و التحريات التي أكدت تورطك
- **سي الفاضل:** و كم من شخص سيذهب ضحية هذه الشكوك و يذهب ضحية السَّوَّاط في انتظار أن تظهر براءته؟
- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** هذا ثمن علينا دفعه من أجل الحفاظ على أمن البلاد و العباد.
- **سي الفاضل:** لماذا لا تعيرون كرامة الفرد أي اهتمام كما يحصل في الدول المتقدمة؟
- **مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ:** و هل تعتقد أن الدول المتقدمة تغير كرامة الفرد اهتماما إذا ما هُذِّد أمنها؟ ألم تسمع بمعتقل غوانتانامو؟ ألم تسمع بسجن أبو غريب و ما قام به الأمريكان هُنَاكَ؟ هذه أمريكا أم الحرية و الديمقراطية تضرب عرض الحائط بكافة المعاهدات الدولية و القيم الإنسانية لَمَّا هاجمتها القاعدة و هددت مصالحها. ألم تسمع بما فعله الاستعمار الفرنسي في بلادنا و في الجزائر؟ هذه فرنسا بلد الأنوار و حقوق الإنسان. لا يجب أن تغتر لمعسول كلام الغرب. إنهم يفعلون سرا ما يرفضونه جهرا و يلوموه على الآخرين.

يهز سي الفاضل رأسه في شبه استسلام. ودَّع المحقق مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ سي الفاضل آملا أن يراه قريبا فأجاب سي الفاضل "الله لا يقدر ذلك! أنا لا أريد أن أراكم إطلاقا". ضحك المحقق و فهم قصده وقدر ألمه.

وجد سي الفاضل ابنه أحمَد و زوجته صَفِيَّة خارج مبنى إدارة أمن الدولة ينتظرانه في سَيَّارَة أحمَد الجديدة و بمجرد أن فُتِح الباب و طل سي الفاضل منه حتَّى انطلقا يعانقانه و يقبلانه بحرارة تاركين أبواب السَيَّارَة مفتوحة. كم اشتاق لحضن عائلته و كم كانت لحظات الالتقاء بهما دافئة و مطهرة للشوائب النفسية التي التصقت به طيلة إيقافه. بقي الجميع متسمرين في أماكنهم حتَّى طلب سي الفاضل منهما أن يبعدها و بسرعة عن هذا المبنى. ركب سي الفاضل بجانب ابنه بينما ركبت صَفِيَّة في الخلف. انطلق أحمَد بالسَيَّارَة الجديدة و كلما ابتعد مترا واحدا كلما زاد اطمئنان سي الفاضل و ارتياحه. نظر أحمَد في مرآة السَيَّارَة الداخلية فلمح عبد الله جالسا في المقعد الخلفي بجانب صَفِيَّة. غمز عبد الله لأحمَد مبتسما فرد أحمَد بابتسامة صغيرة.

في طريق العودة للبيت توقفت سَيَّارَة أحمَد أمام المكتبة لتبشير سيَّام بإطلاق سراح أبيه. استعمل منبه سيارته كما يُستعمل عادةً عِنْدَمَا يكون هُنَاكَ عرس فخرجت سيَّام تهرول بسرعة بعد أن لمحت سي الفاضل في السَيَّارَة. اقتربت من النافذة و حيث سي الفاضل و هنأته على السلامة و الفرحة بادية على وجهها حتَّى أن الفرحة أنستها أن تترك داخل المكتبة المنديل و السائل الملمع للزجاج الذي كانت تستعمله لمسح واجهة المكتبة فخرجت بها. شكرها سي الفاضل على تهانيتها و وعدا بالعودة بسرعة إلى المكتبة.

انطلقت السَيَّارَة مجددا نحو البيت و أحمَد لا يتوقف عن استعمال المنبه فكان الجميع يلتفت و يحي من في السَيَّارَة مبتسما.

✚ نفس اليوم – الواحدة ظهرا – بيت سي الفاضل

يخرج سي الفاضل من الحمام مرتديا "روب الاستحمام" بعد أن قضى فيه قرابة الساعة ينعم فيها بدفء الماء و يتخلص من رائحة الزنزانة البغيضة التي التصقت بجسمه و ملابسه و حتَّى بروحه. استعمل لمرات عديدة وسائل التنظيف على الرغم من أن ذلك لم يكن ضروريا لأنه كان يشعر بأنَّه لم ينظف بعد في كُلِّ مرة. لقد كان الجرح عميقا.

استقبلته صَفِيَّة في الصالون بابتسامة كبيرة و قد جرى الدم في وجهها فاحمرت وجنتاها و عاد بريق عينيها بعد أن كانتا ذابلتين مُنكسرتين.

- **صَفِيَّة:** لقد أعددت لك كافة الأطباق التي تحبها و هي كلها جاهزة الآن على الطاولة.
- **سي الفاضل:** كم أنا مشتاق لأن أتناول الغداء معكم. لم يكن للأكل طعم داخل الزنزانة.

لاحظ سي الفاضل غياب أحمد فسأل عنه. أخبرته صَفِيَّة بأنه ذهب ليحضر سَهَام تشاركنا الغداء و الفرحة اليوم و ترتاح من أكل الساندويتشات. بارك سي الفاضل هذه الفكرة و مدح البنات و أخلاقها.

دخل الجميع المطبخ ففوجئ سي الفاضل بمأدبة كبيرة تكفي لعدد كبير من الأشخاص. تنوعت السلطات و المشويات من اللحم و السمك و الدجاج كما زينت أطباق الفاكهة و الحلويات و العصيرات بقية الطاولة.

وصل أحمد صحبة سَهَام التي دخلت البيت في استحياء فاستقبلتها صَفِيَّة بالأحضان و رحبت بها أيما ترحيب. التفأ الجميع حول الطاولة و أقبلوا على الأكل بكل شراهة و كانوا يتبادلون بعض العبارات من حين لآخر لآعنة أيام الإيقاف المقيتة و حامدة الله على السلامة و فك أسر سي الفاضل عِندما رن الجرس فانتهضت صَفِيَّة و عادت مخيلتها إلى يوم تفتيش البيت من قبل الشرطية.

- **صَفِيَّة:** ربنا يستر! من ذا الذي أتى إلينا الآن؟
- **سي الفاضل:** لا داعي للقلق فأغلب الظن أنه أحد الجيران جاء يهنئني على السلامة.

نهض أحمد مسرعا و غير مرتاح ليفتح. وجد سي عائلة و زوجته مبتسمين يهئنان في حين أمسكت مَنِيَّة بعلبة حلويات كهديّة. دخل الجميع البيت و ما إن وصلت مَنِيَّة إلى المطبخ حتّى أطلقت الزغاريد فكان صوتها مدويا. و على الرغم من عدم استلطاف سي الفاضل و صَفِيَّة لمَنِيَّة، في العادة، إلا أنهما سعدا بهذه الزغاريد و حلت في قلوبهما محلا طيبا. أقبلت مَنِيَّة على صَفِيَّة تقبلها و تهنئها في حين تقدم سي عائلة من عِندما تقطن، و تقطن الجميع أيضا، إلى أنه لا يزال يلبس "الروب" فاستأذن من ضيوفه للحظات يغير فيها ملابسه بينما دعته صَفِيَّة للانضمام إليهم على طعام الغداء. ترددوا في البداية و لكن عِندما شاهدوا كمية و أصناف الأكل سال لابعهما و لم يجدا بُدّا من قبول الدعوة خاصة و أنّ صَفِيَّة كانت جادة، صادقة في دعوتهم.

لاحظت مَنِيَّة و سي عائلة وجود سَهَام فنظروا إليها في استغراب و ريبه و على الرغم من أنهما كان يعلمان أنها تعمل في مكتبة سي الفاضل إلا أنهما لم يستسيغا وجودها في بيته و بين أسرته.

- **مَنِيَّة:** لا تعلمون مدى الأسى و الحيرة التي عشناها أنا و سي عائلة و حتّى سَاء طيلة الأيام الماضية. كنّا نريد أن نساعدكم بشيء و لكن ليس باليد حيلة. لقد كانت سَاء تسأل باستمرار عن أخباركم و هي شديدة التأثير بما حصل لعمّها سي الفاضل. و بمجرد أن سمعنا اليوم منه سيّارة أحمد و تأكّدت من بعض الجارات من نبأ حضور سي الفاضل، حتى قررنا أن نزوركم فورا و دون انتظار حتّى نشارككم فرحتكم و نهنئكم على سلامته.
- **سي عائلة:** و الله لم يهني لي بال و لم أستسغ لا الأكل و لا الشرب و لا النوم في الأيام الماضية. سي الفاضل بمثابة الأخ و هو جار العمر و لا يستحق كلّ ذلك.
- **صَفِيَّة:** الحمد لله على الفرج. كانت أياما صعبة و ولّت من دون رجعة بإذن الله.

يدخل سي الفاضل بعد أن ارتدى لباسا يليق باستقبال الضيوف. عاد إلى كرسيه محييا ضيوفه مرحبا بهما من جديد. لم يتأخر الضيفان في البدء بالأكل و كانت صَفِيَّة تسهر شخصا على خدمتهما فكانت تعبئ الأطباق و تحلف عليهما بكل الأيمان أن يُجرّبا من كلّ الأصناف.

- **سي الفاضل:** وكيف حال الحي والجيران في الأيام الأخيرة يا سي عالة؟
- **سي عالة:** والله ليس هُناكَ حديث إلا بخصوص مُصابك يا سي الفاضل. الكل يستنكر و يستغرب و لا يفهم ما الذي حصل.

صمت سي عالة لبرهة و أطلق تنهيدة قصيرة و كأنه يريد أن يلاحظ سي الفاضل ذلك فيسأله عن سببها.

- **سي الفاضل:** لماذا هذه التنهيدة يا سي عالة؟ خيرا إن شاء الله؟
- **سي عالة:** للأسف هُناكَ بعض الألسنة التي تستحق القطع بدأت تُروِّج لإشاعات مُغرضة و لكنني كنت حازما مع كُلّ من كان يتقوه بكلام كهذا و أتصدى له بكل قوة حتّى أنني أوشكت أن أتضارب مع أحدهم في السوق، سامحه الله.
- **سي الفاضل:** و ماذا كانت تقول هذه الإشاعات؟
- **سي عالة:** في الحقيقة كثرت الإشاعات فمنهم من يقول أن الشرطية ضبطتك بكمية حشيش و منهم من يقول أنك اختلست أموالا من خزانة المحكمة. و لكن و الله يعلم أنني لم أصدّق هذه الإشاعات و كذبتُها و هاجمت من يروج لها.
- **مُنية:** ليس للنساء أيضا كلام في السُوق و لا داخل البيوت إلا حول هذا الموضوع و كأنه شغلهم الشاغل. يا لطيف كم يعشّقن الغيبة... يا لطيف! و لكنني كنت أتصدى لهن كما كان يفعل سي عالة زوجي مع الرجال.

تنظر مُنية لسبّام محاولة استدراجها في الكلام في خبث و مكر تتميز به بعض الماكرات من النُسوة.

- **مُنية:** و ما رأيك أنت يا بُنيّتي في هذا الموضوع؟

ارتبكت سبّام و لم تكن تنتظر أن يُطلب منها إبداء رأيها فكانت خجولة تكتفي بالاستماع لما يقال. كادت سبّام أن تشرق فناولتها صَفِيّة كوب الماء القريب منها و هي مستاءة من تصرف مُنية الغريب.

- **سبّام:** هذا رأيي أيضا. أنا لم أصدق أبدا ما يقال و كنت دائما مقتنعة ببراءة سي الفاضل و كنت أكرر ذلك مرارا لَصَفِيّة و أَحْمَد. حتّى أنّ أبي استبعد هذه الإشاعات و طلب مني أن أوصل العمل في المكتبة بعد أن نصحه بعض الجيران بأن يمنعي من مواصلة العمل بحجة الخوف من الشبهات. كنا مقتنعين تماما ببراءة سي الفاضل و بأنّ ما حصل لا يعدو أن يكون سحابة صيف عابرة.

كان كلام سبّام رصينا و موزونا يُظهر قدرا كبيرا من اللباقة و الثقافة و لم يُعجب مُنية التي اغتاظت من ذلك و علّمت أنّ سبّام ذات مستوى ثقافي عالي يفوق مستوى ابنتها. لم يكن حال سي عالة بأفضل من حال زوجته و فهما أنّ وجود سبّام قريبة من العائلة خطر كبير على مشروع زواج ابنتهما بأحمد. حاول سي عالة تجاوز هذه النقطة و عاد للكلام في موضوع الناس و إشاعاتهم المغرضة.

- **سي عالة:** الناس لا تترك أحدا في حاله فقد بدؤوا بصطادون في الماء العكر. لقد بدأت الألسن تؤكد الإشاعات بظهور المال فهذا يقول أنّ إنشاء المكتبة و شراء السيّارة و غيره من أوجه النعمة التي ظهرت فجأة على سي الفاضل و عائلته من أموال المخدرات و ذاك يقول أنك اختلستها من المحكمة و غيره و كنت أشرح لهم مسألة إرثك من عمك في أمريكا فلا يصدقون هذه القصة و يقولون "لماذا إذن قبضت عليه الشرطية لو أنّ مصدر ماله مشروع؟".

يسكت سي عالة من جديد و ينظر إلى زوجته في نوع من الارتباك. لاحظ سي الفاضل ذلك و كأنه فهم قصده فأراد أن يساعده على البوح بما يريد.

- **سي الفاضل:** و هذا السؤال يحيرك أنت أيضا يا سي عَالة أليس كذلك؟
- **سي عَالة:** إنَّه سؤال محير فعلا فلم أقدر أن أحبيهم عليه و لكنني و الله لم أشك فيك أبدا و لم أقتنع بهذه الإشاعات. قلت في نفسي أنَّه من الأكيد وجود تفسير منطقي لهذا الموضوع و أنَّه لن يعدو على أغلب الظن أن يكون خطأ أو اشتباها مبنيا على باطل فأنا أعرف صديقي و عشيري سي الفاضل.
- **مُنيّة:** ها قد ظهر الحق الآن و خرج سي الفاضل بالسلامة و نستطيع أن نرد اليوم على كل هذه الإشاعات و نوقفها و نفسر سبب هذا الإيقاف و نقطع السنة المسيئين.

صمت الجميع عن الكلام و كان ذلك بمثابة دعوة ضمنية من الجيران لسي الفاضل بالبوح بأسباب إيقافه الحقيقية. لم يجد سي الفاضل بُدًا من أن يُعلن عن سبب مقنع لإيقافه و آخر لإطلاق سراحه و لكنَّه كان أمام خيار صعب فلو قال الحقيقة كاملة لانكشف كذبه حول مصدر الثروة. قرر سي الفاضل أن يُعلن عن نصف الحقيقة و ذلك من أجل بثر الإشاعات و هو يعلم تمام العلم أنَّ ما سيقوله على طاولة الغداء الآن سوف ينتشر في الحي بأسره بعد ساعات قليلة فقط، فمُنيّة زوجة سي عَالة فعالة أكثر من أكبر وكالات الأنباء.

- **سي الفاضل:** لقد كان هُناك تشابه في الأسماء بيني و بين أحد المطلوبين للعدالة في قضية أمن دولة. و قد دلت تحريات المخبرين خطأ على عنواني فاعتقلوني و حققوا معي و لما اكتشفوا أنني لست الشخص المطلوب و تأكدوا من ذلك أطلقوا سراحي كما ترون. و هذا ببساطة كل ما في الأمر.
- **سي عَالة:** و الله هذا ما كنت أعتقد فعلا فمن المستحيل أن تكون مورطا في قضية أمن دولة. أية أمن دولة و نحن نلعب الدومينو يوميا في المقهى؟ (ضاحكا) بالله عليكم هل يبدوا علينا أننا نهتد أمن الدولة؟ أقصى ما يمكن أن نرتكبه من مخالفات أن نلعب الورق على المشاريب أو أن نركن السيَّارة في مكان يُحجّر الوقوف فيه أو نتأخر في تسديد فواتير الكهرباء. ... أمن دولة؟؟؟ و الله غريب أمر الشرطَة تُمسك بالأبرياء و ترعهم دون أن تتأكد من تورطهم.
- **مُنيّة:** ينطبق عليك يا سي الفاضل مثل "جاءك البلاء يا غافل"
- **صَفِيّة:** عين و أصابتنا. فالعين مذكورة في القرآن. ما إن لاحظ الناس ظهور النعمة علينا حتَّى احترقت قلوب الحاسدين منهم و تمنّت زوالها
- **مُنيّة:** يجب عليكم أن تذبحوا خروفا و تتصدقوا به و أن تبحروا البيت و أنفسكم ففي ذلك حماية من العين.
- **سي عَالة:** معك حق يا مُنيّة فالعين حق.

أرادت صَفِيّة أن تغير الموضوع و تسأل سَهَام عن رأيها في الأكل. فأجابت بخجلها و لباقتها المعهودة عن إعجابها بمهارة صَفِيّة في الطبخ و بأنها لم تأكل قط بمثل هذه الشراهة كما أكلت اليوم في حين كانت عيون مُنيّة ترمق سَهَام بنظرات حادة و تُقلِّبها من أخصص قدميها إلى أعلى رأسها. لم يرتح سي عَالة من نظرات صَفِيّة لسَهَام و معاملتها لها و كأنَّها كانت تعامل ابنتها أو شخصا عزيزا عليها. غدَّت هذه الشكوك مخاوف سي عَالة و زوجته مجددا حول مشروع مصاهرة عائلة سي الفاضل و نَعَصت عليهما ما تبقى من الغداء.

انصرف الجميع مباشرة بعد الغداء ليترك سي الفاضل للراحة في غرفة نومه بعد الأكل الدسم و لم تتأخر صَفِيّة بالالتحاق به بعد أن استكملت ما طاب لها من زينتها.

أين هي حواء؟

✚ نفس اليوم - العاشرة ليلا - غرفة أحمد

استلقى أحمد على سريره بعد يوم عصيب و طويل. أخيرا سبّرتاح من ضغط الأيام السابقة. لقد كان في حالة استنفار تام فلم ينام ولم يأكل جيدا و كان همه الوحيد هو إخراج أبيه من الإيقاف. ها قد عادت الأمور الآن إلى نصابها و أخذ الروتين اليومي مجراه من جديد.

أغمض عينيه فبدأ ذهنه يسرح في مواضيع شتى كانت تشغله قبل إيقاف والده. ها هو الآن قد أكمل دراسته بنجاح و توفر المال لديه و لم يعد ينقصه شيء سوى الفتاة التي تملأ فراغ قلبه و تأنث حياته العاطفية. تذكر قائمة الفتيات التي أعدّها و التي لم يظفر منها بأية واحدة. احتار في أمره من جديد و رجع هذا الموضوع شغله الشاغل. و بينما هو سارح في أفكاره، ظهر عبد الله في مكانه المعتاد، الأريكة، مهتماً بسلامة سي الفاضل.

- عبد الله: مالك تبدو حزينا كئيبا؟ ها قد خرج والدك بالسلامة.
- أحمد: الحمد لله على ذلك و لكن هناك مواضيع أخرى تشغلني.
- عبد الله: ماذا؟ هناك مواضيع أخرى تشغلك و أنا هنا؟ أنا صديقك الوفي. "شُبَّيك لُبَّيك كل ما تطلب بين يديك" (ضاحكا و مقلدا حركات الجني في قصص ألف ليلة و ليلة)

ضحك أحمد رغما عنه من حركات عبد الله

- أحمد: لا هذا موضوع شخصي و لا أعتقد أنك يمكن أن تساعدني فيه
- عبد الله: لا يمكنني أن أساعدك في هذا الموضوع؟ أنت لا تعرفني جيدا إذن. هات ما هو موضوعك؟
- أحمد: قلت لك أنه شخصي؟
- عبد الله: و هل بين الأصدقاء مواضيع شخصية أو أسرار لا يبوحون بها لبعضهم البعض؟ هيا! هات ما عندك حتى أخرجك من حالة الكآبة التي أنت فيها.
- أحمد: (متريدا و في شيء من الخجل) الموضوع أنني أشعر بشيء من الوحدة.
- عبد الله: الوحدة؟ أية وحدة؟... آه!... فهمت... فهمت. (مبتسما) أنت تقصد أنك تحتاج لفتاة تملأ عليك حياتك؟ أليس كذلك؟
- أحمد: (في خجل و تردد) أجل.
- عبد الله: و ما المشكل في ذلك؟ أنت شاب وسيم و مثقف و مؤدب و ألف بنت تتمنى أن تقترن بك.
- أحمد: أنا لا أريد ألف بنت. أنا أريد واحدة فقط. لم أجد و لا واحدة تناسبني.
- عبد الله: لا تقلق من هذا الأمر فعبد الله يمكن له أيضا أن يعمل خاطبة (ضاحكا). أتريدني أن أبحث لك على فتاة تناسبك؟
- أحمد: و هل هذا باستطاعتك؟
- عبد الله: سأحاول على كل حال. كيف تريد هذه الفتاة؟ أعني ما هي المواصفات التي تبحث عنها في فتاة أحلامك؟
- أحمد: ليست عندي مواصفات محددة. يكفي أن تكون مقبولة الجمال و مثقفة و تتناسب مع شخصيتي. هذا كل ما في الأمر. أنا لا أطلب المستحيل.
- عبد الله: ألم تجد واحدة فيها هذه الموصفات العامة من بين كل البنات اللواتي صادفتهن؟

- أَحْمَدُ: ألم أقل لك أنني لم أجد. إنَّ الفتيات كثيرات جدا و لكن عِنْدَمَا بحثت عن واحدة،... واحدة فقط تناسبني لم أجد.
 - عبد الله: (يسترخي على المقعد مبتسما) ما رأيك لو قلت لك أن عندي ما تبحث عنه.
- يلتفت أَحْمَدُ بسرعة لعبد الله.

- أَحْمَدُ: أ بهذه السرعة؟
- عبد الله: نعم
- أَحْمَدُ: و هل فيها المواصفات التي أبحث عنها؟
- عبد الله: نعم و أكثر من ذلك أيضا.
- أَحْمَدُ: (في تلهف) من هي؟
- عبد الله: إنها قريبة جدا منك و لكنك لا تفهم الفتيات و ليست لديك خبرة معهن.
- أَحْمَدُ: من هي قل لي بسرعة و لا تماطل؟
- عبد الله: يبدو أنك مستعجل جدا
- أَحْمَدُ: هيا قل من هي؟ لا تتلاعب بأعصابي.
- عبد الله: (عاطفا) سأريحك... إنها سيهام
- أَحْمَدُ: من؟ سيهام؟

لم يفكر أَحْمَدُ أبدا في سيهام مع أنَّه كان يقابلها يوميا. لم يشعر تجاهها بانجذاب و لم يقرأ من تصرفاتها ما يوحي له بأنها منجذبة أيضا إليه فكان يعاملها باحترام و مهنية لا غير. فكَرَّ أَحْمَدُ للحظات و وجد أنَّها مناسبة مبدئيا و لم يجد فيها عيبا يُقصيها من دائرة اختياره.

- أَحْمَدُ: و كيف عرفت أنها مناسبة لي؟
- عبد الله: إنها مقبولة الجمال و مثقفة و مؤدبة و هي الصفات التي تبحث عنها أنت. كما أنها تميل إليك و تستلطفك بل فلنقل أنها معجبة بك.
- أَحْمَدُ: سيهام معجبة بي؟ لم ألاحظ ذلك أبدا
- عبد الله: (ممازحا) لأنك قليل خبرة مع الفتيات. لقد لاحظت نظراتها إليك و علمت منذ الوهلة الأولى مدى إعجابها بك و لكنك لم تنتقن لذلك.
- أَحْمَدُ: لم يخطر ذلك ببالي مطلقا. لقد كنت أتخشى أن أقترب منها حتَّى لا تظن بأنني أحوال استغلالها بما أنها تعمل عندنا في المكتبة.
- عبد الله: ألم أقل لك أنك قليل خبرة ببنات حواء. أطمئنك أنني أراها تستعد كلَّ يَوْمٍ لفترات طويلة، قبل المجيء للمكتبة فتجرب كلَّ الملابس التي لديها و تسرح شعرها مرارا و تكرار لتظهر بأبهى صورة ممكنة. لمن هي تتزين لو لم يكن لك؟
- أَحْمَدُ: هل رأيتهما فعلا تفعل ذلك؟
- عبد الله: نعم و كلَّ يَوْمٍ تقريبا. كما أنها تكتب خاطرها في دفتر صغير تحتفظ به في حقيبة يدها و لا أريد أن أطلعك على حرارة التعبيرات التي تصف إعجابها بك. إنني أراها تكتب خاطرها و قرأت الكثير منها. إنها مغرمة بك.
- أَحْمَدُ: هل تعني أنني لو تقربت منها ستستجيب لي؟
- عبد الله: أووف! إنها ثمرة ناضجة تنتظر فقط من يقطفها.
- أَحْمَدُ: (و قد بدت عليه علامات الجدية) و لكن كيف سأقرب منها؟ إنني خجول في مثل هذه المواضع و أخاف أن أخطئ.
- عبد الله: يكفي أن تستدعيها للغداء أو لشرب عصير خارج وقت العمل و أن توصلها لبيتها لتريحها من عناء المواصلات. تصرف يا أخي هل أنا الذي سيتزوج؟

- **أحمد:** أنت لا تعرفني. أنا خجول جدا في هذه المسائل و سيحمر وجهي و ألتعثم و لا أدري ما أقول. إذا كانت الفتاة تهمني تجدني واقفا أمامها و كأنني في اختبار مصيري فيضيع الكلام من ذهني و يجف حلقتي و ترتعش أطرافي و أضطر في أغلب الأحيان إلى الانسحاب بسرعة حتى أنه في إحدى المرات سخرت مني إحدى الفتيات و روت ما جرى بيني و بينها لزميلاتها فأصبحت يسخرن مني أيضا و يتغامزن ضاحكات كلما رأيته في الكُتَّبة. لقد كرهتها و كرهت الاقتراب من أية فتاة أخرى بسبب تلك الحادثة.
- **عبد الله:** و كيف ستتزوج إذن؟ كيف ستقتنع بك فتاتك و تقبل أن تتزوج منك لو كنت خائبا بهذه الطريقة. الفتيات يُفضلن الشاب الجريء الشجاع و ليس من يهرب و يتركهن واقفات لوحدهن.
- **أحمد:** لا أدري ما سبب ذلك و لكنه شيء أقوى مني. و ربما هذا ما جعلني أبتعد عن الفتيات و لا أريد الاقتراب منهن و أكتفي بمعهن بعلاقات الزمالة فقط.
- **عبد الله:** إذن ما العمل. هل أذهب أنا لمغازلتها؟
- **أحمد:** لا أعرف. هذا ما يحيرني.
- **عبد الله:** لماذا لا تصارح والدتك بالموضوع؟ فتتولى هي أمر مفاتيحة سيهام بالأمر؟
- **أحمد:** و الله هذه فكرة معقولة. و لكن كيف سنتظر إلي سيهام بعد ذلك؟ إنها ستعتقد أنني غير جريء و أتخفي وراء أُمي.
- **عبد الله:** نعم لقد فاتتني هذه الجزئية. ربما سيقبل احترامها لك لو أنك تخفيت وراء والدتك. لم يبق لك سوى أن تفتاحها بنفسك و لا تقل لي أنك لا تستطيع. كن طبيعيا معها و كل شيء سيمر بسلام. إنها ثمرة جاهزة للقطف كما قلت لك و يكفي أن تقوم بخطوة واحدة تجاهها حتى تستجيب لك. لا تخف إنها لن تصدك. إنها بانتظار خطوتك الأولى تجاهها. هيا تشجع و توكل على الله.
- **أحمد:** و الله أنا خائف من هذا الموضوع. أنا أعرف جيدا أنني خائب جدا في هذه المسائل. ما رأيك لو تساعدني فتكون حاضرا معنا؟
- **عبد الله:** ماذا؟ أتريد أن أكون حاضرا بينكما؟
- **أحمد:** و لم لا؟ أولا، إنها لا تراك. و ثانيا سوف لن تفعل شيئا سوى أن تلقني ماذا سأقول لها و كيف سأصرف لو ارتبكت و انفعلت. و هذا كل ما في الأمر.
- **عبد الله:** و الله هذه غريبة الغرائب. لم أتوقع أنني سألعب هذا الدور في يوم من الأيام.
- **أحمد:** هيا اقبل أرجوك فأنت الوحيد الذي بُحث له بمخاوفي و عجزتي عن الاقتراب من الفتيات و هذا طلب بسيط و يمكنك القيام به من أجلي و على الأقل في المرات الأولى و عندما اكتسب الجرأة اللازمة دعني أتصرف بمفردي.
- **عبد الله:** حاضر يا أحمد. سأساعدك في ذلك و أمري إلى الله. متى تريد مفاتيحتي.
- **أحمد:** غدا صباحا.
- **عبد الله:** يبدو أنك متلهف جدا للموضوع.
- **أحمد:** و لكن ماذا سأقول لها؟
- **عبد الله:** يا أخي استدعها للغداء في أحد المطاعم القريبة و اصحبها بالسيارة إلى هناك. الشباب الذين في سنك و الذين يملكون سيارات خاصة لهم علاقات كثيرة مع البنات.
- **أحمد:** فكرة جيدة و لكن يجب أن تكون معي لحظة بلحظة.
- **عبد الله:** حاضر سأفرغ لك غدا.

ينصرف عبد الله و يبقى أحمد يفكر في سيهام و يسترجع شريط الأحداث محاولا التفطن لتصرفاتها التي تدل على إعجابها به. لقد درسها من جميع الجوانب و بدأ يعتقد أنها فتاة مناسبة جدا له و ربما تكون شريكة حياته. قضى أحمد جزءا مهما من الليل يفكر كيف سيفاتحها و ما سيقول لها و كيف سيتصرف و كأنه مُعَين على اختبار صعب و مصيري في الغد.

الجمعة 5 جوان - التاسعة صباحا - مكتبة سي الفاضل

يدخل أحمَد المكتبة مبكرا على غير عادته فيجد سيَهَام تنتهي من مسح الغبار عن مكتب سي الفاضل و هو المكتب الوحيد بالمحل. كان أحمَد مشحونا و متحمسا و على أتم الاستعداد "للمواجهة المصيرية" فكان يردد العبارات التي سيفتتح بها كلامه و التي ستليها و لكنه و بمجرد أن رآها حتَّى خفق قلبه و غاب ذهنه فارتبك و اكتفى بأن صَبَّحَ عليها في استحياء و عيناه لم ترتفعا عن الأرض ثم توجه للمكتب أين جلس يتظاهر بمراجعة دفتر الحسابات و فكره لا يفقه شيئا مما دُون في الصفحة أمامه في حين توجهت سيَهَام لتعيد ملء علبة الأقلام الملونة على الرف.

• أحمَد: (محادثا نفسه) ها قد تملك مني الخجل كالعادة و ضاعت الكلمات مني و فقدت "الشحن". ها قد عدت لعاداتي القديمة الخائبة و انغلقت على نفسي من جديد. غريب أمرى فالفتاة أمامي و أنا مطمئن من أنها لن تصدني و على الرغم من ذلك فأنا عاجز عن مفاتها أو حتَّى الاقتراب منها.

شعر بالأسى و الخجل من نفسه فجلد نفسه و أقر بعجزه عِندَمَا ظهر له عبد الله جالسا على الكرسي قبالة المكتب.

- عبد الله: (ساخرا) أين شجاعتك يا بطل؟ هل اكتفيت بـ "صباح الخير يا أنسة"؟ هل هذا ما تفاهمنا عليه البارحة؟
- أحمَد: (مُسِرًّا) و الله ما قدرت أن أفعل شيئا. ساعدني أرجوك. لقد تعطل ذهني عن التفكير.
- عبد الله: هيا توجه لها و اقترح عليها أن تتناولوا الغداء سويا اليوم. هيا تحرك هل هي كيمياء؟
- أحمَد: أرجوك كن إلى جانبي عِندَمَا أكلمها.

أوما عبد الله بالإيجاب له و على مضض. نهض أحمَد من أمام المكتب و بدأت دقات قلبه بالتسارع المخيف حتَّى أَنَّهُ كان يسمع تردد هذه الدقات في أذنيه و شعر بأنَّ المكتبة أظلمت فجأة و بأنَّ حلقة قد جفَّت. نظر لعبد الله الذي حثَّه على المواصللة بحركة من يده و نظرة تشجيع. بدأ أحمَد بالاقتراب من سيَهَام و هي توضع الأقلام الملونة فكانت خطواته مرتبكة مترددة و ما إنَّ وصل إلى منتصف المسافة حتَّى توقف فجأة و عاد بسرعة إلى المكتب و ارتمى على الكرسي و كأنَّه كان يحمل جبلا كاملا على كاهليه. وقف عبد الله أمامه و وَبَّخَه على جُبْنِهِ و تخاذله و أمره بأن يُعيد الكرة من جديد. نهض أحمَد متثاقلا من غير اقتناع و لكن نصيبه من المحاولة الثانية لم يكن بأفضل من الأولى. و كذلك كانت المحاولة الثالثة حتَّى أَنَّ عبد الله أوشك أن ييأس منه و بدا الغضب على وجهه فاحمر بشكل غريب و كأنَّ النار تشتعل تحت جلده حتَّى أَنَّ أحمَد فزع من منظره. في هذه المرة الثالثة و بينما أحمَد يبدأ انسحابه نحو المكتب مهزوما سمع سيَهَام و هي تسأله:

- سيَهَام: هل تريد مني شيء يا أحمَد؟ هل تحتاج لشيء معين؟
- أحمَد: ماذا؟... نعم... لا... لا

وقف عبد الله بجانبه

- عبد الله: هيا انطق. ها هي قد بدأت الكلام. هيا قل ما عندك.
- سيَهَام: هل أنت متأكد؟
- أحمَد: ماذا؟ متأكد؟... نعم... نعم... أنا متأكد.

عاد أحمَد إلى المكتب حيث ارتمى عليه مجددا و هو ينفخ بعمق و كأنَّه طلع من البحر بعد غطس طويل قطع أنفاسه. لطم عبد الله وجهه و أمسك برأسه ممتعضا من تردد أحمَد و خجله.

كانت سِهَام تراقب أَحْمَد منذ دخوله للمكتبة و أحست بغريزتها الأنثوية أن هُنَاكَ أمرا ما. لقد لاحظت خجله المفرط هذا الصباح و لاحظت محاولاته الثلاثة للاقتراب منها ثم عودته مجددا إلى المكتب. علمت أنه يريد البوح لها بشيء و لكنها كانت متأكدة من أن خجله المفرط سيحول دون ذلك. قرَّرت سِهَام أن تخطو نحوه الخطوة الأولى لتُبَدِّد توتره. اقتربت سِهَام من المكتب و جلست على حافته. زاد التوتر عند أَحْمَد و لم يدر ما يفعل. قدمت سِهَام لأَحْمَد قطعة من الشكولاتة و احتفظت بأخرى لها. تناول أَحْمَد الشكولاتة من يدها و ابتلعها مباشرة و هو لا يصدق ما يحدث.

- سِهَام: أظن أن هُنَاكَ أمرا تريد أن تخبرني به. هيا لا تتردد فأنا بمثابة أختك فلا تخجل مني. و تأكد من أن كلَّ ما تقوله لي سيبقى سرا بيننا لن يعلم به أحد فنحن شباب و نفهم بعضنا و نحن زملاء في هذه المكتبة كما أنني أعتبر نفسي جزءا من عائلتكم. أليس كذلك؟
- أَحْمَد: (مذهولا) ماذا؟
- سِهَام: (مبتسمة) ألا تعتبرني جزءا من العائلة؟
- أَحْمَد: (و كَأَنَّهُ بدأ يفيق من ذهوله) بلى ... بلى
- سِهَام: إذن لماذا لا تخبرني بما يشغلك. و تأكد من أنني سوف أساعدك.

يصمت أَحْمَد من جديد فيقترب منه عبد الله و يقول له:

- عبد الله: قل لها أنك تشعر بالملل و تريد أن تخرج و نتغدى معها اليوم في المَطْعَم القريب من المكتبة.

يبتلع أَحْمَد ريقه و يجمع ما تبقى من شجاعته

- أَحْمَد: أشعر ببعض الضيق و الملل و أريد أن نطعم في مكتبة قريبة من الغداء.

يلطم عبد الله وجهه مجددا في حين تُطْلِق سِهَام ضحكة عالية و يزداد توتر أَحْمَد.

- سِهَام: أنت تقصد بأنك تريد أن نتغدى معا في مَطْعَم قريب من المكتبة أليس كذلك؟
- أَحْمَد: (في خجل) نعم هذا ما أريده بالفعل. هل تقبلين؟
- سِهَام: طبعاً و لم لا أقبل؟ بكل سرور. هل يحتاج أمر كهذا لكل هذا التردد؟

نزلت كلمات سِهَام بردا و سلاما على أَحْمَد و من وراءه عبد الله الذي صاح بأعلى صوته "الحمد لله ... أخيراً؟"

- سِهَام: سوف أتصل بوالدي لأخبره بالأمر.
- أَحْمَد: (و قد عاد التوتر إليه من جديد مع بعض الخوف) و لماذا تتصلين بأبيك؟
- سِهَام: أخبره حتَّى لا يتعب و يحضر لي الغداء إلى المكتبة. لا تَخَفِ إنه يعرفك و يعرف أخلاقك جيداً و لا يُمانع في أن نتغدى معا. لقد وصفتك له بإطناب و قد قابلك عدة مرات هنا و هو يطمئن لك.

كانت جراءة سِهَام و بساطتها في التعامل مع الأمور بلسما عالج خجل أَحْمَد المزمَن و وضع "القطار على السكة". لقد بدأ التوتر يزول و العلاقة تأخذ مجراها الطبيعي.

طالت ساعات انتظار أَحْمَد لوقت الغداء حتَّى أنه قرر أن يخرج من المكتبة و يقوم ببعض الأعمال تقصيرا للوقت. عند منتصف النهار بالضبط توقف أَحْمَد بسيارته أمام المكتبة و نزل و بداخله فرحة لا توصف. هذه أول مرة يواعد فتاة. دخل المكتبة فوجد سِهَام تنتظره و قد تغير شيء ما فيها. لم يدرك في البداية مصدر هذا التغير مع أنه استحسنه. لقد أدرك أخيراً أنها وضعت القليل من أحمر الشفاه المحتشم المائل إلى الوردي و

بعض الماكياج الآخر و فتحت شعرها الناعم الطويل و سرَّحتُه بعناية. لقد بدت له جميلة جدا و كأنَّه يراها لأول مرة. تحركت بداخله مشاعر جياشة و عنيفة لم يألفها من قبل و لكنه بقي جامدا لا يتحرك في الوقت نفسه. طال وقوفه أمامها حتَّى أنها ابتسمت و جالت بنظرها في الأرض استحياء و هي تقول:

• **سيهام:** هل سنذهب أم أنك غيرت رأيك؟

أفاق أحمد من دھوله مرتبكا.

• **أحمد:** نعم ... نعم... بالطبع. لنذهب و لَمْ أغيّر رأيي؟

خرجوا من المكتبة و تولت سيهام وضع لافتة "مغلق" من داخل باب المكتبة الزجاجي ثم أغلقتها بالمفتاح و توجهوا إلى السيَّارة جنباً إلى جنب حين أمسكت سيهام بذراع أحمد فشعر برعدة تسري في بقية جسده و بحرارة في ذراعه. تعجَّب أحمد من جرأة سيهام و لكنه استحسناها لأنَّه يعلم في قرارة نفسه بأنَّ من الصعب عليه أن يبادر هو بالقيام بذلك. زادت فرحته و تهللت أساريره و هو يقترب من السيَّارة ليجد عبد الله متكأً عليها و هو مبتسم. غمز عبد الله لأحمد رافعا إبهامه للأعلى في شبه تهنئة و مباركة على هذا "الفتح العظيم".

ركب السيَّارة و لم يعلم أحمد كيف يشغلها فكادت أن تهرب به. ضحكت سيهام من جديد و هي تراقب تردده و ارتبائه و كأنَّه عزراء خجول. استجمع قواه و انطلق بالسيَّارة صامتا. أخذت سيهام ثقلب في بعض أشرطة الموسيقى و التي يستمع لها أحمد عادة فأبدت إعجابها بذوقه الفني. كانت تحاول أن تكسر الجليد و تُلطِّف من جو التوتر الذي كان يُسبِّبه أحمد. اختارت شريطا يحتوي على أغاني رومانسية فرنسية قديمة و مشهورة و شغلته. كان لرنين هذه الأغنيات صدى مميز عند أحمد و كأنَّه يستمع لها لأول مرة كما أنَّ عطر سيهام القوي و الذي وضعت منه لأول مرة اقتحم كيان أحمد اقتحاما. لقد كان تزاوج العطر الذكي مع الموسيقى الرائعة و جمال سيهام الأخاذ و رقتها، يخلق عالما سحرى يشبه الحلم الجميل الذي لم يعيشه أحمد أبدا حتَّى هذه اللحظة.

كان الكلام في مَطْعَم البيتزا عاديا يحوم حول المكتبة و زبائننا و الدراسة و سي الفاضل و صَفِيَّة و لم يتطرق أحمد لرغبته الحقيقية و لكن رغم ذلك كان الكلام في حد ذاته و بقطع النظر عن الموضوع تعبيراً عن رغبة واضحة في الالتقاء و الاقتراب و ربما الارتباط.

كان عبد الله جالسا أمام الطاولة المقابلة لأحمد يتناول قطعة بيتزا و يراقب ما يحدث مبتسما سعيدا مُشجعا لأحمد.

اكتفى أحمد بهذا "النصر" في أول يوم له مع سيهام في صورتها الجديدة و كان ذلك أسعد أيام حياته على الإطلاق. لم يشعر أبدا بمشاعر جياشة تهز كيانه و تملأ حياته آملا و سعادة كما شعر بها اليوم. لم يكن يعتقد في يوم من الأيام أن علاقة مع فتاة يمكن أن تُحدث فيه كلَّ هذا التأثير. إنَّه الآن يعلم تماما أن سيهام هي المرأة المناسبة له. كلَّ تصرفاتها رقيقة و ذكية. كما أنَّ جمالها نزل في قلبه منزلا طيبا.

عاد أحمد للبيت في المساء و هو يغني فقيل أمه و أباه ممسكا برأسيهما و دخل غرفته ليستمع إلى بعض الموسيقى. لاحظت صَفِيَّة سلوكه الغريب فنظرت لسي الفاضل و ابتسما سويا. لقد فهما أن أحمد يعيش قصة حب مع أنَّه يعيشها متأخرة بعض الشيء.

• **صَفِيَّة:** هل هي ... سيهام؟

• **سي الفاضل:** أعتقد ذلك فقد أخبرتني سيهام هذا المساء أنها تغدت مع أحمد في المَطْعَم و أنَّه هو الذي استدعاها

• **صَفِيَّة:** و ما رأيك أنت بها؟

• **سي الفاضل:** إنها فتاة ممتازة من كلِّ الجوانب

- **صَفِيَّة:** هل تظنها مناسبة له؟
- **سي الفاضل:** أظن أنَّ الوقت مازال مبكرا على ذلك. لندعهما و شأنهما في الوقت الحالي و لا نحاول التدخل و إذا ما رأينا الانسجام بينهما و تأكدا هما من ذلك، يمكننا أن نتدخل.
- **صَفِيَّة:** هذه البنت تعجبني فهي مؤدبة و مناسبة لأحمَد فهو كما تعلم خجول و قليل التجارب مع الفتيات. كم أتمنى لو تكون من نصيب ابني.

الوداع

السبت 4 جويلية - الرابعة عصرا - سَيَّارَة أَحْمَد في الطريق

لقد مرَّ شهر كامل لم يتقابل فيه أَحْمَد مع عبد الله. لقد كان بأشد الحاجة إليه ليستشير به بخصوص علاقته مع سيَّاه خاصة و أن العلاقة توطدت بينهما و قررا أن يتزوجا مع نهاية الصيف وسط فرحة و مباركة الجميع. كان غياب عبد الله الطويل مؤثرا بشدة في أَحْمَد الذي تعود عليه حتَّى أنه أصبح شريكه في كُلِّ أموره حتَّى العاطفية منها.

توقفت السيَّارَة عند الإشارة عنْدَمَا ظهر عبد الله على المقعد الأمامي للسيَّارَة بجانب أَحْمَد. انفعَل أَحْمَد و صرخ:

• أَحْمَد: أين كنت يا عبد الله؟ وما هذا الغياب الطويل. شهر كامل لم تظهر فيه؟

انتبه أَحْمَد لوجه عبد الله الشاحب و حالة الإعياء الَّتِي كان عليها.

- عبد الله: ها قد حضرت اليَوْم و الله أعلم أنني تعبت كثيرا حتَّى أحضر
- أَحْمَد: خيرا إن شاء الله! ما بك يا عبد الله؟ أنت على غير عادتك. هل أنت بخير
- عبد الله: الحمد لله على كُلِّ حَالٍ. لقد اشتد بي المرض.
- أَحْمَد: أي مرض هذا؟
- عبد الله: ألا تتذكر عنْدَمَا تغيبت عنك لفترة عنْدَمَا كنت في عَيْنِ دَرَاهِم؟
- أَحْمَد: لقد أخبرتني وقتها بأنك كنت مريضا.
- عبد الله: نعم هو ذاك. لقد عاودني المرض نفسه و اشتد علي.
- أَحْمَد: و لم لا تعالج نفسك؟
- عبد الله: و من قال لك أنني لم أعالج نفسي؟ لقد أمضيت الأسابيع الأربعة الماضية في العلاج و قد كشف عليَّ كبار حكماء الجن.
- أَحْمَد: و ما هي الأخبار؟

يصمت عبد الله لبرهة متحسرا و يواصل بصوت رقيق و ضعيف.

- عبد الله: لقد أعلموني أنني مصاب بمرض عضال و بأن أيامي محدودة و بأنهم لم يعودوا قادرين على فعل شيء لي سوى تخفيف الآلام عني.
- أَحْمَد: (متأثرا جدا) أوه! هل هذا يعني...؟
- عبد الله: نعم. الأعمار بيد الله و كُلِّ نفس ذائقة الموت سواء أكانت من الإنسان أم من الجن كما أنني بلغت من العمر عتيا و لا أطمع أنى أرى في الحياة أكثر مما رأيت.

تفتح الإشارة و يتعالى صوت منبهات السيارات طالبة من أَحْمَد التحرك و لكنه لم يشعر بأي شيء من ذلك. يقترب من نافذة أَحْمَد أحد سواق السيارات الَّتِي عطل أَحْمَد سيرها و يخاطبه بغضب و عصبية.

- السائق: هل تتكلم مع نفسك؟ ألم ترى أن الإشارة فتحت خضراء و ها هي قد عادت حمراء من جديد و أنت لم تتحرك. ما بك؟ هل جننت؟ تنح جانبا عن الطريق و لا تعطل الآخرين.

يقترّب شرطي المرور من أحمَد و يطلب منه أن يمده بالرخص و أن يركن السيَّارة بعد الإشارة مباشرة. ينفذ أحمَد ما طلب منه دون أن ينبس بكلمة واحدة. يحرر الشرطي مخالفة لأحمَد يأخذها منه هذا الأخير من دون حتّى أن ينظر إليه و يضعها على التابلوه. واصلت حركة السير نشاطها في حين بقيت سيَّارة أحمَد راكنة على جانب الطريق و أحمَد في حالة ذهول و صدمة و حزن.

- **عبد الله:** لقد نصحني الأطباء بعدم التحرك و ملازمة الفراش و لكنني أصررت على أن آتي لك و أن أودعك فلقد جمعتنا عشرة طيبة و أنا أعتبرك مثل أولادي تماما و صرت أعتبر نفسي مسؤولا عنك.
- **أحمَد:** هل هذا يعني أنني لن أراك مجددا؟
- **عبد الله:** هذا أغلب الظن.

تنهمر بعض الدموع من عيني أحمَد في تأثر بالغ.

- **عبد الله:** لا تبكي هكذا يا رجل فهذا هو حال الدنيا و كلنا سنغادرها عاجلا أم آجلا
- **أحمَد:** و لكنني تعودت عليك و أعتبرك أخلص صديق لي بل أكثر من صديق أعتبرك كوالد لي.
- **عبد الله:** لقد أوصيت بك ابني البكر و طلبت منه أن يساعدك و يرافقك.
- **أحمَد:** ابنك البكر؟ لم تحدثني قط عنه.
- **عبد الله:** (بحماس) إنّه "عبد الرحمن" ابني الأكبر. إنّ شأنه كبير في قبيلتنا و هو وعدني بأن يلازمك و لا يتأخر عن مساعدتك.

يسكت أحمَد و كأنّه يحاول أن يستوعب الوضع الجديد ثم يواصل عبد الله.

- **عبد الله:** (مبتسما) لقد أخبرني عبد الرحمن أنك و سيّام اتفقتما على الزواج في نهاية هذا الصيف و أنا أبارك لك ذلك و أتمنى لك حياة سعيدة و كنت أرغب في حضور حفل زفافكما و لكن ما باليد حيلة.

يتغير لون عبد الله و ينكمش على نفسه ثم يسترجع حالته الأولى.

- **عبد الله:** يجب أن أرحل الآن فقد ألم بي التعب و الإرهاق. أستودعك الله و تمنياتي لك بالتوفيق
- تنهمر الدموع من أحمَد بغزارة و هو يعلم أن عبد الله مفارقه دون رجعة. ينسى أحمَد نفسه و يحاول أن يعانق عبد الله و لكنه عانق الهواء مما حز في نفسه أكثر.
- اختفى عبد الله من أمام أحمَد تاركا إياه في حزنه و لوعته.

عاد أحمَد للبيت و دخل غرفته و الحزن بادٍ على وجهه. سلّم على والديه في اقتضاب. نظر سيّ الفاضل لزوجته مستفهما عن سبب وجوم ابنيها و لكنها أشارت له بجهلها للسبب.

تمدد أحمَد على سريريه و الدموع لم تفارق عينيه بعد. نام من شدة التأثر و رغبة منه في الهروب من مرارة هذه اللحظات.

الاستفاقة

الأحد 5 جوان - العاشرة صباحا - غرفة مستشفى

فتح أَحْمَدُ عينيه ليجد نفسه في غرفة غير غرفته يكسو اللون الأبيض جدرانها و أثاثها. استمع لصوت رنين متقطع ينبعث من يساره. التفت فإذا به جهاز قياس النبض يصدر هذا الرنين. أراد أن ينهض لكنه شعر بإعياء كبير و لم تتجاوب عضلاته مع رغبته تلك كما لاحظ أن يده اليسرى قد حقن فيها أنبوب السائل المغذي. شعر بحركة على جانبه الأيمن من السرير فالتفت بسرعة ليجد والدته و قد اقتربت منه و جلست على حافة السرير ممسكة بيده. استغرب لرؤية والدته و قد خسرت الكثير من الكيلوغرامات من وزنها فجأة. لقد شحب لونها و طوق سواد عينيها. لمح أَحْمَدُ أباه سي الفاضل و قد نحل وجهه أيضا و طالت ذقته بشكل غير مألوف فهو عادة يهتم بخلق ذقته يوميا و لا يطيق إطالته.

اقترب سي الفاضل أيضا من إبنه و مسح على جبينه في عطف و حنان كبيرين. لم يفهم أَحْمَدُ ما الذي يجري أو حتّى أين هو.

- أَحْمَدُ: أين أنا؟
- صَفِيَّةُ: أنت في المستشفى يا حبيبي. حمدا لله على سلامتكَ.
- أَحْمَدُ: و ماذا أفعل في المستشفى؟
- صَفِيَّةُ: لقد كنت في غيبوبة يا بُنَيَّ و ها أنت أفقت منها الآن و الحمد لله.
- أَحْمَدُ: و أين سيهام؟

تنظر صَفِيَّةُ لسي الفاضل مستغربة و لم تجب على سؤال ابنها. يكرر أَحْمَدُ سؤاله.

- صَفِيَّةُ: أي سيهام؟ لا نعرف من هي سيهام هذه.
- أَحْمَدُ: سيهام خطيبتي! ألم تعودى تعرفينها؟
- صَفِيَّةُ: (تعض على شفتيها) أنت لم تخطب بعد يا أَحْمَدُ.
- أَحْمَدُ: عجباً! كيف ذلك؟ أ لا تعلمون من هي سيهام. إنها المُوَطَّفة عندنا في المكتبة.
- سي الفاضل: أية مكتبة يا بُنَيَّ فليس لدينا مكتبة على ماذا تتحدث؟ سلامة عقلك يا بُنَيَّ.
- أَحْمَدُ: (في عصبية) أووه! المكتبة التي فتحتها يا أبي.
- سي الفاضل: أنا مُوَطَّف بالمَحْكَمَة و لم أفتح أية مكتبة. و من أين لي بالمال لأفتح المكتبات يا بُنَيَّ الله يسلمك.
- أَحْمَدُ: هل نسيبت الذهب. إنها أموال الذهب.

ينظر سي الفاضل إلى صَفِيَّةُ التي أشرفت على الانهيار.

- سي الفاضل: ليس لدينا ذهب و لم نملك قط ذهباً سوى مصاغ أمك البسيط هذا.

بصمت أَحْمَدُ و الشك بدأ يراوده. هل هو حي أو ميت؟ هل هو يحلم أم صاحي هل هو عاقل أم مجنون؟

- أَحْمَدُ: ما هي هذه القصة؟ ألم نجد كنزا في بيتنا؟
- سي الفاضل: هذه كلها تهيات يا بُنَيَّ. لم نجد شيئا أبداً. لقد أحضرناك إلى هنا من الفندق من مدينة "دوز" الذي وقعت في غرفته يوم اصطدم رأسك بالتسريحة و منذ ما يقارب الأشهر الثلاثة و أنت

في حالة غيبوبة في هذا السرير لم تتحرك منه أبداً. لقد لازمناك أنا و أمك طيلة هذه الفترة و كنا نتناوب على ذلك.

يستمتع أحمد لرواية أبيه و هو لا يكاد يصدق بأنَّ كلَّ ما عاشه في الفترة الأخيرة كان أحلام الغيبوبة و لكأنه تفطن لأنَّ ملابس أبيه قديمة و كذلك الأمر بالنسبة لأمه. إنَّها الملابس التي كانا يرتديانها قبل ظهور الكنز. لاحظ أيضا غياب ساعة أبيه الجديدة و غياب الطوق الذهبي الغالي الذي ارتدته أمه بعد أن أخذته من صندوق الكنز.

بدأ الشك يُدبُّ إلى نفسه. هل حقيقة أنني كنت في غيبوبة لثلاثة أشهر كاملة؟ هل حقيقة أنه لا يوجد عبد الله و لا الكنز و لا سيَّهَام؟ زاد الإرهاق الكبير الذي يشعر به و عدم قدرته على تحريك أطرافه من يقينه بحقيقة فترة الغيبوبة هذه. اشتد يقينه بهذه الرواية عنْدَما دخل الطبيب مبتسما و قد انشرح صدره لاستفاقة أحمد أخيراً من غيبوبته.

- **الطبيب:** الحمد لله على سلامتكَ يا أحمدَ باشا. ها أنت قد عدت لنا مجددا بعدما كدنا نفقد الأمل في ذلك. مرحبا بك في عالمنا مجددا. أنت لا تعرفني و لكنني أنا أعرفك جيدا فلقد تابعت حالتك شخصيا طيلة الأشهر الثلاثة الماضية. كيف تشعر الآن؟
- **أحمد:** الحمد لله.

لقد تيَّقن أحمد بأنَّ كلَّ ما عاشه منذ عودته من رحلة "دوز" لم يكن سوى أحلام و تهيَّآت. استعداد أحمد رُشده عنْدَما دخلت الممرضة و بيدها طبق فيه الأدوية التي تحقق بها أحمد. بقي أحمد يراقب حركات الممرضة وهو في ذهول مما سمعه و علم به. كانت الممرضة تدير له ظهرها و هي تعد الأدوية. لقد كان شكل الممرضة من الخلف يبدو مألوفا بعض الشيء بالنسبة له. أكملت الممرضة استعدادها و التفتت لأحمد لتحققه عنْدَما صاح فجأة مستغريا!

- **أحمد:** سيَّهَام!!!!

تمَّت بحمد الله

يَوْمَ الخميس 27 مايو 2010

جدة –المملكة العربية السعودية

"شُبَّيك ... ألبيك" رواية تمزج بين الحقيقة و الخيال، تروي قصة الشاب أحمَد، طالب كلية الصحافة و علوم الإخبار الذي يعيش تجربة فريدة من نوعها و هي اتصاله بمخلوق غريب تكتشفونه عند قراءتكم لهذه الرواية.



أ محمد عبد العزيز قبادو

عضو هيئة تدريس بجامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

قسم إدارة الأعمال

سبق و أن ألف رواية بوليسية بعنوان

"أرض النفائات" و تم نشرها الكترونيا على موقع "صيد الفوائد" سنة 2007.

<http://saaid.net/book/open.php?cat=&book=3444>

للاتصال بالمؤلف و إبداء ملاحظاتكم أو اقتراحاتكم حول الرواية:

mohamedkabadou@yahoo.fr

جميع الحقوق محفوظة

مايو 2010